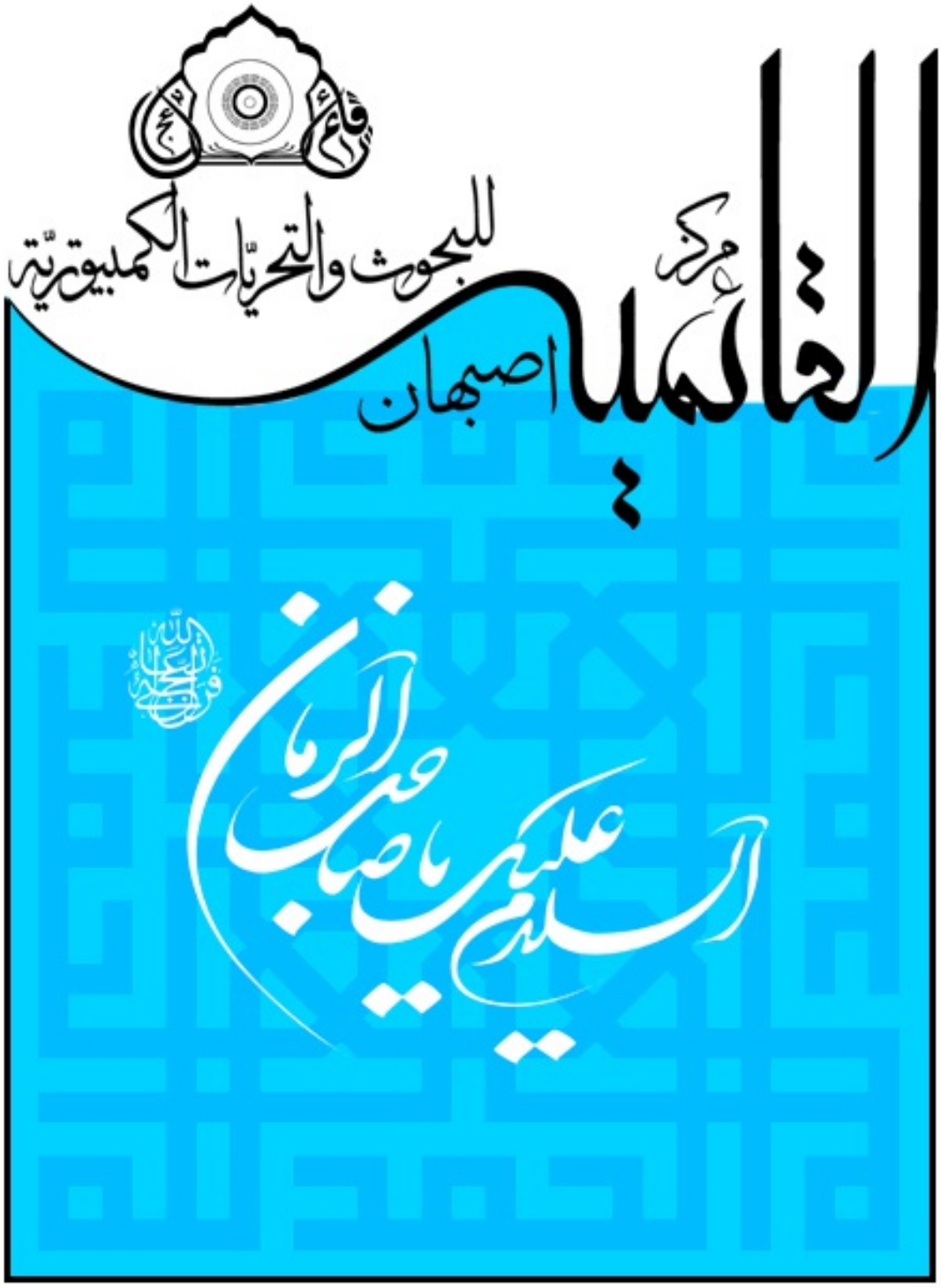

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

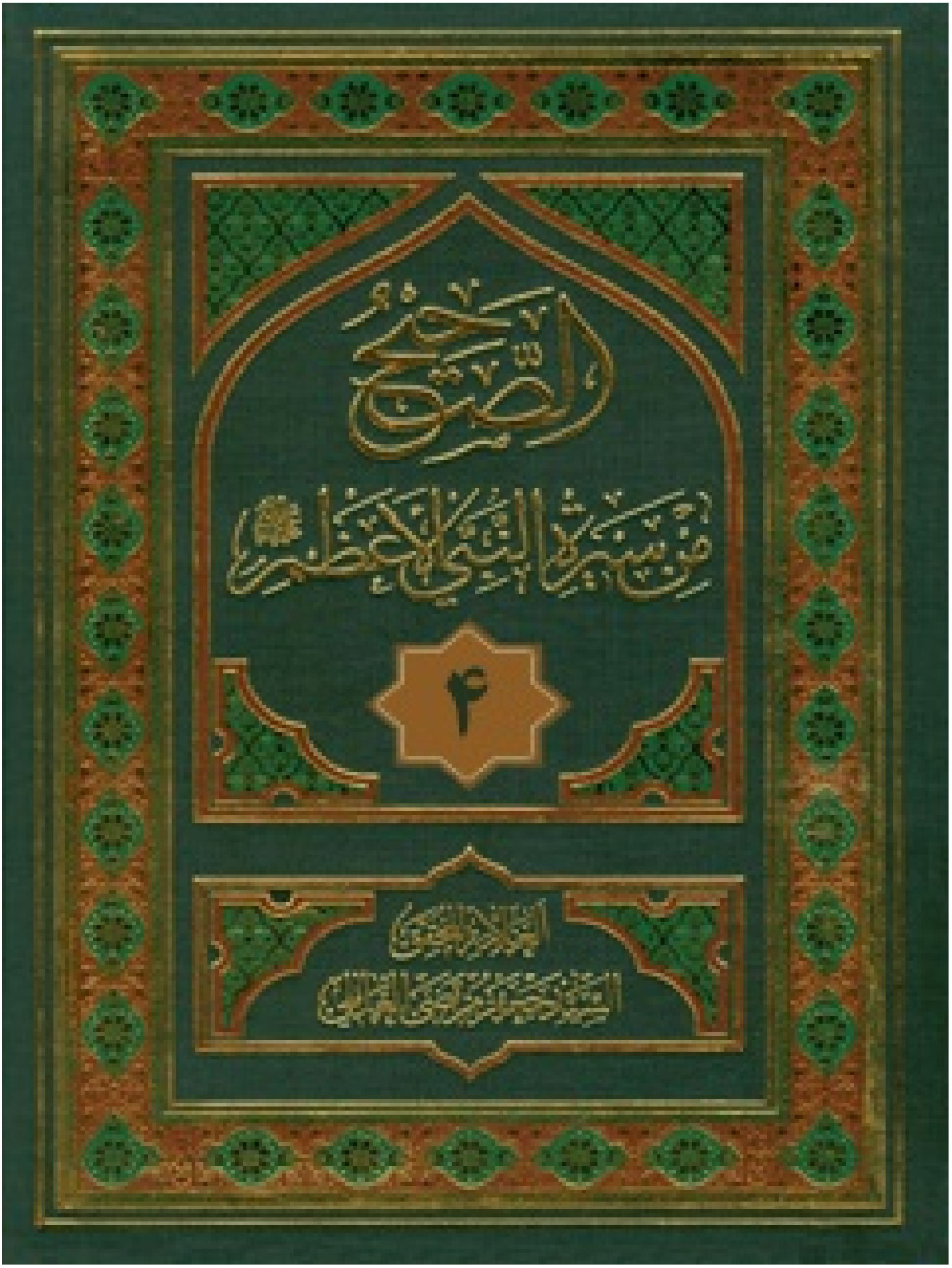
الصحيح
من سيرة النبي الأعظم ﷺ
٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الصحيح من سيره النبى الاعظم(ص)

كاتب:

سيد جعفرمرتضى حسينى عاملى

نشرت فى الطباعة:

سحرگاهان

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الصحیح من سیره النبی الاعظم(ص) المجلد۴ ----- ۱۵
اشارة ----- ۱۵
[تتمة القسم الثانی] ----- ۱۵
اشارة ----- ۱۵
[تتمة الباب] ----- ۱۵
الفصل الخامس: هجرة الرسول الأعظم (ص) ----- ۱۵
اشارة ----- ۱۵
المؤامرة: ----- ۱۶
مبیت علی «علیه السلام»، و هجرة النبی «صلّی اللّه علیه و آله و سلم»: ----- ۱۶
قریش فی طلب النبی «صلی اللّه علیه و آله و سلم»: ----- ۱۸
الراحلتان بالثمن: ----- ۱۸
أداء الامانات: ----- ۱۹
نفقات الهجرة: ----- ۱۹
شعر علی «علیه السلام» بمناسبة المبیت: ----- ۲۰
المثل الأعلی للتضحیة ----- ۲۰
المبیت، و الخلافة: ----- ۲۰
قریش، و علی «علیه السلام»: ----- ۲۱
بقی هنا سؤال: ----- ۲۱
قریش و المبیت: ----- ۲۲
مقایسة: ----- ۲۲
إرادة اللّه: ----- ۲۲
بین النظرة المصلحیة، و الواقع: ----- ۲۳

الأرض و المبدأ: ۲۴
و من معطیات الهجرة أیضا: ۲۴
أبو طالب فی حدیث الغار: ۲۴
مع آیة الغار: ۲۵
کلام الجاحظ، و ما فیه: ۲۷
ماذا یقول المفید هنا، و بماذا یجیبون: ۲۸
سؤال یحتاج إلی جواب: ۲۹
تحیّر أبی بکر فی حراسته للنبی «صلی اللّه علیه و آله و سلم»: ۲۹
التأکید علی موقف أبی بکر. ۳۰
من یشری نفسه ابتغاء مرضات اللّه: ۳۰
کذبة مفضوحة: ۳۲
و ابن تیمیة ماذا یقول؟! ۳۲
اشارة ۳۲
ملاحظة: ۳۴
و عن قضیة صهیب نقول: ۳۵
تسمیة أبی بکر بالصدیق: ۳۷
متی کان وضع هذه الالقاب: ۴۰
الراحلتان: ۴۱
ما هی الحقیقة: ۴۲
الخروج من خوخة أبی بکر للهجرة: ۴۲
قریش فی طلب أبی بکر: ۴۳
الانتظار إلی الصباح: ۴۳
شراء أبی بکر للموالی!! و نفقاته!! ۴۴
اشارة ۴۴

۱- عامر بن فهیرة: ۴۵
۲- أبو قحافة الأعمی: ۴۵
۳- مع أدوار لأسماء أیضا و غیرها ۴۶
۴- حدیث سد الأبواب، و خلة أبی بکر: ۴۷
۵- ثروة أبی بکر: ۴۸
إشارة عامة: ۵۰
اللصوص المهرة ۵۳
کلمة أخیرة حول ما یقال عن ثروة أبی بکر: ۵۳
التزویر، و التحویر: ۵۴
تجلی اللّه لأبی بکر: ۵۴
کلام هام حول الفضائل: ۵۴
ما أنت إلا إصبع دمیت: ۵۵
عمدة فضائل أبی بکر: ۵۶
عثمان حین قضیة الغار: ۵۷
یوم الغار، و یوم الغدیر: ۵۸
الکلمة الاخیرة فی حدیث الغار: ۵۸
الفصل السادس: الی قباء ۵۹
اشارة ۵۹
فی الطریق إلی المدینة: ۵۹
الکرامات الباهرة بعد الظروف القاهرة: ۶۰
هجرة أمیر المؤمنین «علیه السلام»: ۶۱
السیاسة الحکیمة: ۶۲
کتاب تبع الأول: ۶۲
أبو بکر شیخ یعرف: ۶۳

رأی العلامة الأمینی: ۶۵
النفاق فی مکة: ۶۵
ملاحظة هامة علی ما تقدم: ۶۹
الفصل السابع: حتی المدینة ۶۹
اشارة ۶۹
بدایة: ۶۹
اشارة ۶۹
غناء أهل المدینة، و النبی «صلی اللّه علیه و آله و سلم» یرقص بأکمامه: ۷۰
المناقشة: ۷۰
اشارة ۷۰
۱- ثنیة الوداع من جهة الشام: ۷۰
۲- استدلال عجیب: ۷۱
۳- ترقیص الاکمام: ۷۲
أدلة حلیة الغناء: ۷۲
نقض أدلة حلیة الغناء: ۷۴
أقوال العلماء فی الغناء: ۷۹
الغناء عند اهل الکتاب: ۸۰
سر الوضع و الاختلاق: ۸۰
نزول رسول اللّه «صلی اللّه علیه و آله و سلم» فی قباء: ۸۲
تأسیس مسجد قباء: ۸۲
أحجار الخلافة: ۸۳
أول مسجد فی الإسلام: ۸۳
صلاة الجمعة فی قباء: ۸۴
القسم الثالث: حتی غزوة الخندق ۸۵

اشارة ----- ۸۵
الباب الأول: من الهجرة الی بدر ----- ۸۵
اشارة ----- ۸۵
الفصل الأول: النبی (ص) فی المدینة ----- ۸۵
اشارة ----- ۸۵
ورود النبی (ص) المدینة: ----- ۸۵
منزل النبی (ص) فی المدینة: ----- ۸۶
ابن سلام و الاسلام: ----- ۸۷
الفصل الثانی: قضایا و أحداث غیر عسکریة ----- ۹۱
اشارة ----- ۹۱
عودة بعض المهاجرین من الحبشة: ----- ۹۲
عائشة فی بیت النبی (ص): ----- ۹۲
مراسم الزفاف: ----- ۹۳
استدلال طریف: ----- ۹۳
فاتحة عهد جدید: ----- ۹۳
آیة الصلح بین المؤمنین: ----- ۹۴
اسلام سلمان المحمدی: ----- ۹۵
بئر رومة فی صدقات عثمان: ----- ۹۶
بئر أریس: ----- ۹۸
حقیقة القضیة: ----- ۹۸
تأبیر النخل: ----- ۹۹
الفصل الثالث: أعمال تأسیسة فی مطلع الهجرة ----- ۱۰۰
اشارة ----- ۱۰۰
بدایة: ----- ۱۰۰

اشارة ----- ۱۰۰
التاریخ الهجری أولا: ----- ۱۰۰
اشارة ----- ۱۰۱
الحکایة کما یرویها المؤرخون: ----- ۱۰۲
الرأی الأمثل: ----- ۱۰۳
من المشیر بمحرّم: ----- ۱۰۳
الموافقون علی هذا الرأی: ----- ۱۰۵
کلام السهیلی: ----- ۱۰۶
ما نستند إلیه: ----- ۱۰۸
عود علی بدء: ----- ۱۱۸
و التاریخ المسیحی اذن لماذا؟: ----- ۱۱۸
دعوة مخلصة: ----- ۱۱۹
بناء مسجد المدینة: ----- ۱۲۰
اشارة ----- ۱۲۰
ألف: أبو بکر و العشرة دنانیر: ----- ۱۲۱
باء: أحجار الخلافة: ----- ۱۲۱
اشارة ----- ۱۲۱
تحریف فی مستدرک الحاکم: ----- ۱۲۲
ج: عثمان و عمار: ----- ۱۲۳
اشارة ----- ۱۲۳
ألم یکن عثمان فی الحبشة؟! ----- ۱۲۴
سرّ انتصار النبی (ص) لعمّار: ----- ۱۲۵
لماذا المسجد أولا: ----- ۱۲۶
مشارکة النساء فی بناء المسجد: ----- ۱۲۸

مشارکة النبی (ص) فی بناء المسجد: ۱۲۸
جماعة خاصة بالنساء: ۱۲۸
المؤاخاة علی التوارث موضع شک: ۱۲۹
عدد الذین کانت المؤاخاة بینهم: ۱۲۹
المؤاخاة بین کل و نظیره: ۱۳۰
مؤاخاة النبی (ص) لعلی: ۱۳۱
تواتر حدیث المؤاخاة: ۱۳۱
تکنیة علی بأبی تراب: ۱۳۲
مع المنکرین لمؤاخاة النبی (ص) لعلی (ع): ۱۳۳
مع قضیة المؤاخاة: ۱۳۴
ألف: البدیل الأنسب: ۱۳۴
ب: السمو بالعلاقات الإنسانیة: ۱۳۵
ج: دور المؤاخاة فی بناء المجتمع الجدید: ۱۳۵
خلة أبی بکر: ۱۳۶
مؤاخاة سلمان مع من؟!: ۱۳۷
انکار حدیث المؤاخاة، و الاجابة عن ذلک: ۱۳۷
المؤاخاة بین المهاجرین و الانصار: ۱۴۰
اشارة ۱۴۰
۴- أسس العلاقات فی المجتمع الجدید: ۱۴۱
اشارة ۱۴۱
نص الوثیقة: ۱۴۲
وثیقة أم وثائق؟!: ۱۴۴
ملاحظات سریعة علی الوثیقة: ۱۴۶
موادعة الیهود: ۱۴۹

الفصل الرابع: تشریعات و أحکام ----- ۱۴۹
اشارة ----- ۱۴۹
تشریع الأذان: ----- ۱۵۰
مناقشة روایات الأذان: ----- ۱۵۰
الکلمة الأخیرة: ----- ۱۵۴
حیّ علی خیر العمل فی الأذان: ----- ۱۵۵
اشکالات غیر واردة: ----- ۱۶۲
حی علی خیر العمل موقف و شعار: ----- ۱۶۳
سبب حذف هذه العبارة: ----- ۱۶۴
کلمة حول هذا الرأی: ----- ۱۶۵
الزیادة فی الصلاة: ----- ۱۶۵
قول آخر فی فرض الصلاة: ----- ۱۶۶
فرض الزکاة: ----- ۱۶۶
روایة تعارض ما سبق: ----- ۱۶۸
فرض زکاة الفطرة: ----- ۱۶۸
فرض الصیام: ----- ۱۶۸
مناقشة وردها: ----- ۱۶۹
صیام یوم عاشوراء: ----- ۱۷۰
کذب تلک الروایات: ----- ۱۷۰
من فضائل یوم عاشوراء أیضا: ----- ۱۷۲
أیوم عزاء أم یوم عید؟!: ----- ۱۷۲
وضع الأحادیث: ----- ۱۷۳
أسالیب مقاومة عاشوراء: ----- ۱۷۳
الفصل الخامس: الجهاد فی الاسلام ----- ۱۷۵

اشارة ----- ۱۷۵
الاسلام، و السیف!! ----- ۱۷۵
اشارة ----- ۱۷۵
۱- الحرب فی الاسلام و فی غیره: ----- ۱۷۶
اشارة ----- ۱۷۶
إشارة: ----- ۱۷۶
۲- حیث لابد من الحرب: ----- ۱۷۷
الفصل السادس: سرایا و غزوات قبل بدر ----- ۱۸۱
اشارة ----- ۱۸۱
غزواته (ص) و سراياه: ----- ۱۸۱
اشارة ----- ۱۸۱
ما نتعرض له فی هذا الکتاب: ----- ۱۸۲
اشارة ----- ۱۸۲
السرایا الأولی: ----- ۱۸۳
اشارة ----- ۱۸۳
۱- تکنیة علی بأبی تراب: ----- ۱۸۵
اشارة ----- ۱۸۵
التزویر و الإفتراء: ----- ۱۸۵
لماذا الوضع و الاختلاق: ----- ۱۸۸
قیمة هذه الکنیة: ----- ۱۸۸
۲- لماذا السرایا: ----- ۱۸۹
اشارة ----- ۱۸۹
الأول: الموادعات و التحالفات: ----- ۱۸۹
الثانی: مضایقة قریش: ----- ۱۹۰

۳- وصایاه (ص) لبعوثه: ۱۹۰
۴- لماذا المهاجرون فقط: ۱۹۱
اشارة ۱۹۱
ألف: علی الأنصار نصره (ص) فی دارهم: ۱۹۱
ب: مسألة الحرب و السلم: ۱۹۱
ج: ظروف الأنصار الخاصة: ۱۹۲
د: الحالة النفسیة للمهاجرین: ۱۹۲
ه: العربی و قضیة الدم: ۱۹۳
و: قریش، و الأنصار: ۱۹۴
ز: تزویر التاریخ: ۱۹۶
ح: تأکید النبی (ص) علی بر الأنصار: ۱۹۸
ط: لا غنی فی الحرب عن الأنصار: ۱۹۹
الفهارس ۲۰۰
اشارة ۲۰۰
۱- الدلیل الإجمالی للکتاب ۲۰۰
۲- الدلیل التفصیلی للکتاب ۲۰۰
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ۲۰۶

الصحیح من سیره النبی الاعظم(ص) المجلد۴

اشارة

سرشناسه : عاملی، جعفر مرتضی، ۱۹۴۴- م.

عنوان و نام پدیدآور : الصحیح من سیره النبی الاعظم(ص)/ جعفرمرتضی العاملی

مشخصات نشر : سحرگاهان، ۱۴۱۹ق. = ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری : ج ۱۰

شابک : ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل)

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است.

یادداشت : افست از روی چاپ بیروت: دار السیره

یادداشت : جلد دهم: الفهارس

یادداشت : کتابنامه

موضوع : محمد (ص)، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت -۱۱ق -- .سرگذشتنامه

موضوع : اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا ۴۱ق.

رده بندی کنگره : BP۲۲/۹/ع۲ص۳ ۱۳۷۷

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۳

شماره کتابشناسی ملی : م۷۷-۱۵۹۲۹

[تتمة القسم الثانی]

اشارة

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ج۴ ۵ تتمة الباب ..... ص : ۵

[تتمة الباب]

الفصل الخامس: هجرة الرسول الأعظم (ص)

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۷

المؤامرة:

و اجتمع اشراف قريش فى دار الندوة، و لم يتخلّف منهم أحد: من بنى عبد شمس، و نوفل، و عبد الدار، و جمح، و سهم، و أسد، و مخزوم و غيرهم، و شرطوا: أن لا يدخل معهم تهامى، لأن هواهم كان مع محمد «صلى اللّه عليه و آله و سلم» «۱».

كما أنهم قد حرصوا: على أن لا يكون عليهم من الهاشميين، أو من يتصل بهم عين أو رقيب «۲».

و تذكر الروايات: أن ابليس قد دخل معهم بصفة شيخ نجدى «۳»، و تشاوروا فيما بينهم ما يصنعون بمحمد. فذكروا الحبس فى الحديد، فرأوا أن من الممكن أن يتصل بأنصاره، و يطلقوا سراحه. و ذكروا النفى إلى بعض البلاد فرأوا أن ذلك يمكن الرسول من نشر دينه، فاستقر رأيهم أخيرا على اقتراح أبى جهل، أو ابليس بأن يأخذوا من كل قبيلة شابا جلدا

---

(۱) و (۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۲۱ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۵، و راجع نور الأبصار ص ۱۵.

(۳) تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۶۸ و البداية و النهاية ج ۳ ص ۱۷۵ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۲۱/ ۳۲۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۸

قويا، حسيبا فى قومه، نسيبا، وسطا، و يعطى كل منهم سيفا صارما، و يدخلوا على النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» بأسيافهم؛ فيضربونه ضربة رجل واحد، فيقتلونه و يتفرق دمه فى القبائل، لأن بنى عبد مناف لا يقدرون على حرب قومهم جميعا، فيضطرون إلى القبول بالدية، فيعطونهم إياها، و ينتهى الامر.

و واضح: أن المواصفات المتقدمة التى اعتبروها فى الرجال العشرة، انما هى من أجل أن لا تفكر أية قبيلة فى تسليم صاحبها؛ لأنها لو سلّمته فسوف يصبح الهاشميون أكثر قدرة على ضرب قريش، مهما كانت الضربة محدودة.

كما أن هذه المواصفات تجعل الذين يقدمون على اقتراف تلك الجريمة أكثر ثقة و اقداما على هذا الامر الخطير، الذى لا يجوز التردد و لا الضعف و الوهن فيه.

و على كل حال، فقد أخبر اللّه تعالى نبيه بهذه المؤامرة عن طريق الوحى، و نزل قوله تعالى: وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا؛ لِيُثْبِتُوكَ، أَوْ يَقْتُلُوكَ، أَوْ يُخْرِجُوكَ. وَ يَمْكُرُونَ، وَ يَمْكُرُ اللَّهُ، وَ اللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ «۱».

و المكر الإلهى هنا: هو التدبير السرى لإفشال عمل يعزم عليه الغير.

مبيت على «عليه السلام»، و هجرة النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»:

و يقول المؤرخون: إن اولئك القوم الذين انتدبتهم قريش، اجتمعوا على باب النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»،- و هو باب عبد المطلب على

---

(۱) الانفال/ ۳۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۹

ما فى بعض الروايات «۱»- يرصدونه، يريدون بياته. و فيهم: الحكم بن أبى العاص، و عقبة بن أبى معيط، و النضر بن الحارث، و أمية بن خلف و زمعة بن الاسود و ابو لهب و ابو جهل و ابو الغيطلة و طعمة بن عدى، و أبى بن خلف، و خالد بن الوليد، و عتبة، و شيبة، و

حكيم بن حزام، و نبيه، و منبه ابنا الحجاج «۲».

لقد اختارت قريش من قبائلها العشر، أو الخمسة عشر، عشرة أو خمسة عشر رجلا؛ بل أكثر، على اختلاف النقل؛ ليقتلوا النبى الاعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بضربة واحدة بسيوفهم. بل قيل:

إنهم كانوا مئة رجل «۳».

و نحن نستبعد هذا العدد الأخير، و ذلك لمخالفته لسائر الروايات الأخرى مع أن ما ذكرته الرواية من كون عدد القبائل كان مئة قبيلة لا نجد له ما يؤيده.

و احتمال أن يكون قد خرج من كل قبيلة أكثر من واحد.

ينافيه التصريح بأن الخارجين كانوا واحدا من كل قبيلة.

و مهما يكن من أمر فإن المتآمرين تهيأوا و اجتمعوا؛ فأخبر اللّه تعالى نبيه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بمكرهم.

فأمر «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أمير المؤمنين عليا «عليه السلام» بالمبيت على فراشه، بعد أن أخبره بمكر قريش، فقال على «عليه السلام»: أو تسلم بمبيتى هناك يا نبى اللّه؟

---

(۱) البحار ج ۱۹ ص ۷۳ عن الخرائج و الجرائح.

(۲) لقد وردت اسماء هؤلاء كلا او بعضا فى روايات مختلفة، فى السيرة الحلبية ج ۲ و البحار ج ۱۹ ص ۷۲ و ۳۱ و مجمع البيان.

(۳) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۸۰ و نور الأبصار ص ۱۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۰

قال: نعم.

فتبسم على ضاحكا و أهوى إلى الأرض ساجدا، شكرا للّه، فنام على فراش النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و اشتمل ببرده «صلى اللّه عليه و آله و سلم» الحضرمى. ثم خرج النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى فحمة العشاء. و الرصد من قريش قد أطافوا بداره ينتظرون.

خرج «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و هو يقرأ هذه الآية: وَ جَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا، وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا؛ فَأَغْشَيْناهُمْ؛ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ «۱».

و كان بيده «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قبضة من تراب، فرمى بها فى رؤوسهم، و مرّ من بينهم، فما شعروا به، و أخذ طريقه إلى غار ثور.

فجاء أبو بكر و أمير المؤمنين على «عليه السلام» نائم، فقال: يا نبى اللّه، و أبو بكر يحسبه أنه نبى اللّه قال: فقال له على: إن نبى اللّه. قد انطلق نحو بئر ميمونة، فأدركه، فانطلق أبو بكر، فدخل معه الغار «۲».

---

(۱) سورة يس ۹. و راجع أمالى الشيخ الطوسى ج ۲ ص ۸۰، ۸۱.

(۲) راجع فى الفقرات الاخيرة: مناقب الخوارزمى الحنفى ص ۷۳ و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۱۳۳ و تلخيصه للذهبى بهامشه و صححاه، و مسند أحمد ج ۱ ص ۳۲۱، و تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزى ص ۳۴، و شواهد التنزيل ج ۱ ص ۹۹ و ۱۰۰ و ۱۰۱، و تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۱۰۰، و تفسير البرهان ج ۱ ص ۲۰۷، و الفصول المهمة لابن الصباغ المالكى ص ۳۰ و خصائص أمير المؤمنين للنسائى ط النجف ص ۶۳، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۵، و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۱۲۰ عن أحمد و رجاله رجال الصحيح غير واحد و هو ثقة، و عن الطبرانى فى الكبير و الاوسط، و البحار ج ۱۹ ص ۷۸ و ۹۳ عن الطبرى و أحمد، و العياشى، و كفاية الطالب، و فضائل

الخمسة ج ۱ ص ۲۳۱، و ذخائر العقبى ص ۸۷، و كفاية الطالب ص ۲۴۲، و قال ان ابن عساكر ذكره فى الاربعين الطوال، و ترجمة الامام على بن أبى طالب «عليه السلام» من تاريخ ابن عساكر تحقيق المحمودى ج ۱ ص ۱۸۶ و ۱۹۰، و نقله المحمودى فى هامشه عن: الفضائل لأحمد بن حنبل، حديث ۲۹۱

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۱

قالوا: و جعل المشركون يرمون عليا بالحجارة، كما كانوا يرمون رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و هو يتضوّر (أى يتلوى و يتقلب).

و قد لف رأسه فى الثوب لا- يخرجه حتى أصبح؛ فهجموا عليه، فلما بصر بهم على «عليه السلام» قد انتضوا السيوف، و أقبلوا عليه، يقدمهم خالد بن الوليد، وثب به على «عليه السلام»، فختله، و همز يده، فجعل خالد يقمص قماص البكر، و يرغو رغاء الجمل. و أخذ من يده السيف.

وشد عليهم بسيف خالد؛ فأجفلوا أمامه اجفال النعم إلى خارج الدار، و تبصروه، فإذا على. قالوا: و إنك لعلى؟ قال: أنا على. قالوا: فإنا لم نردك؛ فما فعل صاحبك؟ قال: لا علم لى به «۱».

قريش فى طلب النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»:

فأذكت قريش العيون، و ركبوا فى طلب النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» الصعب و الذلول. و اقتفوا أثره، حتى وصل القائف إلى نقطة لحوق

و عن غاية المرام ص ۶۶، عن الطبرانى ج ۳ فى الورق ۱۶۸/ ب و فى هامش كفاية الطالب عن: الرياض النضرة ج ۲ ص ۲۰۳. و أما الفقرات الأخرى فهى موجودة فى مختلف كتب الحديث و التاريخ.

و فى البحار ج ۱۹ ص ۶۱ و أمالى الشيخ الطوسى ج ۲ ص ۸۱ أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أمر أبا بكر و هند ابن أبى هالة: ان ينتظرا فى طريقه إلى الغار بمكان عينه لهما. و فى البحار فى ج ۱۹ ص ۷۳، عن الخرائج و الجرائح، قال: «و مضى و هم لا يرونه، فرأى أبا بكر قد خرج فى الليل يتجسس من خبره. و قد كان وقف على تدبير قريش من جهتهم، فأخرجه معه الى الغار.».

و إذا صح هذا؛ فيرد سؤال: كيف لم يخبر أبو بكر النبى بامرهم؟! إلا ان يقال: إنه إنما جاء ليخبر النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بذلك- و لكن الاهم من ذلك: كيف اطلعت قريش أبا بكر على تدبيرها مع حرصها الشديد على التكتم فيه، عن كل من له بالنبى أدنى صلة كما تقدم تصريح الديار بكرى و غيره بذلك.

(۱) أمالى الشيخ الطوسى ج ۲ ص ۸۲/ ۸۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۲

أبى بكر به، فأخبرهم أن من يطلبونه صار معه هنا رجل آخر. و استمروا يقتفون الأثر حتى وصلوا إلى باب الغار، فصرفهم اللّه عنه؛ حيث كانت العنكبوت قد نسجت على باب الغار، و باضت فى مدخله حمامة وحشية، كما يذكرون، و غير ذلك فاستدلوا من ذلك على أن الغار مهجور، لم يدخله أحد، و إلا لتخرّق النسج، و تكسر البيض، و لم تستقر الحمامة الوحشية على بابه «۱».

الراحلتان بالثمن:

و أمهل أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى الليلة القادمة؛ فانطلق تحت جنح الظلام، هو و هند بن أبى هالة، حتى دخلا الغار على رسول

اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم». فأمر الرسول هندا أن يبتاع له و لصاحبه بعيرين.

فقال أبو بكر: قد كنت أعددت لى و لك يا نبى اللّه راحلتين ترتحلهما إلى يثرب.

فقال: إنى لا آخذهما، و لا أحد هما إلا بالثمن.

قال: فهى لك بذلك.

فأمر عليا «عليه السلام» فأقبضه الثمن «۲».

أداء الامانات:

ثم اوصاه بحفظ ذمته، و أداء أماناته، و كانت قريش، و من يقدم مكة

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۲۸ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۷ و البداية و النهاية ج ۳ ص ۱۸۱/ ۱۸۲.

(۲) البحار ج ۱۹ ص ۶۲ و امالى الطوسى ج ۲ ص ۸۳ و عدم قبوله «صلى اللّه عليه و آله و سلم» الراحلتين من ابى بكر إلا بالثمن لا يكاد يخلو منه كتاب يؤرخ للسيرة النبوية الشريفة و راجع وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۳۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۳

من العرب فى الموسم يستودعون النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و يستحفظونه أموالهم و أمتعتهم. و أمره أن ينادى صارخا بالابطح غدوة و عشيا: من كان له قبل محمد أمانة، فليأت، فلنؤد إليه أمانته.

و قال «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لعلى: حينئذ أى بعد أن ذهب الطلب عن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إنهم لن يصلوا من الآن إليك يا على بأمر تكرهه، حتى تقدم على؛ فأدّ أمانتى على أعين الناس ظاهرا.

ثم إنى مستخلفك على فاطمة ابنتى، و مستخلف ربى عليكما، و مستحفظه فيكما.

نفقات الهجرة:

فأمر «صلى اللّه عليه و آله و سلم» عليا أن يبتاع رواحل له و للفواطم، و من أزمع الهجرة معه من بنى هاشم. قال أبو عبيدة: فقلت لعبيد اللّه (يعنى ابن أبى رافع): أو كان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يجد ما ينفقه هكذا؟.

فقال: إنى سألت أبى عما سألتنى عنه- و كان يحدث لى هذا الحديث- فقال: و أين يذهب بك عن مال خديجة «عليها السلام»؟. قال: إن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قال: ما نفعنى مال قط مثل ما نفعنى مال خديجة. و كان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يفك من مالها الغارم و العانى، و يحمل الكل، و يعطى فى النائبة، و يرفد فقراء أصحابه إذ كان بمكة، و يحمل من أراد منهم الهجرة «۱».

و بعد أن أقام رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى الغار ثلاثا

---

(۱) و لكن نفس هذا النص يرويه أصحاب الأهواء و التعصبات، و يبدلون فيه كلمة (خديجة) بكلمة (أبى بكر) ليثبتوا له فضيلة لا تؤيدها أى من النصوص و الوقائع بل هى على خلافها أدل كما أثبتناه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۴

انطلق يؤم المدينة «۱».

شعر على «عليه السلام» بمناسبة المبيت:

و قال أمير المؤمنين «عليه السلام» يذكر مبيته على الفراش، و مقام رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»:

و قيت بنفسى خير من وطأ الحصاو من طاف بالبيت العتيق و بالحجر

محمد لما خاف أن يمكروا بهفوقّاه ربى ذو الجلال من المكر

و بت أراعيهم متى ينشروننىو قد وطنت نفسى على القتل و الاسر

و باب رسول اللّه فى الغار آمناهناك و فى حفظ الاله و فى ستر

أقام ثلاثا، ثم زمت قلائصقلائص يفرين الحصا أيما يفرى كل ما تقدم يذكره المؤرخون و أهل الحديث فى كتبهم و ألفاتهم فليراجعها من أراد.

و لسوف يأتى إن شاء اللّه بعض الكلام حول سفره، و وروده قباء، و غير ذلك بعد الكلام على بعض الأمور التى ترتبط بما تقدم؛ فنحن نسجل هنا الأمور التالية.

المثل الأعلى للتضحية

يقول العلامة السيد هاشم معروف الحسنى: «و هنا تبدأ قصة من أروع ما عرفته تاريخ الفداء و التضحية، فالشجعان و الابطال يثبتون فى المعارك فى وجه أعدائهم، يدافعون بما لديهم من سلاح و عتاد مع أنصارهم و أعوانهم، و قد تضطر هم المعارك إلى أن يثبتوا فى مقابل العدو، لا منفردين. أما أن يخرج الانسان إلى الموت طائعا مطمئنا بدون سلاح و لا عتاد، و كأنه يخرج ليعانق غادة حسناء، فينام على فراش تحف به

---

(۱) امالى الطوسى ج ۲ ص ۸۱/ ۸۲ و البحار ج ۱۹ ص ۶۱/ ۶۲.

المخاطر و الأهوال، أعزل من كل شىء إلا من ايمانه، وثقته بربه، و حرصه على سلمة القائد، كما حدث لعلى «عليه السلام»، حينما عرض عليه ابن عمعه محمد «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أمر المبيت على فراشه؛ ليتمكن هو من الفرار، و التخلص من مؤامرة قريش؛ فهذا ما لم يحدث فى تاريخ البطولات، و ما لم يعرف من أحد فى تاريخ المغامرات، فى سبيل المبدأ و العقيدة».

و يقول: «و لم يكن مبيت على ليلة الهجرة هى المرة الأولى؛ فلقد كان أبو طالب فى أيام الحصار فى الشعب ينيم عليا على فراش النبى، حتى إذا حصلت حادثة اغتيال، كان فى على دون النبى، و لم يكن ليمانع فى ذلك أبدا بل كان يقدم عليه برضا نفس، و طيبة خاطر «۱»».

المبيت، و الخلافة:

و الغريب هنا: أن نجد أحد من عرف بنصبه، و بالعداء لشيعة على «عليه السلام» و محبيه، يضطر لأن يعترف بأن قضية مبيته «عليه السلام» على فراش النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ليلة الهجرة، من الاشارات الواضحة إلى خلافته، فيقول:

«هذا الذى كان من على فى ليلة الهجرة، إذا نظر إليه فى مجرى الأحداث التى عرضت للامام على فى حياته بعد تلك الليلة؛ فإنه يرفع لعينى الناظر إمارات واضحة، و إشارات دالة على أن هذا التدبير الذى كان فى تلك الليلة لم يكن عارضا بالاضافة إلى على، بل هو عن حكمة لها آثارها و معقباتها، فلنا أن نسأل:

أكان لإلباس الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» شخصيته لعلى تلك الليلة ما يوحى بأن هناك جامعة تجمع بين الرسول و بين على أكثر من

---

(۱) راجع: سيرة المصطفى ص ۲۵۰ و ۲۵۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۶

جامعة القرابة القريبة التى بينهما؟. و هل لنا أن نستشف من ذلك أنه إذا غاب شخص الرسول كان عليا (كذا) هو الشخصية المهيأة لأن تخلف، و تمثل شخصه، و تقوم مقامه؟. و أحسب أن أحدا قبلنا لم ينظر إلى هذا الحدث نظرتنا هذه إليه، و لم يقف عنده وقفتنا تلك حتى شيعة على» «۱».

قريش، و على «عليه السلام»:

۱- و نشير هنا: إلى أن الملاحظ: أن قريشا لم تصر على أمير المؤمنين فى استنطاقها له عن مكان ابن عمه.

و ما ذلك إلا- لأنهم قد علموا: أنهم إنما يحاولون عبثا، و يطلبون مستحيلا، فإن من كان يحمل مثل هذا الاخلاص، و مثل هذه التضحية النادرة فى التاريخ لن يفشى لهم سرا قد ضحى نفسه فى سبيل كتمانه، لذلك نراهم قد اطلقوه و انصرفوا عنه يائسين «۲».

۲- لقد كان على فى موقفه تجاه النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» مثلا أعلى للانسانية الكاملة، فقد عرّف الناس معنى الاخلاص، و ماهية التضحية، و حقيقة الايمان.

حيث إنه يرى نفسه مقتولا- على كل حال، إما لظن المشركين أنه رسول اللّه، فيخبطوه باسيافهم ضربة رجل واحد، و إما انتقاما منه، حيث كان سببا لخلاص من سفّه احلامهم، و عاب آلهتهم، و فرق جماعتهم، و هم يعرفون أيضا حب النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» له و منزلته منه، فإذا قتلوه فإنما يقتلون أخاه و ابن عمه، و الرجل المخلص الذى يفديه بنفسه «۳».

---

(۱) على بن أبى طالب، لعبد الكريم الخطيب ۱۰۵/ ۱۰۶.

(۲) راجع حياة أمير المؤمنين ص ۱۰۵/ ۱۰۶.

(۳) المصدر السابق ص ۱۰۷ و ۱۰۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۷

و اما انصرافهم عنه، بعد ظهور الامر، فهو إما خوفا منه، بعد أن رأوا ما فعله بخالد، و اما من أجل توفير الفرصة للبحث عن غريمهم الأصلى و الأهم بالنسبة إليهم.

بقى هنا سؤال:

و هو أنه إذا كان على عليه السلام» يعلم بأن حديث الدار يدل على أنه «عليه السلام» لن يقتل فى هذه الحادثة، بل هو سوف يعيش إلى ما بعد الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ليكون وصيّه و خليفته من بعده، فلا تبقى له فضيلة فى مبيته على فراش النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ليلة الهجرة.

و الجواب:

أولا: إن ذلك لا يمنع من حصول البداء فى هذا الأمر حسبما أشرنا إليه فى أوائل هذا الكتاب.

ثانيا: إن ذلك لا يمنع من تعرضه «عليه السلام» للجراح و قطع الأعضاء و الاسر و التعذيب البالغ. و هو أمر يتجنبه و يخشاه الناس و سيأتى بعد صفحات ما يؤيد الجواب الأول و أنه «عليه السلام» قد كان موطنا نفسه على القتل و الأسر و معنى ذلك هو أنه كان لا يقطع بالبقاء إلى ما بعد وفاة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، لأجل امكانية حصول البداء فى هذا الأمر لما قلنا.

قريش و المبيت:

و يقول البعض أيضا: «إن هذا الذى كان من على ليلة الهجرة فى تحديه لقريش هذا التحدى السافر، و فى استخفافه بها، و قيامه بينها ثلاثة أيام يغدو و يروح إن ذلك لا تنساه قريش لعلى أبدا.

و لو لا أنها وجدت فى قتله يومئذ إثارة فتنة تمزق وحدتها، و تشتت

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۸

شملها، دون أن يكون فى ذلك ما يبلغ بها غايتها فى محمد «صلى اللّه عليه و آله و سلم»- لو لا ذلك- لقتلته، و شفت ما بصدرها منه، و لكنها تركته، و انتظرت الايام لتسوّى حسابها معه «۱»».

و لقد كان حسابا عسيرا حقا، و لا سيما بعد أن أضاف إلى ذلك: أنه قتل رجالها، و جندل صناديدها، و بقى اليد الطولى لإبن عمه يضرب بها هنا و هناك كل متكبر جبار، أين و أنى شاء. و قد بدأ هذا الحساب العسير فور وفاته «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و حتى قبل أن يغسل و يكفن و يدفن.

مقايسة:

قلنا: إن مبيت أمير المؤمنين هذا، قد ضيع الفرصة على قريش، و أفشل ما كانت دبرته فى النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و كان أيضا سببا لتمكين الدين، و اعلاء كلمة الحق.

و أما أن يقاس ذلك بقضية ذبح اسماعيل. فلا يصح ذلك، لأن اسماعيل قد استسلم لوالد شفيق رحيم، يجد فى عطفه و حنانه ما يسليه عما ينزل به، و لا يجد منه أيا من أنحاء التنكيل، و القسوة و الخشونة. أما على «عليه السلام»، فإنما استسلم لعدوه الذى لا يرحمه. و من لا يشفى غليله إلا سفك دمه، و صبّ أقسى أنواع العذاب و التنكيل عليه، مع شماتة قاتلة، و حقد هائل.

و قد تكلم الاسكافى فى نقضه لعثمانية الجاحظ، حول هذه القضية فراجعه «۲». و لو أردنا استقصاء الكلام حول هذه النقطة لطال بنا المقام.

---

(۱) على بن أبى طالب لعبد الكريم الخطيب ص ۱۰۶.

(۲) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلى ج ۱۳ و العثمانية للجاحظ فى اواخرها.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۹

إرادة اللّه:

لقد كان من الممكن أن ينصر اللّه رسوله من دون أن يضطر إلى اللجوء إلى الغار، و إلى مبيت على «عليه السلام» على فراشه، و ذلك عن طريق آيات باهرة، و عنايات و معجزات قاهرة.

و لكن لا، فقد شاءت العناية الالهية أن تسير الامور على سجيتها، و على وفق أسبابها الطبيعية، مع تسديدات و عنايات تشمل الامور

الخارجة عن حدود الطاقة، و ليكون ذلك مثلا لنا جميعا و درسا مؤثرا، فى الجد و العمل فى سبيل الدين و العقيدة، فليس لنا أن ننتظر المعجزة من السماء، فاللّه لم يخطط لنبيه على أساس المعجزة و الكرامة و حسب، و لا تكرم عليه بها إلا بعد أن رأى منه الاستعداد و التضحية و المبادرة إليها، فاستحق اللطف الالهى، و تحقق مصداق قوله تعالى:

لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ. و إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ.

بين النظرة المصلحية، و الواقع:

و لقد وقع المشركون فى تناقض عجيب، فهم فى نفس الوقت الذى يصرون فيه على تكذيب النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و الافتراء عليه، حتى إنهم كانوا يقولون عنه: إنه مجنون. ساحر. شاعر.

كاهن، الخ. نراهم يأتمنونه على أموالهم و ودائعهم إلى الحد الذى يحتاج معه إلى أن يترك ابن عمه ينادى فى الناس ثلاثة أيام؛ ليأتوا إليه و يأخذوا ودائعهم، و هل يؤمن المجنون، و الكذاب، و الكاهن، و العدو؟!.

فإن ذلك إن دل على شىء فإنما يدل على أن عدم إيمان المشركين بما يدعوهم إليه ليس إلا استكبارا و عنادا، لا عن قناعة بعدم صحة ما جاءهم به، و قد قال تعالى: وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ «۱».

---

(۱) النمل/ ۱۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۰

أى أنهم كانوا يجحدون بما جاءهم به، إما زعما منهم: أن فى ذلك حفاظا على مصالحهم الشخصية و مستقبلهم، و إما تقليدا أعمى للضالين من آبائهم و اجدادهم، و إما حفاظا على امتيازاتهم، أو حسدا، أو غير ذلك.

و إن ابقاء على «عليه السلام» فى مكة ليؤدى للناس أماناتهم و ودائعهم، فى ظروف حساسة، و خطيرة جدا كهذه الظروف، لهو من أروع الامثلة للإنسان الكامل، الذى يلتزم بمبادئه، و يحترم قناعاته، و لا يحيد عما رسمه اللّه له قيد شعرة، و لا يبحث عن المعذرات و الفرص، و إنما هو يعيش من أجل مبادئه العليا، و تحقيق أهدافها. و لا يعتبر المبدأ وسيلة لتحقيق مآربه و أهدافه.

نعم لقد كان «صلى اللّه عليه و آله و سلم» امينا عندهم، و سمّوه ب «الأمين». و كان ذلك من ابرز صفاته الشخصية حتى قبل نبوته. و ها هو يؤدى إليهم أماناتهم، مع أنهم يريدون نفسه و دمه، و محو كل آثاره من الوجود، و تشويه كل ما يرتبط به. و لكن ذلك لا يحول بينه و بين أن يهتم بامانات الناس، برّهم و فاجرهم. و قد كان له كل العذر لو أنه لم يردها عليهم.

و بالمناسبة فإننا نعطى بعض المحققين الحق فى أن يتعجب أو يستغرب، كيف لا يرى أحاديث عامة أهل السنة تهتم بهذه الصفة العظيمة، صفة الأمانة التى هى أساس إنسانية الانسان.

و لكن لا عجب من ذلك و لا غرابة فيه؛ فإن أحاديث «الحكمة» قد محيت أيضا و ذهبت منذ توفى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بعناية و تعمد تام من قبل الخلفاء الحكام، و إلا فأين هذا الأمر الذى يخبر اللّه فى أكثر من سبع آيات: أنه كان من جملة مهمات و وظائف النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى أيام رسالته: يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ. فقد عرفنا:

أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد علم الناس الكتاب، و قد بقى هذا

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۱

الكتاب بحفظ من اللّه: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ، وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ «۱».

و لكن أين هى تلك الحكمة التى علمها النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لأمته، و نحن نرى: أنه لم يبق منها عند علماء الاسلام و من يهتم بالأحاديث سوى نحوا من خمس مئة حديث فى أصول الاحكام و مثلها فى اصول السنن «۲» و هل كان من بينهما شىء فى

الحكمة يا ترى؟.

نعم نحن نجد فى أحاديث الأئمة الاطهار عليهم الصلاة و السلام الكثير من الحكمة، و من بينها الكثير من الاحاديث فى الأمانة و الصدق الذى هو شعبة منها، و قد جعلوها محورا للاخلاق العملية. و اهتموا بها بصورة عجيبة و ظاهرة.

الأرض و المبدأ:

لقد رأينا: أن الأرض ليست هدفا فى نظر الاسلام، و إنما الهدف هو الاسلام نفسه، فإن المقام فى الأرض و الاحتفاظ بها، إذا كان معناه الذل و القهر، و الحرمان، و عدم تحقيق الاهداف الدينية السامية الكبرى، التى تكون بها سعادة الانسان، فيجب ترك هذه الأرض و التخلى عنها إلى غيرها، من أجل الصلاح و الإصلاح، و بناء المستقبل، و الحصول على السعادة و الكرامة الحقيقية. فالانسان أولا، و كل ما عداه فإنما هو من أجله، و فى خدمته.

و من معطيات الهجرة أيضا:

و بعد هذا، فإن قضية الهجرة تعطينا: وجوب نصر المسلمين بعضهم بعضا حيث رأينا: أن المهاجرين قد استعانوا بإخوانهم الأنصار

---

(۱) الحجر/ ۹.

(۲) مناقب الشافعى ج ۱ ص ۴۱۹ و عن الوحى المحمدى ص ۲۴۳.

فأعانوهم و نصروهم على أعدائهم.

كما أنها تعطينا وجوب أن يكون المسلمون يدا واحدة على من سواهم، من دون أن يكون للروابط القبلية أى تأثير فى ذلك. و وجوب أن يكون المنطلق لهم فى تعاونهم و توادّهم، و تراحمهم، و التأسى فى المعاش فيما بينهم، هو الدين و العقيدة. لا- الروابط القبلية، أو المصلحية، أو غير ذلك.

ثم هى تعطينا حسن التدبير، و دقة التخطيط الذى اتبعه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى تلك الظروف الحرجة و العصيبة، فإن مبيت أمير المؤمنين «عليه السلام» هو الذى جعل قريشا تطمئن إلى وجوده «صلى اللّه عليه و آله و سلم» على فراشه، حينما جاء من أخبر المحيطين بالبيت بأنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد خرج و انطلق لحاجته «۱».

أبو طالب فى حديث الغار:

و قد جاء فى بعض الروايات: أن أبا طالب «عليه السلام»، قال للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» حينما ائتمروا به: هل تدرى ما ائتمروا بك؟ قال: يريدون أن يسجنونى، أو يقتلونى، أو يخرجونى. قال: من حدثك بهذا؟ قال: ربى. قال: نعم الرب ربك الخ «۲».

و نقول: إن هذه الرواية لا يمكن أن تصح، لأن ائتمار هم به «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد كان بعد بيعة العقبة الثانية، و قبل الهجرة بقليل.

أى فى السنة الثالثة عشرة من البعثة، و أبو طالب قد توفى فى السنة العاشرة من البعثة، أى بعد خروج المسلمين من الشعب.

---

(۱) تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۱۰۰.

(۲) الدر المنثور ج ۳ ص ۲۷۹ عن سنيد، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و أبى الشيخ.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۳

إلاـ أن يقال: إن من الممكن أن يكونوا قد ائتمروا أن يفعلوا به ذلك اكثر من مرة، فأخبر اللّه تعالى نبيه بذلك، ثم عزموا على تنفيذ مؤامرتهم فى وقت متأخر. و لعل الرواية المذكورة آنفا تؤيد ذلك.

مع آية الغار:

قال تعالى: إِلَّا تَنْصُرُوهُ؛ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا، ثانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُما فِي الْغارِ، إِذْ يَقُولُ لِصاحِبِهِ لا تَحْزَنْ، إِنَّ اللَّهَ مَعَنا؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ، وَ أَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْها، وَ جَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلى، وَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيا، وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ «۱».

ربما يقال: إن هذه الآية تدل على فضل أبى بكر، لأمور:

منها: أنه عبّر عن أبى بكر بأنه ثانى اثنين. بدعوى أنه أحد اثنين فى الفضل، و لا فضل أعظم من كون أبى بكر قرينا للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

و منها: أنه جعل صاحبا للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و الصحبة فى هذا المقام العظيم منزلة عظمى.

و منها: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قال له: «إن اللّه معنا» أى أنه معهما بلحاظ نصرته و رعايته، و من كان شريكا للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى نصرة اللّه له، كان من أعظم الناس.

و منها: قوله تعالى: فأنزل اللّه سكينته عليه؛ فإن السكينة قد انزلت على أبى بكر؛ لأنه هو المحتاج إليها، لما تداخله من الحزن، دون النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: لأنه عالم بأنه محروس من اللّه سبحانه

---

(۱) التوبة/ ۴۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۴

و تعالى «۱».

و لكن ذلك كله لا يصح:

و ذلك لما يلى:

۱- إن عائشة تقول: ما أنزل اللّه فينا شيئا من القرآن، غير أن اللّه أنزل عذرى «۲» و حتى عذرها هذا قد ثبت أنه لا يمكن أن يكون قد نزل فيها، كما أثبتناه فى كتابنا حديث الافك.

۲- أما كونه ثانى اثنين، فليس فيه إلا الاخبار عن العدد، و هو لا يدل على الفضل، إذ قد يكون الثانى صبيا، أو جاهلا، أو مؤمنا، أو فاسقا الخ ..

و الفضيلة فى القرآن منحصرة بالتقوى: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ، لا بالثانوية.

و يزيد العلامة المظفر: أنه لو كان المراد الاثنينية فى الفضل و الشرف، لكان أبو بكر أفضل لأنه هو الأول، و النبى هو الثانى بمقتضى الآية «۳»!!

۳- من الواضح: أن الهدف فى الآية هو الاشارة إلى أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان فى موقف حرج، و لا من يرد عنه أو يدفع، أما رفيقه فليس فقط لا يرّد عنه، و انما هو يمثل عبئا ثقيلا عليه،

---

(۱) راجع: دلائل الصدق ج ۲ ص ۴۰۴ و ۴۰۵.

(۲) صحيح البخارى ط سنة ۱۳۰۹ ج ۳ ص ۱۲۱، و تفسير ابن كثير ج ۴ ص ۱۵۹، و فتح القدير ج ۴ ص ۲۱، و الدر المنثور ج ۶ ص ۴۱ و راجع الغدير ج ۸ ص ۲۴۷.

(۳) دلائل الصدق ج ۲ ص ۴۰۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۵

بحزنه و خوفه و رعبه، فبدل أن يخفف عن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و يشد من أزره، يحتاج إلى أن يخفف نفس النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» عنه، و يسليه!! أو على الأقل لم يكن له أى أثر فى الدفاع عن الرسول، و التخفيف من المشقات التى يتحملها، إلا أنه قد زاد العدد، و صار العدد بوجوده اثنين.

۴- اما جعله صاحبا للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، فهو أيضا لا فضيلة فيه؛ لأن الصحبة لا تدل على أكثر من المرافقة و الاجتماع فى مكان واحد، و هو قد يكون بين العالم و غيره، و الكبير و الصغير، و بين المؤمن و غيره، قال تعالى: وَ ما صاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ «۱»، و قال: قالَ لَهُ صاحِبُهُ، وَ هُوَ يُحاوِرُهُ: أَ كَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ؟ «۲».

فالصحبة من حيث هى لا فضل فيها.

۵- اما قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ مَعَنا؛ فقد جاء على سبيل التسلية لأبى بكر؛ ليذهب حزنه، و يذّكره بأن اللّه تعالى سوف يحفظهم عن أعين المشركين، و ليس فى ذلك فضيلة له، بل فيه اخبار بأن اللّه ينجيهم من أيدى اعدائهم، و لسوف ينجى اللّه أبا بكر مقدمة لنجاة نبيه.

و هذا نظير ما اشارت اليه الآية الكريمة التى تقول وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ إذن، فنجاة المشركين من العذاب لأجل النبى، أو لأجل وجود مؤمن مقيم فيما بينهم لا يوجب فضلا للمشركين.

۶- إن هذا الحزن قد صدر منه؛ كما يقول المؤرخون- بعد ما رأى من الآيات الباهرة و المعجزات الظاهرة، التى توجب اليقين بأن اللّه يردّ عن نبيه، و يحفظه من اعدائه. فهو قد عرف بخروجه من بين القوم، و هم لا يرونه، و رأى نسج العنكبوت على باب الغار، و رأى الحمامة تبيض

---

(۱) التكوير الآية/ ۲۲.

(۲) الكهف الآية/ ۳۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۶

و تقف على باب الغار، و غير ذلك، كما أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان يخبر: المسلمين بأنه ستفتح على يديه كنوز كسرى و قيصر، و ان اللّه سيظهر دينه، و ينصر نبيه، فحزن أبى بكر فى مقام كهذا، و عدم ثقته بنصر اللّه مع رؤيته لكل هذه الآيات لمما يجب أن يردع عنه و يمنع منه، و النهى عنه مولوى، و هو يكشف عن عدم رسوخ قدم له فى معرفة جلال و عظمة اللّه.

و قد قيل: إن أبا بكر قال: يا رسول اللّه، إن حزنى على أخيك على بن أبى طالب ما كان منه. فقال له النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»:

إن اللّه معنا «۱».

۷- أما قولهم إن النصر كان من اللّه لهما معا، فهو شريك للنبى فى نصرة اللّه لهما، و هذا فضل عظيم.

فهو أيضا باطل؛ و يدفعه صريح الآية، فإنها قد خصت نصر اللّه تعالى- و لعله بمعنى أنه تعالى نجّى نبيه من الكفار- بالرسول، قال تعالى: إِلَّا تَنْصُرُوهُ (الضمير يرجع إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم») فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ إلخ. فالنصر إذن ثابت لخصوص النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و أبو بكر تابع محض، و التبعية فى النصرة إنما هى لأجل اجتماعهما فى مكان واحد، و ذلك لا يدل على فضل لأبى بكر «۲». أو فقل: إن حفظه لأبى بكر إنما هو مقدمة لحفظ شخص النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كما قلنا.

۸- و أما قضيـة السكينة، فلا يصح قولهم: إنها نزلت على أبى بكر، بل هى نازلة على خصوص النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، لأن الضمائر المتأخرة و المتقدمة فى الآية كلها ترجع إليه «صلى اللّه عليه و آله

---

(۱) راجع ما تقدم فى كنز الفوائد للكراجكى ص ۲۰۴ و ۲۰۵.

(۲) دلائل الصدق ج ۲ ص ۴۰۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۷

و سلم» بلا خلاف، و ذلك فى قوله: تنصروه. نصره. يقول. أخرجه.

لصاحبه. أيده. فرجوع ضمير فى وسطها إلى غير النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يكون خلاف الظاهر، و يحتاج إلى قرينة قاطعة.

كلام الجاحظ، و ما فيه:

و نـاقش الجاحظ «۱» و غيره فقـالوا: إن النبى «صـلى اللّه عليه و آله و سـلم» لم يكن بحاجـة إلى السـكينة لتنزل عليه. و كـأنه يريـد أن يجعل من ذلك قرينة لصرف اللفظ عن ظاهره.

و لكنه كلام باطل.

أولا: قال تعالى فى سورة التوبـة فى الآية ۲۶ عن قضـية حنين: ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَـكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ. و قال فى سورة الفتح فى الآية ۲۶: فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ.

فهاتان الآيتان تدلان على نزول السكينة عليه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، فلا يصح ما ذكره الجاحظ.

و من جهـة ثانيـة نرى، أنه تعالى قـد ذكر نزول السـكينة على المؤمنين فقال: هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِيَزْدادُوا إِيماناً «۲».

و قال: فَعَلِمَ ما فِى قُلُوبِهِمْ؛ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَ أَثابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً «۳».

و هنا قد يتساءل البعض عن سرّ اخراج ابى بكر من السكينة، و لم حرم منها هنا، مع أن اللّه قد أنزلها على النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»

---

(۱) العثمانية ص ۱۰۷.

(۲) الفتح/ ۴.

(۳) الفتح/ ۱۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۸

هنا و عليه و على المؤمنين فى غير هذا الموضع؟!!

و أقول: لربما يمكن الجواب: بأن انزالها على الرسول هنا، يكفى؛ لأن فى نجاته نجاة لصاحبه، و فى خلاصه خلاصه.

و لكنه جواب متهالك؛ لأن السكينة إنما توجب اطمينان القلب، و ذهاب القلق، و هو أمر آخر غير النجاة و الخلاص.

فيبقى السؤال الآنف بانتظار الجواب.

ثانيا: إن السـكينة هى: نعمـة من اللّه تعالى: و لا يجب فى نزول النعمـة الاتصاف بما يضادها، و لـذلك تنزل الرحمة بعد الرحمة. و قد يكون نزول السكينة يهدف إلى زيادة الايمان قال تعالى؛ مشيرا إلى ذلك: هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدادُوا إِيماناً.

و ثالثا: من أين علموا: أن النبى «صـلى اللّه عليه و آله و سـلم» لم يكن بحاجة إلى السكينة مع عدم وجود ما يدل عليه فى الآية، فلتكن

كآية حنين بمعنى أن هذه السكينة بمثابة الاعلام بأن مرحلة الخطر القصوى قد انتهت؟!

و لما ذا لا يظن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: أن حزن أبى بكر، و رعبه و خوفه، و بكاءه. قد كان لمشاكل أخرى و هو «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و ان كان يعلم: أنه سوف ينجو منها فى النهاية، إلا- أنها تشكل على الأقل عراقيل و موانع، تؤخر وصوله إلى هدفه الاقصى و البعيد.

رابعا: يرى العلامة الطباطبائى: أن الآية مسوقه لبيان نصر اللّه تعالى نبيه، حيث لم يكن معه أحد يتمكن من نصرته، و من هذا النصر انزال السكينة عليه، و تقويته بالجنود، و يدل على ذلك تكرار كلمة (إذ) ثلاث مرات، كل منها بيان لما قبله بوجه، فتارة لبيان وقت النصر، و أخرى لبيان حالته «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و ثالثة لبيان وقت هذه الحالة؛

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۹

فالتأييد بالجنود كان لمن نزلت السكينة عليه «۱».

و يقول بعض الاعلام «۲»: إن أبا بكر لما لم يستجب لطلب النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى أن لا- يحزن و لا- يخاف، فإن السكينة نزلت عل النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و بقى أبو بكر على عدم سكينته، الأمر الذى يدل على أن أبا بكر لم يكن مؤهلا لهذا التفضل و التكرم من اللّه تعالى.

ماذا يقول المفيد هنا، و بماذا يجيبون:

و يقول المفيد، و غيره: إن حزن أبى بكر إن كان طاعة للّه؛ فالنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لا ينهى عن الطاعة؛ فلم يبق إلا أنه معصية «۳».

و أجاب الحلبى و غيره: بأن اللّه خاطب نبيه بقوله: وَ لا- يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ فنهى اللّه لنبيه لم يكن إلا تأنيسا و تبشيرا له، و كذلك نهى النبى لأبى بكر «۴».

و نحن نرى أن جواب الحلبى هذا فى غير محله، و ذلك:

لأن حزن أبى بكر، و شكّه فى نصر اللّه، الذى يشير إليه قوله «صلى اللّه عليه و آله و سلم» له: «إن اللّه معنا» كان مما لا يجمل و لا يحسن؛ إذ كان عليه أن يثق بنصر اللّه سبحانه و تعالى لنبيه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، بعد ما رأى المعجزات الظاهرة، و الآيات الباهرة، الدالة على أن

---

(۱) راجع: تفسير الميزان ج ۹ ص ۲۸۰ ط بيروت.

(۲) هو العلامة المحقق السيد مهدى الروحانى.

(۳) الافصاح فى امامة امير المؤمنين على «عليه السلام» ص ۱۱۹ و كنز الفوائد للكراجكى ص ۲۰۳.

(۴) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۰

اللّه تعالى سوف ينجى نبيه من كيد المشركين.

و عليه فلا يمكن أن تكون الآية واردة فى مقام مدحه و تقريظه، و لا بد من حمل النهى على ما هو ظاهر فيه، و لا يصرف عن ظاهره إلا بقرينة.

بل ما ذكرناه يكون قرينة على تعيّن هذا الظاهر.

و لا يقاس حزن أبى بكر بحزن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و المشار إليه بقوله تعالى: وَ لا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ و غيرها، لأن النبى

«صلى اللّه عليه و آله و سلم» إنما كان يحزن من أجل ما يراه من العوائق أمام دعوته، و الموانع التى تعترض طريق انتشار و انتصار دينه، لما يراه من استكبار قومه، و مقامهم على الكفر و الطغيان. فالنهى له «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى الآية المتقدمة، و لموسى «عليه السلام» فى آية أخرى، ليس نهى تحريم، و إنما هو تأنيس و تبشير بالنصر السريع لدينه، و للتنبيه على عدم الاعتناء بقولهم، و عدم استحقاقهم للحزن و الاسف.

فحزن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» هنا يدل على عمق ايمانه، و فنائه فى ذات اللّه تعالى، و هو لا يقاس بحزن من يحزن من أجل نفسه، و من أجل نفسه فقط.

و الآيات صريحة فيما نقول: فنجد آية تقول: إنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان يحزن لمسارعة قومه فى الكفر: لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِي الْكُفْرِ «۱» و مَنْ كَفَرَ فَلا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ «۲» و أخرى تقول:

إنه يحزن لما بدا له من تكذيبهم إياه: قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ؛ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ «۳» و ثالثة تقول: إنه كان يحزن لاتخاذهم آلهة من دون اللّه فَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ، إِنَّا نَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَ ما يُعْلِنُونَ «۴».

---

(۱) آل عمران/ ۱۷۶، و المائدة ۴۱.

(۲) لقمان/ ۲۳.

(۳) الانعام ۳۳.

(۴) سورة يس/ ۷۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۱

و هكذا سائر الآيات، كما لا يخفى على من لاحظها.

فالآيات على حد قوله تعالى: فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ «۱» فهو حزن حسن منه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و هو يدل على كمال صفاته، و سجاحة أخلاقه. صلوات اللّه عليه و آله الطاهرين.

اضف إلى كل ما تقدم: اننا لو لم نعرف واقع حزن أبى بكر، فإننا لا يمكن أن نقيسه على حزن النبى المعصوم، بل علينا أن نأخذ بظاهر النهى، و هو التحريم، و لا يعدل عن ظاهره إلا بدليل.

سؤال يحتاج إلى جواب:

و إذا كان أبو بكر يحزن مع ما يرى من الآيات و المعجزات، و لا يصبر لينال أجر الصابرين الموقنين، فكيف تكون حالته لو أراد أن ينام فى مكان أمير المؤمنين على «عليه السلام» فى تلك الليلة المهولة؟! و هل من الممكن أن لا يضعف و ينهار أمام كيد قريش، و يستسلم لجبروتها فى اللحظات العسيرة. و لتنقلب من ثم مجريات الامور رأسا على عقب؟.

هذا السؤال يطرح نفسه، و ربما لا، و لن يجد الجواب الكافى و الشافى فى المستقبل القريب على الأقل.

سؤال آخر: و هو أنه هل يمكن أن نصدق بعد هذا ما يدعى من أشجعية أبى بكر بالنسبة لسائر الصحابة؟!

و سيأتى ان شاء اللّه تعالى حين الكلام على غزوة بدر، بعض ما يرتبط بهذا السؤال الثانى، فإلى هناك.

تحيّر أبى بكر فى حراسته للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»:

و يقولون: إن أبا بكر كان فى الطريق إلى الغار- تارة يمشى أمام

(۱) فاطر/ ۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۲

النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و أخرى خلفه، و ثالثة عن يمينه، و رابعة عن يساره؛ فسأله رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» عن ذلك، فقال:

يا رسول اللّه، اذكر الرصد فأكون أمامك، و أذكر الطلب فأكون خلفك، و مرة عن يمينك، و مرة عن يسارك، لا آمن عليك «۱».

و هذا كلام لا يصح؛ أولا: لأن حزنه فى الغار، و خوفه و هو يرى الآيات و المعجزات التى يذكرها نفس هؤلاء الراوين لهذه الرواية قد زاد فى كدر النبى الاعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، حتى لقد احتاج النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إلى أن ينزل اللّه سكينته عليه.

ثانيا: عدا عن ذلك فإنه لا معنى لتخوف الرصد، فقد كانت قريش مطمئنة إلى أنها تحاصر النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و تحيط به.

و أنه لن يكون له نجاة من مكرها و كيدها. ثم هل كان لديه سلاح يدفع به عن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، أو عن نفسه؟!.

ثالثا: أضف إلى ذلك كله:

فراره فى احد، و حنين، و خيبر، كما سنرى إن شاء اللّه تعالى. و لم يؤثر عنه فيما سوى ذلك أى موقف شجاع يذكر.

و قد يكون للقصة أصل إذا كان يفعل ذلك من جهة خوفه على نفسه، فكان يبحث عن موقع يشعر فيه بالأمن فلا يجده!! ثم حرفت و حوّرت حتى صارت كما ترى، فتبارك اللّه أحسن الخالقين!!

التأكيد على موقف أبى بكر.

و إننا نكاد نطمئن إلى أن الهدف من هذا و سواه هو تعويض أبى بكر عما فقده، فى مقابل مبيت على «عليه السلام» على فراش النبى

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۲۶، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۳

الاكرم «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، حيث باهى اللّه به ملائكته، و هو مقام ناله على «عليه السلام» بجهاده و بصبره، و اخلاصه.

من يشرى نفسه ابتغاء مرضات اللّه:

قد ورد: أن اللّه تعالى أوحى إلى جبرائيل و ميكائيل: إنى آخيت بينكما، و جعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كلا هما الحياة.

فأوحى اللّه إليهما: ألا كنتما مثل على بن أبى طالب، آخيت بينه و بين محمد «صلى اللّه عليه و آله و سلم»؛ فبات على فراشه يفديه بنفسه، و يؤثره بالحياة؟ اهبطا إلى الأرض، فاحفظاه من عدوه.

فنزلا، فكان جبرئيل عند رأسه، و ميكائيل عند رجليه، و جبرئيل ينادى: بخ بخ، من مثلك يا ابن أبى طالب، يباهى اللّه به الملائكة.

فأنزل اللّه عز و جل:

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ، وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ «۱».

(۱) الآيـة فى سورة البقرة/ ۲۰۷ و الروايـة فى: اسـد الغابة ج ۴ ص ۲۵، و المسـتجاد للتنوخى ص ۱۰، و ثمرات الاـوراق ص ۳۰۳، و تفسير البرهان ج ۱ ص ۲۰۷.

و احياء العلوم ج ۳ ص ۲۵۸، و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۳۹، و كفاية الطالب ص ۲۳۹، و شواهد التنزيل ج ۱ ص ۹۷، و نور الابصار ص ۸۶، و الفصول المهمـة لابن الصـباغ ص ۳۱، و تـذكرة الخواص ص ۳۵ عن الثعلـبى، و تاريـخ الخميس ج ۱ ص ۳۲۵ و ۳۲۶، و البحار ج ۱۹ ص ۳۹ و ۶۴ و ۸۰ عن الثعلبى فى كنز الفوائـد و عن الفضائل لأحمـد ص ۱۲۴ و ۱۲۵، و عن الروضـة ص ۱۱۹، و هى ايضا فى:

المناقب للخوارزمى ص ۷۴ و ينابيع المودة ص ۹۲ عن ابن عقبة فى ملحمته و قال فى حبيب السير ج ۲ ص ۱۱: إن ذلك مذكور فى كثير من كتب السير و التاريـخ. و الروايـة فى تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۲۵ و ۴۵۸ و التفسـير الكبير ج ۵ ص ۲۰۴ و الجامع لاحكام القرآن ج ۳ ص ۲۱ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۶۸

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۴

و راجع: السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۱۵۹ و فرائد السمطين ج ۱ ص ۳۳۰ و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۴ و تلخيص المستدرك للذهبى بهامش نفس الصفحة، و مسند أحمد ج ۱ ص ۳۳۱ و ترجمة الامام على «عليه السـلام» من تاريخ دمشق تحقيق المحمودى ج ۱ ص ۱۳۷ و ۱۳۸. و المنـاقب للخوارزمى ص ۷۴ و دلائل الصـدق ج ۲ ص ۸۱ و ۸۲ و الامالى للطوسى ج ۲ ص ۸۴ و كشف الغمة للاربلى ج ۱ ص ۳۱۰ و راجع ص ۱۷۸ و ۸۲.

و راجع، الارشاد للمفيـد ص ۳۱ و روضـة الواعظين ص ۱۰۷ و خصـائص الوحى المبين ص ۹۴ و ۹۳ و راجع ص ۹۱ و العمدة لابن البطريق ص ۲۴۰ و راجع ص ۲۳۸ و رواه فى: غرائب القرآن للنيسـابورى بهامش جامع البيان ج ۲ ص ۲۹۱ و راجع: المواهب اللدنية ج ۱ ص ۶۰ و نقله المحمـودى فى هوامش شواهـد التنزيـل ج ۱ ص ۹۷ عن غايـة المرام ص ۳۴۶ باب ۴۵ و عن تفسـير ابى الفتوح الرازى ج ۲ ص ۱۵۲ و نقله المرعشـى فى ملحقات احقاق الحق و التعليقات عليه ج ۳ ص ۲۴- ۳۴ و ج ۸ ص ۳۳۹ و ج ۶ ص ۴۷۹ و ۴۸۱ و ج ۲۰ ص ۱۰۹- ۱۱۴ و ج ۱۴ ص ۱۱۶ عن عدد ممن قدمنا، و عن المصادر التالية:

اللوامع ج ۲ ص ۳۷۶ و ۳۷۵ و ۳۷۷ عن المجمع و المبـانى، و عن ابى نعيم و الثعلبى و غيرهم و عن البحر المحيط ج ۲ ص ۱۱۸ و عن معارج النبوة ج ۱ ص ۴ و عن مـدارج النبوة ص ۷۹ و عن منـاقب المرتضوى ص ۳۳، و عن روح المعانى ج ۲ ص ۷۳ عن الامامية و بعض من غيرهم و عن مرآة المؤمنين ص ۴۵ و عن تلخيص المتشابه فى الرسم، للخطيب البغدادى ج ۱ ص ۴۱۴ و عن امتاع الاسماع ص ۳۸، و عن مقاصـد الطالب ص ۷ و عن وسـيلة النجاة ص ۷۸ و عن المنتقى للكـازرونى ص ۷۹ مخطوط. و عن روض الاـزهر ص ۳۷۱ و عن ارجح المطالب ص ۷۰ و ۵۰۷ و ۴۰۷ و عن اتحاف السادة المتقين ج ۸ ص ۲۰۲ و عن مفتاح النجا فى مناقب آل العبا: ص ۲۳ مخطـوط و عن روض الاحبـاب للهروى ص ۱۸۵ و عن تفسـير الثعلبى و عن السـيرة المحمدية للكازرونى مخطوط و عن مكاشـفة القلوب ص ۴۲ و عن توضيح الدلائل ص ۱۵۴ مخطوط و عن الكوكب المضى ص ۴۵ مخطوط و عن غاية المرام فى رجال البخارى سيد الانام ص ۷۱ مخطوط و عن الكشف و البيـان و عن المختـار فى مناقب الاخيار ص ۴ مخطوط و عن مناهج الفاضـلين للحموينى مخطوط. و قال ابن شهر آشوب: ان هذا الحديث قد رواه الثعلبى، و ابن عاقب فى ملحمته و ابو

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۵

قال الاسكافى: «و قد روى المفسرون كلهم: أن قوله تعالى:

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ، نزلت فى على «عليه السلام» ليلة المبيت على الفراش «۱»».

كذبة مفضوحة:

و بما ذكرناه من المصادر لنزول آية الشراء فى على «عليه السلام»، و بما ذكره الاسكافى أيضا يظهر كذب ما ذكره فضل بن روز بهان، من أن أكثر المفسرين يقولون: إن الآية قد نزلت فى الزبير و المقداد، حيث أرسلهما النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إلى مكة لينزلا خبيب بن عدى عن الخشبة التى صلب عليها، و كان حول خشبته أربعون من المشركين، فخاطرا بأنفسهما حتى انزلاه، فأنزل اللّه الآية «۲».

و يذكر المظفر أن المفسرين لم يذكروا ذلك، حتى السيوطى، و الرازى، و الكشاف. مع أن الرازى قد جمع فى تفسيره كل أقوالهم،

السعادات فى فضائل العشرة، و الغزالى فى الاحياء، و فى كيمياء السعادة عن عمار، و ابن بابويه، و ابن شاذان و الكلينى، و الطوسى، و ابن عقدة، و البرقى، و ابن فياض، و العبدلى، و الصفوانى و الثقفى بأسانيدهم عن ابن عباس، و أبى رافع و هند بن أبى هالة.

و الغدير ج ۲ ص ۴۸ عن بعض من تقدم، و عن: نزهة المجالس ج ۲ ص ۲۰۹ عن السلفى. و نقله المحمودى فى هوامش شواهد التنزيل عن بعض من تقدم، و عن: ابى الفتوح الرازى ج ۲ ص ۱۵۲ و غاية المرام باب ۴۵ ص ۳۴۶.

و أشار إليه مغلطاى فى سيرته ۳۱، و المستطرف، و كنوز الحقائق ص ۳۱. و راجع دلائل الصدق ج ۲ ص ۸۱/ ۸۲.

(۱) راجع: شرح النهج ج ۱۳ ص ۲۶۲.

(۲) سيأتى ذلك مع مصادره و مع ما فيه من وجوه ضعف فى هذا الكتاب فى فصل:

جثة خبيب.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۶

و السيوطى جمع عامة رواياتهم.

و ذكر فى الاستيعاب فى ترجمة خبيب: أن الذى ارسله النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لإنزاله هو عمرو بن أمية الضمرى «۱»

و سيأتى: عدم صحة ذلك فى الجزء السادس من هذا الكتاب.

و ابن تيمية ماذا يقول؟!

اشارة

و قد أنكر (إبن تيمية) على عادته فى انكار فضائل أمير المؤمنين على «عليه السلام» و قال: كذب باتفاق أهل العلم بالحديث و السير.

و أيضا قد حصلت له الطمأنينة بقول الصادق له: لن يخلص إليك شىء تكرهه منهم؛ فلم يكن فيه فداء بالنفس، و لا إيثار بالحياة. و الآية المذكورة فى سورة البقرة، و هى مدنية باتفاق. و قد قيل: إنها نزلت فى صهيب (رضى اللّه عنه) لما هاجر «۲».

و نقول:

۱- إن كانت الآية مدنية بالنسبة إلى على «عليه السلام»؛ فهى أيضا مدنية بالنسبة إلى صهيب. فما يقال هناك يقال هنا.

۲- لقد أجاب الاسكافى المعتزلى على دعوى الجاحظ: أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قال لعلى: لن يصل إليك شىء تكرهه! فقال: «هذا هو الكذب الصراح، و الادخال فى الرواية ما ليس منها.

و المعروف المنقول، أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قال له: فاضطجع فى مضجعى، و تغشّ ببردى الحضرمى، فإن القوم سيفقدوننى، و لا يشهدون مضجعى؛ فلعلهم إذا رأوك يسكّنهم ذلك، حتى يصبحوا؛ فإذا أصبحت

(۱) راجع: دلائل الصدق ج ۲ ص ۸۲.

(۲) السیرة الحلبیة ج ۲ ص ۲۷.

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۴،ص:۳۷

فاغد فی امانتی».

و لم ینقل ما ذکره الجاحظ، و إنما ولّده أبو بکر الأصم، و أخذه الجاحظ. و لا أصل له.

و لو کان هذا صحیحا لم یصل إلیه منهم مکروه، و قد وقع الاتفاق علی أنه ضرب، و رمی بالحجارة قبل أن یعلموا من هو، حتی تضور، و انهم قالوا له: رأینا تضورک إلخ ... «۱»».

هذا و قد تقدم فی أوائل هذا الفصل: أن النبی «صلی اللّه علیه و آله و سلم» إنما قال لعلی «علیه السلام»: انه لا یصل إلیه شیء یکرهه. بعد مبیته علی الفراش، و ذلک حینما التقی معه فی الغار، و أمره برد ودائعه، و أن ینادی فی مکة بذلک. و طمأنه إلی أن نداءه هذا لن یتسبب له بمتاعب و صعوبات و لیس المقصود: أنه لن یناله مکره من أی مشرک فی جمیع الأحوال و الأزمان.

۳- و یدل علی أنه کان موطنا نفسه علی القتل ما یلی:

الف: إنه لو صح ما ذکره ابن تیمیة لم یکن معنی للافتخار بموقفه ذاک؛ فقد روی أن عائشة فخرت بأبیها، و مکانه فی الغار مع الرسول، «صلی اللّه علیه و آله و سلم»، فقال عبد اللّه بن شداد بن الهاد:

و أین أنت من علی بن أبی طالب، حیث نام فی مکانه، و هو یری أنه یقتل؛ فسکتت، و لم تحر جوابا «۲».

ب- و عن أنس: أنه «علیه السلام» کان موطّنا نفسه علی القتل «۳».

ج- إن علیا نفسه قد اکد علی هذا، و دفع کل شبهة فیه، حینما قال

(۱) شرح النهج للمعتزلی ج ۱۳ ص ۲۶۳.

(۲) أمالی الشیخ الطوسی ج ۲ ص ۶۲، و البحار ج ۱۹ ص ۵۶ عنه.

(۳) المصدران السابقان.

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۴،ص:۳۸

شعره المتقدم.

وقیت نفسی خیر من وطأ الثری.

إلی أن قال:

و بت أراعیهم متی یثبتوننیو قد وطّنت نفسی علی القتل و الأسر

و بات رسول اللّه فی الغار آمناهناک و فی حفظ الا له و فی ستر «۱» د: و عنه «علیه السلام»: «و أمرنی أن أضطجع فی مضجعه، و أقیه بنفسی، فاسرعت إلی ذلک مطیعا له، مسرورا لنفسی بأن أقتل دونه، فمضی «صلی اللّه علیه و آله و سلم» لوجهه، و اضطجعت فی مضجعه، و أقبلت رجالات قریش موقنة فی أنفسها أن تقتل النبی «صلی اللّه علیه و آله و سلم»، فلما استوی بی و بهم البیت الذی أنا فیه ناهضتهم بسیفی؛ فدفعتهم عن نفسی بما قد علمه اللّه و الناس. ثم أقبل علی أصحابه، فقال: أ لیس کذلک؟ قالوا: بلی یا أمیر المؤمنین «۲»».

و قیل انهم ضربوا علیا، و حبسوه ساعة، ثم ترکوه «۳».

ملاحظة:

يمكن أن يفهم مما تقدم: أن الحديث الذى يقول: إنه «عليه

---

(۱) نور الابصار ص ۸۶، و شواهد التنزيل ج ۱ ص ۱۰۲، و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۴ و تلخيصه للذهبى هامش نفس الصفحة، و أمالى الشيخ ج ۲ ص ۸۳، و تذكرة الخواص ص ۳۵، و فرائد السمطين ج ۱ ص ۳۳۰، و مناقب الخوارزمى ص ۷۴/ ۷۵، و الفصول المهمة لابن الصباغ ص ۳۱، و البحار ج ۱۹ ص ۶۳، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۲۵. و السيرة النبوية لدحلان (مطبوع بهامش الحلبية) و المصادر لهذا الشعر كثيرة جدا لا مجال لتتبعها.

(۲) البحار ج ۱۹ ص ۴۵ عن: الخصال ج ۲ ص ۱۴- ۱۵.

(۳) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۲۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۹

السلام» قد حاربهم بسيف خالد موضع شك و ريب، لأنه انما حاربهم بسيفه هو لا بسيف خالد.

إلا أن يقال: ان نسبته إليه لا تدل على ملكيته له.

و قد يكون حاربهم بسيفه أولا، ثم سيف خالد ثانيا بعد أن أخذه منه و إن كان هذا الإحتمال ضعيفا.

۴- و أما دعوى ابن تيمية: أن حديث حراسة جبرائيل و ميكائيل له «عليه السلام»، و نزول الآية فيه، كذب باتفاق أهل العلم بالحديث و السير.

فلا تصح أصلا؛ فإننا لم نجد أحدا منهم صرح بكذب هذه الرواية سواه، فهو يدعى عليهم ما لا يعرفون، و ينسب إليهم ما هم منه بريئون؟.

بل عرفت تصحيح الحاكم و الذهبى لهذا الحديث، و تقدم أيضا طائفة كبيرة من الذين رووه من كبار العلماء و الحفاظ، من دون غمز فيه أو لمز.

إلا أن يكون شيطان ابن تيمية قد أوحى إليه، بأن ينسب إليهم ما هم منه براء.

۵- و أجاب الحلبى عن كلام ابن تيمية بقوله: «... لكنه فى الامتاع لم يذكر أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قال لعلى ما ذكر؛ أى لن يصل إليك شىء تكرهه و عليه فيكون فداؤه للنبى بنفسه واضحا.

و لا مانع من تكرار نزول الآية فى حق على، و فى حق صهيب.

و حينئذ يكون «شرى» فى حق على (رضى اللّه عنه) بمعنى باع، أى باع نفسه بحياة المصطفى. و فى حق صهيب بمعنى اشترى، أى اشترى نفسه بماله.

و نزول هذه الآية بمكة، لا يخرج سورة البقرة عن كونها مدنية؛ لأن

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۴۰

الحكم يكون للغالب «۱»». انتهى

و لكن بعض ما أجاب به الحلبى محل نظر؛ فإن استعمال شرى بمعنى باع تارة و بمعنى اشترى أخرى، محل نظر؛ لأنه يلزم منه استعمال المشترك فى أكثر من معنى، و قد منعه طائفة من العلماء.

و إن كنا نحن نرى: أنه لا مانع من ذلك؛ إلا ما كان من قبيل الاستعمال فى المعنى الحقيقى و المجازى معا و شاهدنا على ذلك صحة التورية و شيوعها فى كلام العرب. فإذا لم نجز استعمال المشترك فى معنيين لم يصح كلام الحلبى حتى و إن كانت الآية قد

نزلت مرتين لأن محل الكلام إنما هو فى قراءتنا نحن للآية، و كيفية فهمنا لها.

هذا عدا عن ان صهيبا لا خصوصية له فى بذله ماله. فإن كثيرا من المهاجرين قد تخلوا عن أموالهم للمشركين و هاجروا فرارا بدينهم.

و عن قضية صهيب نقول:

لقد رووا: أنه لما أراد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» الخروج إلى الغار أرسل أبا بكر مرتين أو ثلاثا إلى صهيب فوجده يصلى، فكره أن يقطع صلاته، و بعد أن جرى ما جرى عاد صهيب إلى بيت أبى بكر، فسأل عن أخويه: النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و أبى بكر، فأخبروه بما جرى. فأراد الهجرة وحده. و لكن المشركين لم يمكنوه من ذلك حتى بذل لهم ماله؛ فلما اجتمع مع النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى قباء قال «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: ربح صهيب ربح صهيب، أو ربح البيع، فأنزل اللّه: و من الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات اللّه الخ «۲».

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷.

(۲) الاصابة ج ۲ فى ترجمة صهيب، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۳ و ۲۴ و الدر المنثور ج ۱ ص ۲۰۴ عن ابن سعد، و ابن أبى أسامة، و ابن المنذر، و ابن ابى حاتم و ابى نعيم فى الحلية، و ابن عساكر و ابن جرير و الطبرانى و الحاكم و البيهقى فى الدلائل و ابن أبى خيثمة و فى النصوص اختلاف.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۴۱

و ألفاظ الرواية مختلفة كما يعلم بمراجعة الدر المنثور للسيوطى و غيره .. و يكفى أن نذكر أن بعضها يذكر: أن الآية نزلت لما أخذ المشركون صهيبا ليعذبوه، فقال لهم: انى شيخ كبير لا يضرّا منكم كنت، أم من غير كم، فهل لكم أن تأخذوا مالى و تدعونى و دينى؟ ففعلوا «۱».

و رواية أخرى تذكر القضية بنحو يشبه ما جرى لأمير المؤمنين حين هجرته، و تهديده إياهم و رجوعهم عنه؛ فراجع «۲».

و لكنها قصة لا تصح:

أولا: لأن ارسال النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أبا بكر إلى صهيب ثلاث مرات فى ظرف كهذا غير معقول، لا سيما و هم يدّعون: أن قريشا كانت تطلب أبا بكر كما تطلب النبى، و جعلت مئة ناقة لمن يأتى به «۳»، و ان كنا نعتقد بعدم صحة ذلك كما سنرى. و لكن قريشا و لا شك إنما كانت تهتم فى أن تستدل على النبى من خلال أبى بكر.

اضف إلى ما تقدم: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لم يخبر أحدا بهجرته تلك الليلة، بل يروون: أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» انما صادف أبا بكر، و هو فى طريقه إلى الغار.

ثانيا: إن كلامه معه و هو فى الصلاة، و اخباره بالامر، لا يوجب قطع صلاة صهيب، إذ باستطاعته أن يلقى إليه الكلام و يرجع دون أن يقطع عليه صلاته كما أنه يمكن أن ينتظره دقيقة أو دقيقتين حتى يفرغ من صلاته، فيخبره بما يريد. و يمكن أيضا أن يوصى أهل بيته أن يبلغوه الرسالة التى يريد ابلاغها إلا إذا كان لم يثق بهم.

إلا أن يدعى: أن ابا بكر كان بحيث لا يدرى كيف يتصرف، أو أنه

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۶۸.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۶۸.

(۳) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۳۰ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۹ و البداية و النهاية ج ۳ ص ۱۸۲ و ارشاد السارى ج ۶ ص ۲۱۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۴۲

كان يرى حرمة إلقاء الكلام ليسمعه المصلى، و كلاهما غير محتمل فى حقه، أو لا- يرضى محبوه بنسبته إليه على الأقل، و باقى الفروض الآنفة تبقى على حالها.

هذا بالاضافة إلى هذه الصدفة النادرة فإنه يأتيه مرتين أو ثلاثا، و هو لا يزال يصلى!!.

ثالثا: لماذا يهتم النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بصهيب خاصة، و يترك من سواه من ضعفاء المؤمنين، الذين كانت قريش تمارس ضدهم أقسى انواع التعذيب و الاذى؛ فلا يرسل إليهم، و لو مرة واحدة، و لا نقول ثلاث مرات؟ و هل هذا ينسجم مع ما نعرفه من عدل النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و عطفه الشديد على أمته؟.

إلا أن يقال: لعل غير صهيب كان مراقبا من قبل المشركين، أو أن صهيبا كان أشد بلاء من غيره، إلى غير ذلك من الاحتمالات التى لا دليل عليها، و لا شاهد لها.

رابعا: اننا نجد بعض الروايات تقول: إن أبا بكر- و ليس النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»- هو الذى قال لصهيب: ربح البيع يا صهيب و ذلك فى قضية أخرى لا ربط لها بحديث الغار «۱» و البعض يذكر القضية، و لكنه لا يذكر نزول الآية فيه «۲».

خامسا: إن الآية إنما تتمدح من يبذل نفسه فى مرضاة اللّه، لا أنه يبذل المال فى مرضاته، و رواية صهيب ناظرة إلى الثانى لا الأول.

سادسا: قد قلنا آنفا: إن صهيبا لم يكن الوحيد الذى بذل ما له فى

---

(۱) راجع: صفين للمنقرى ص ۳۲۵.

و مجمع البيان ج ۶ ص ۳۶۱، و البحار ج ۱۹ ص ۳۵ عنه، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۴.

(۲) سيرة ابن هشام ج ۲ ص ۱۲۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۴۳

سبيل دينه، فلماذا اختص هذا الوسام به دونهم.

سابعا: انهم يذكرون: أنه لم يتخلف مع النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أحد من المهاجرين إلا من حبس أو فتن، إلا عليا و أبا بكر «۱».

ثامنا: إن الرواية القائلة بأن صهيبا كان شيخا كبيرا لا يضر المشركين، أكان معهم أم مع غيرهم.

لا تصح؛ لأن صهيبا قد توفى سنة ثمان أو تسع و ثلاثين و عمره سبعون سنة «۲»؛ فعمره يكون حين الهجرة واحدا أو اثنين و ثلاثين سنة، فهو قد كان فى عنفوان شبابه، لا كما تريد أن تدعيه هذه الرواية المفتعلة.

هذا كله، عدا عن تناقضات روايات صهيب.

و عدا عن أن عددا منها لا يذكر نزول الآية فى حقه.

كما أنها عموما إما مروية عن صهيب نفسه، أو عن تابعى لم يدرك عهد النبى، كعكرمة، و ابن المسيب، و ابن جريح، و ليس هناك سوى رواية واحدة وردت عن ابن عباس الذى ولد قبل الهجرة بثلاث سنين فقط.

و يجب أن يعلم: أن صهيبا كان من اعوان الهيئة الحاكمة بعد النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و ممن تخلف عن بيعة أمير المؤمنين، و كان يعادى أهل البيت «عليهم السلام» «۳».

فلعل المقصود هو مكافأته على مواقفه تلك، بمنحه هذه الفضيلة الثابتة لأمير المؤمنين «عليه السلام»؛ فيكون هؤلاء قد أصابوا عصفورين بحجر واحد. حينما يزين لهم شيطانهم أن عليا يخسر و خصومه يربحون.

---

(۱) سيرة ابن هشام ج ۲ ص ۱۲۳، و سيرة مغلطاى ج ۳۱.

(۲) الاصابة ج ۲ ص ۱۹۶.

(۳) راجع ذلك و غيره فى ترجمة صهيب فى قاموس الرجال ج ۵ ص ۱۳۵/ ۱۳۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۴۴

۵- بقى فى كلام ابن تيمية المتقدم قوله: إن سورة البقرة مدنية، و لو صح نزولها فى على «عليه السلام» لكانت مكية.

و جوابه واضح، فإن نزول الآية لو سلم أنه كان فى نفس ليلة المبيت، فمن الواضح أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان حينئذ فى الغار، و ليس معه سوى أبى بكر؛ فلم يكن ثمة مجال للاعلان بنزول الآية إلا بعد وصوله «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إلى المدينة، و استقراره فيها، ثم إتاحة الفرصة له فى الظرف المناسب لإظهار هذه الفضيلة العظيمة لابن عمه و وصيه. فلا بأس أن تعد بهذا الاعتبار مدنية، و تجعل فى سورة البقرة، التى كان نزولها فى مطلع الهجرة، كما هو معلوم. هذا بالإضافة إلى أن وجود آية مكية فى سورة مدنية ليس بعزيز.

و أما ما ذكره الحلبى من تكرر نزول الآية فلا دليل عليه. بل الأدلة الآنفة تدفعه و تنافيه.

تسمية أبى بكر بالصديق:

يرى البعض: أن اللّه تعالى قد سمى أبا بكر بالصديق فى قضية الغار، كما فى شواهد النبوة، حيث قد روى: أنه حين أذن اللّه تعالى لنبيه بالهجرة، قال لجبرئيل: من يهاجر معى؟ قال جبرئيل: أبو بكر الصديق «۱».

و لكننا نشك فى صحة ذلك:

أولا: لتناقض الروايات فى تسمية أبى بكر بالصديق، و سبب ذلك، و زمانه؛ فمن قائل: إن ذلك كان فى قضية الغار كما هنا. و من قائل: إنه كان حينما رجع النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» من رحلة

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۲۳ عن شواهد النبوة، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۴۵

الاسراء، و تصديق أبى بكر له فى ذلك، و حين وصف النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لقومه بيت المقدس «۱». و قول ثالث: أن ذلك كان حين بعثة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، حيث صدقه أبو بكر، فسمى الصديق «۲». و قول رابع: ان ذلك كان حين رحلة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إلى السماء، حيث روى عنه «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» قوله: لما عرج بى إلى السماء، ما مررت بسماء إلا وجدت اسمى فيها مكتوبا محمد رسول اللّه أبو بكر الصديق «۳» فأى ذلك هو الصحيح؟!

ثانيا: لدينا العديد من الروايات الصحيحة و الحسنة سندا، و المروية فى عشرات المصادر، تنص على أن «الصديق» هو أمير المؤمنين «عليه السلام»، دون أبى بكر؛ و نذكر منها:

۱- عن على «عليه السلام»، بسند صحيح على شرط الشيخين، أنه قال: أنا عبد اللّه، و أخو رسوله، و أنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدى إلا كذاب مفترى. لقد صليت قبل الناس بسبع سنين «۴».

و قال غير مرة: «أنا الصديق الاكبر، و الفاروق الاول، اسلمت قبل

---

(۱) و (۲) راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۹ و ج ۱ ص ۲۷۳، و غير ذلك. و قد اشرنا إلى ذلك حين الكلام على الاسراء و المعراج، و ذكرنا بعض مصادره هناك، فراجع.

(۳) كشف الاستار ج ۳ ص ۱۶۳ و مسند احمد ج ۴ ص ۳۴۳ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۴۱ و تهذيب التهذيب ج ۵ ص ۳۸ و الغدير ج ۵ ص ۳۲۶ و ۳۰۳ عن تاريخ الخطيب.

(۴) مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۱۱۲ و تلخيصه للذهبى هامش نفسه الصفحة، و الاوائل ج ۱ ص ۱۹۵، و فرائد السمطين ج ۱ ص ۲۴۸، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۳ ص ۲۲۸، و راجع ج ۱ ص ۳۰ و البداية و النهاية ج ۳ ص ۲۶، و الخصائص للنسائى ص ۴۶ بسند رجاله ثقات، و سنن ابن ماجة ج ۱ ص ۴۴، بسند صحيح، و تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۵۶، و الكامل لابن الاثير ج ۲ ص ۵۷، و ذخائر العقبى ص ۶۰ عن الخلفى و الآحاد و المثانى مخطوط فى كوپرلى رقم ۲۳۵، و معرفة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۴۶

اسلام أبى بكر و صليت قبل صلاته «۱»».

و الظاهر أن المراد: أنه «عليه السلام» كان يتعبد مع النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» على دين الحنيفية- حتى قبل بعثته- من حين تمييزه، إلى أن عمّ الدين، و نزل قوله تعالى فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ. بل و قبل ذلك أيضا. و بذلك يبطل قول ابن كثير: «كيف يتمكن أن يصلى قبل الناس بسبع سنين؟ هذا لا يتصور أصلا». «۲»

۲- و أخرج القرشى فى شمس الأخبار رواية طويلة عن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أن اللّه قد سمّى عليا ب «الصديق الاكبر» فى ليلة الاسراء «۳».

۳- عن ابن عباس، عن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»:

الصديقون ثلاثة: حزقيل، مؤمن آل فرعون، و حبيب النجار، صاحب آل ياسين، و على بن أبى طالب. الثالث أفضلهم.

و قريب منه ما روى عن أبى ليلى الغفارى، بسند حسن، كما نص

الصحابة لابى نعيم مخطوط فى مكتبة: طوپ قپوسراى رقم ۴۹۷ ج ۱ و تذكرة الخواص ص ۱۰۸ عن أحمد فى المسند و فى الفضائل و فى هوامش ترجمة الامام على «عليه السلام» من تاريخ ابن عساكر بتحقيق المحمودى، ج ۱ ص ۴۴/ ۴۵ عن: مصنف ابن أبى شيبة، ج/ ۶ الورق ۱۵۵/ أو كنز العمال ج ۱۵ ص ۱۰۷ ط ۲ عن ابن أبى شيبة، و النسائى، و ابن أبى عاصم فى السنة، و العقيلى و الحاكم و أبى نعيم و عن العقيلى فى ضعفائه ج/ ۶ الورق ۱۳۹، و معرفة الصحابة لابى نعيم ج ۱/ الورق ۲۲/ أ، و تهذيب الكمال للمزى ج ۱۴- الورق ۱۹۳/ ب و عن تفسير الطبرى، و عن احمد فى الفضائل الحديث ۱۱۷ و رواه فى ذيل احقاق الحق ج ۴ ص ۳۶۹ عن ميزان الاعتدال ج ۱ ص ۴۱۷ و ج ۲ ص ۱۱ و ۲۱۲. و الغدير ج ۲ ص ۳۱۴ عن كثير ممن تقدم و عن الرياض النضرة ج ۱۵۵ و ۱۵۸ و ۱۲۷ و راجع:

اللآلى المصنوعة ج ۱ ص ۳۲۱.

(۱) شرح نهج البلاغة للمعتزلى ج ۴ ص ۲۲ و عن المعارف لابن قتيبة ص ۱۶۷ و كلام الاسكافى فى العثمانية ص ۳۰۰.

(۲) البداية و النهاية ج ۳ ص ۲۶.

(۳) الغدير ج ۲ ص ۳۱۳/ ۳۱۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۴۷

عليه السيوطى «۱». و كذا عن الحسن بن عبد الرحمان بن أبى ليلى «۲».

فحصر النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» للصديقين بالثلاثة، ينافى تسمية أبى بكر ب «الصديق» على النحو المتقدم، و إلا كانوا أربعة، و لم يصح الحصر.

۴- عن معاذة قالت: سمعت عليا، و هو يخطب على منبر البصرة، يقول: أنا الصديق الاكبر، آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر، و اسلمت قبل

أن يسلم أبو بكر «۳».

و ظاهره: أنه فى صدد نفى صدّيقية أبى بكر، التى شاعت بين الناس.

---

(۱) الجامع الصغير ج ۲ ص ۵۰، عن ابى نعيم فى معرفة الصحابة، و ابن النجار، و ابن عساكر، و الصواعق المحرقة ط المحمدية ص ۱۲۳، و تاريخ بغداد ج ۱۴ ص ۱۵۵.

و شواهد التنزيل ج ۲ ص ۲۲۴، و ذخائر العقبى ص ۵۶، و فيض القدير ج ۴ ص ۱۳۷، و تاريخ ابن عساكر- ترجمة الامام على «عليه السلام» بتحقيق المحمودى ج ۲ ص ۲۸۲ و ج ۱ ص ۸۰ و كفاية الطالب ص ۱۲۳ و ۱۸۷ و ۱۲۴، و الدر المنثور ج ۵ ص ۲۶۲ عن تاريخ البخارى، و عن أبى داود، و ابى نعيم و الديلمى و ابن عساكر، و الرازى فى تفسير سورة المؤمن، و مناقب الخوارزمى ص ۲۱۹، و مناقب الامام على لابن المغازلى ص ۲۴۶ و ۲۴۷، و معرفة الصحابة لابى نعيم مخطوط فى مكتبة طوپ قپوسراى رقم ۴۹۷ و نقله فى هامش كفاية الطالب عن كنز العمال أيضا ج ۶ ص ۱۵۲ عن الطبرانى و ابن مردويه و الرياض النضرة ج ۲ ص ۱۵۲ و بعض من تقدم، و نقله المحمودى فى هامش ترجمة الامام على من تاريخ ابن عساكر ج ۱ ص ۷۹/ ۸۰ عن بعض من تقدم و عن: السيف اليمانى المسلول ص ۴۹ و الفتح الكبير ج ص ۲۰۲ و غاية المرام ص ۴۱۷ و ۶۴۷ و مناقب على من كتاب الفضائل لأحمد الحديث ۱۹۴ و ۲۳۹ و السلفى فى مشيخة البغدادية، الورق ۹/ ب و ۱۰/ ب. و الغدير ج ۲ ص ۳۱۲، عن بعض من تقدم، و هوامش شواهد التنزيل عن الروض النضير ج ۵ ص ۳۶۸.

(۲) مناقب الخوارزمى الحنفى ص ۲۱۹.

(۳) ذخائر العقبى ص ۵۶ عن ابن قتيبة، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۳ ص ۲۲۸، و انساب الاشراف، بتحقيق المحمودى ج ۲ ص ۱۴۶، و الآحاد و المثانى مخطوط فى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۴۸

۵- عن أبى ذر، و ابن عباس، قالا: سمعنا النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يقول لعلى: أنت الصديق الاكبر، و انت الفاروق الذى يفرق بين الحق و الباطل «۱». و قريب منه عن أبى ليلى الغفارى.

۶- عن أبى ذر، و سلمان: إن الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أخذ بيد على، فقال: إن هذا أول من آمن بى، و هذا أول من يصافحنى يوم القيامة، و هذا الصديق الاكبر، و هذا فاروق هذه الأمة، يفرق بين الحق و الباطل إلخ «۲».

كوپرلى رقم ۲۳۵، و البداية و النهاية ج ۷ ص ۳۳۴، و المعارف لابن قتيبة ص ۷۳/ ۷۴، و الغدير ج ۲ ص ۳۱۴ عن بعض من تقدم و عن ابن ايوب و العقيلى، عن كنز العمال ج ۶ ص ۴۰۵ طبعة أولى. و ليراجع الغدير ج ۳ ص ۱۲۲ عن الاستيعاب ج ۲ ص ۴۶۰ و عن مطالب السؤل ص ۱۹ و قال: كان يقولها فى كثير الاوقات و الطبرى ج ۲ ص ۳۱۲ و عن الرياض النضرة ج ۲ ص ۱۵۵ و ۱۵۷ و عن العقد الفريد ج ۲ ص ۲۷۵.

و راجع فى حديث ابن عباس و ابى ليلى الغفارى: الإصابة ج ۴ ص ۱۷۱ و هامشها فى الاستيعاب ج ۴ ص ۱۷۰ و ميزان الاعتدال ج ۲ ص ۳ و ۴۱۷.

(۱) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۳ ص ۲۲۸، و فرائد السمطين ج ۱/ ص ۱۴۰ و ترجمة الامام على عليه السلام من تاريخ ابن عساكر تحقيق المحمودى ج ۱ ص ۷۶ و ۷۷ و ۷۸ بعدة أسانيد و فى هامشه عن الاسكافى فى نقضه لعثمانية الجاحظ المطبوع معها فى مصر ص ۲۹۰ و اللآلى المصنوعة ج ۱ ص ۳۲۴ و ۳۲۵ و ملحقات احقاق الحق ج ۴ ص ۲۹- ۳۱ و ۳۴ و الغدير ج ۲ ص ۳۱۳ عن الرياض النضرة ج ۲ ص ۱۵۵ عن الحاكمى، و عن شمس الاخبار للقرشى ص ۳۰، و عن المواقف ج ۳ ص ۲۷۶، و عن نزهة المجالس ج ۲

ص ۲۰۵ و عن الحموينى.

(۲) مجمع الزوائد ج ۹ ص ۱۰۲ عن الطبرانى و البزار، و الغدير ج ۲ ص ۳۱۳ و ج ۱۰ ص ۴۹ عنه و عن: كفاية الطالب ص ۱۸۷ من طريق ابن عساكر و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۳ ص ۲۲۸ و عن اكمال كنز العمال ج ۶ ص ۱۵۶ عن البيهقى و ابن عدى عن حذيفة، و عن أبى ذر و سلمان و عن الاستيعاب ج ۲ ص ۶۵۷ و عن الاصابة ج ۴ ص ۱۷۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۴۹

۷- و فى خطبة طويلة لأم الخير بنت الحريش، أوردتها فى صفين، وصفت فيها أمير المؤمنين «عليه السلام» ب «الصديق الاكبر» «۱».

۸- و قال محب الدين الطبرى: «إن رسول اللّه سماه صديقا» «۲».

۹- و قال الخجندى: «و كان يلقب بيعسوب الأمة، و بالصديق الاكبر» «۳».

۱۰- و جاء فى رواية أخرى: «فيجيبهم ملك من بطنان العرش: يا معشر الآدميين، ليس هذا ملكا مقربا، و لا نبيا مرسلا، و لا حامل عرش.

هذا الصديق الاكبر على بن أبى طالب إلخ». «۴»

۱۱- إن آية: أولئك هم الصديقون، نزلت فى على «عليه السلام» و كذا آية: الذى جاء بالصدق و صدق به، و آية اولئك الذين أنعم اللّه عليهم من النبيين و الصديقين «۵».

۱۲- و فى رواية عن أنس: «و أما على فهو الصديق الاكبر إلخ «۶»».

و ثمة روايات أخرى؛ فلتراجع فى مصادرها «۷».

---

(۱) العقد الفريد ط دار الكتاب ج ۲ ص ۱۱۷، و بلاغات النساء ص ۳۸، و الغدير ج ۲ ص ۳۱۳ عنهما و عن صبح الاعشى ج ۱ ص ۲۵۰ و نهاية الارب ج ۷ ص ۲۴۱.

(۲) و (۳) الغدير ج ۲ ص ۳۱۲ عن الرياض النضرة ج ۲ ص ۱۵۵ و غيرها.

(۴) كنز العمال ط ۲ ج ۱۵ ص ۱۳۴.

(۵) راجع على سبيل المثال: شواهد التنزيل ج ۱ ص ۱۵۳/ ۱۵۴/ ۱۵۵ و ج ۲ ص ۱۲۰ و فى هوامشه مصادر كثيرة، و ترجمة الامام على «عليه السلام» من تاريخ دمشق بتحقيق المحمودى ج ۲ ص ۴۱۸، و هوامشه، و مناقب ابن المغازلى ص ۲۶۹، و غاية المرام ص ۴۱۴، و كفاية الطالب ص ۳۳۳، و منهاج الكرامة للحلى، و دلائل الصدق للشيخ المظفر ج ۲ ص ۱۱۷ و الدر المنثور ج ۵ ص ۳۲۸، و عشرات المصادر الأخرى.

(۶) مناقب الخوارزمى الحنفى ص ۳۲.

(۷) راجع على سبيل المثال: اللآلى المصنوعة ج ۱ ص ۳۲۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۵۰

و بعد ما تقدم نعرف: أن لقب «الصديق» خاص بالامام على «عليه السلام»، و لا يمكن اثباته لغيره.

هذا و قد ذكر العلامة الامينى روايات تدل على أن الصديق هو أبو بكر، ثم فنّدها بما لا يدع مجالا للشك فى كذبها و افتعالها؛ حيث حكم كبار النقاد و الحفاظ عليها بالوضع و الكذب من امثال: الذهبى، و الخطيب، و ابن حبان، و السيوطى، و الفيروز آبادى، و العجلونى، و من أراد أن يقف على ذلك، فعليه بالرجوع إلى كتاب الغدير؛ فإن فيه ما ينقع الغلة، و يزيح الشبهة.

متى كان وضع هذه الالقاب:

و الظاهر أن سرقة هذا اللقب، و غيره من الالقاب، قد حصلت فى وقت متقدم، حتى اضطر الامام أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى الاعلان على منبر البصرة: «۱» أنه «عليه السلام» هو الصديق الأكبر، و ليس أبا بكر، و أن كل من يدّعى هذا اللقب لنفسه فهو كذاب مفتر. و قد كرر «عليه السلام» ذلك كثيرا.

و لكن السياسة التى حكمت الأمة، و هيمنت على فكرها و اتجاهاتها استطاعت أن تحتفظ بهذه الالقاب لمن تريد الاحتفاظ لهم بها، و لم يكن ثمة أية قوة تستطيع أن تردّ أو أن تمنع، أو حتى أن تعترض و لو بشكل سلمى بحت. لا سيما و أن وضع مثل هذه الأمور قد تم و حصل على أيدى علماء من وعاظ السلاطين.

الراحلتان:

و يقولون: إنه بعد أن بدأ المسلمون بالهجرة إلى المدينة، و أخبر

---

(۱) راجع: الغدير ج ۵ ص ۳۲۷/ ۳۲۸ و ۳۲۱ و ۳۳۴ و ۳۵ و ج ۷ ص ۲۴۴ و ۲۴۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۵۱

النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أبا بكر: أنه يرجو أن يؤذن له، حبس نفسه على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و اشترى راحلتين بثمانمأة درهم- و كان أبو بكر رجلا ذا مال- و علفهما ورق السمر، أو الخبط أربعة أشهر «۱»، أو ستة أشهر «۲»، على اختلاف النقل.

و لما أراد «صلى اللّه عليه و آله و سلم» الهجرة عرض أبو بكر الراحلتين على الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم»؛ فأبى أن يقبلهما إلا بثمن.

و إذا اغمضنا النظر عما يظهر من النص السابق من أن الهدف هو إظهار أبى بكر على أنه متفضل على النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فإننا نقول: إن ذلك لا يصح، و ذلك لما يلى:

۱- إن علفه للراحلتين أربعة أشهر أو ستة غير معقول؛ لأن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد أمر اصحابه بالهجرة قبل هجرته هو «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بثلاثة أشهر فقط. بل يقول البعض: إن ذلك كان قبل هجرته بشهرين و نصفا على التحرير «۳». بل يقول البعض إن بيعة العقبة قد كانت قبل الهجرة بشهرين و ليال «۴». و قد أمر «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أصحابه بالهجرة بعد بيعة العقبة، كما هو معلوم؛ فكيف يكون أبو بكر قد علفهما أربعة، أو ستة أشهر، بعد أمره «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لأصحابه بالهجرة؟!.

---

(۱) راجع: وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۳۷، و الثقات لابن حبان ج ۱ ص ۱۱۷ و المصنف لعبد الرزاق ج ۵ ص ۳۸۷ و غير ذلك كثير، و عن كون أبى بكر رجلا ذا مال راجع:

سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۱۲۸.

(۲) نور الابصار ص ۱۶ عن: الجمل على الهمزية، و عن كنز العمال ج ۸ ص ۳۳۴ عن البغوى بسند حسن عن عائشة.

(۳) فتح البارى ج ۷ ص ۱۸۳ و ۱۷۷ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۵ و ۵۵ عنه.

(۴) سيرة مغلطاى ص ۳۲ و فتح البارى ج ۷ ص ۱۷۷ و راجع الثقات لابن حبان ج ۱ ص ۱۱۳ و غير ذلك.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۵۲

و أما تخيل أن يكون أبو بكر قد عرف بنيّة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى هذا المجال، قبل أن يصدر منه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» الامر بالهجرة فليس له ما يؤيده لا من عقل و لا من نقل، سوى هذا النص الذى هو موضع البحث. بالإضافة إلى أن الإذن

بالهجرة انما كان بعد بيعة العقبة كما تقدم.

۲- إن ثمة نصا يقول: إن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد اشترى للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ثلاثا من الابل، و استأجر الاريقط بن عبد اللّه، و أرسل الابل معه إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ليلة الخروج من الغار «۱».

فلعله اشترى الابل من أبى بكر، و استلمها و ارسلها إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» مع الأريقط.

ما هى الحقيقة:

و الحقيقة هى: أنهم لما رأوا: أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لم يقبل الراحلتين من أبى بكر إلا- بالثمن، و رأوا فى ذلك تضعيفا للخليفة الأول، و فى مقابل ذلك هم يرون: أن عليا يبذل نفسه فى سبيل اللّه.

و تنزل فى حقه الآيات، عوضوا أبا بكر عن ذلك بأنه قد علف الراحلتين هذه المدة الطويلة.

و بعد ما تقدم نقول: إن شراء الرسول للراحلتين، أو شراء أمير المؤمنين للرواحل يبين: أن أبا بكر قد هاجر على نفقة الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و ليس على نفقة نفسه.

---

(۱) ترجمة الامام على «عليه السلام» من تاريخ ابن عساكر بتحقيق المحمودى ج ۱ ص ۱۳۸ و الدر المنثور. و تيسير المطالب ص ۷۵ لكن فيه: انه «عليه السلام» قد استاجر الرواحل الثلاث.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۵۳

الخروج من خوخة أبى بكر للهجرة:

و يقولون: إن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد خرج إلى الغار من خوخة لبيت أبى بكر «۱».

و عند البخارى: أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ذهب إلى أبى بكر ظهرا، و من ثم ذهبا إلى الغار «۲».

و نقول:

۱- لقد كذّب الحلبى ذلك، و قال: «و الاصح: إنما كان خروجه من بيت نفسه «۳»».

۲- تقدم فى أوائل هذا الفصل: أن أبا بكر جاء إلى بيت النبى فوجد عليا نائما مكانه، فأخبره على «عليه السلام» بذهاب النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» نحو بئر ميمون؛ فلحقه فى الطريق: و كيف يكون قد خرج إلى الغار من خوخة أبى بكر؟! و كيف يكون قد خرج إلى الغا ظهرا؟.

۳- إن سائر الروايات تنص على أن المشركين قد جلسوا على باب النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إلى الصباح. فخرج من بينهم فى فحمة العشاء. و بقى على «عليه السلام» نائما مكانه. و هذا يكذب أنه قد خرج ظهرا.

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۲۴ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۱۰۳ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۴ و البداية و النهاية ج ۳ ص ۱۷۸.

(۲) راجع: تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۱۵۳ و البداية و النهاية ج ۳ ص ۱۷۸ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۲۳ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۰ و البخارى كما فى ارشاد السارى ج ۶ ص ۱۷.

(۳) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۴ عن سبط ابن الجوزى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۵۴

۴- كيف يكون قد خرج من بيت أبى بكر، مع أنهم يقولون: إن القائف كان يقص أثر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، حتى بلغ مكانا؛ فقال: هنا صار مع محمد آخر. بل البعض يصرح: أنهم قد عرفوا أنها قدم ابن أبى قحافة «۱». و استمروا على ذلك حتى بلغوا إلى فم الغار.

و بذلك كله يعلم أيضا عدم صحة ما روى من أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» مشى ليلته على اطراف أصابعه؛ لئلا يظهر أثر رجليه حتى حفيت رجلاه، [كأن المسافة بعيدة إلى هذا الحد!!]، فحمله أبو بكر على كاهله، حتى أتى على فم الغار، فأنزله. و فى رواية: أنه ذهب إلى الغار راكبا ناقته الجدعاء ابتداء من منزل أبى بكر «۲».

و لا ندرى من الذى ارجع الناقة الى موضعها الأول، فان وجودها على مدخل الغار لن يكون فى صالحهم، الا أن يكون قد خبأها فى مكان مّا، و لكن أين يمكن أن تخبأ الناقة يا ترى؟!

قريش فى طلب أبى بكر:

و يقولون: إن قريشا قد بذلت فى النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» مئة بعير، و فى أبى بكر مثلها «۳» ذكر ذلك الجاحظ و غيره.

و أجاب الاسكافى المعتزلى فقال «... فما بالها بذلت فى أبى بكر مئة بعير أخرى؟ و قد كان ردّ الجوار. و بقى بينهم فردا لا ناصر له، و لا

---

(۱) البحار ج ۱۹ ص ۷۴ و عن الخرايج و الجرائح و ليراجع ص ۷۷ و ۵۱ و ليراجع ايضا. اعلام الورى ص ۶۳، و مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۲۸، و تفسير القمى ج ۱ ص ۲۷۶.

(۲) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۴- ۳۸ و راجع، تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۲۸. و الدر المنثور.

(۳) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۳۰ و البداية و النهاية ج ۳ ص ۱۸۲ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۵۵

دافع عنده، يصنعون به ما يريدون، إما أن يكونوا أجهل البرية كلها، أو يكون العثمانية أكذب جيل فى الأرض، و أوقحه وجها. و هذا مما لم يذكر فى سيرة، و لا روى فى أثر، و لا سمع به بشر، و لا سبق الجاحظ به أحد «۱»».

و نزيد نحن هنا: انه إذا كانت قبيلته قد منعته أولا كما يقولون، فلماذا تخلت عنه الآن؟ و إذا كان أبو بكر من أذّل بيت فى قريش، كما سبق بيانه حين الكلام على هجرته إلى الحبشة؛ تحت عنوان: هل كان أبو بكر رئيسا، فلماذا تبذل فيه قريش مئة بعير، كما تبذل فى النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» نفسه؟. و لماذا لم تضع عليه الارصاد و العيون، و لم ترسل إليه فتبيّته، كما أرادت أن تبيت النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»؟

و لماذا تبذل فى أبى بكر هذا المقدار، مع أن الذى فوّت عليها ظفرها بالنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»- و هو على- آمن فيما بينهم يغدو و يروح، و لا من يعترض و لا من يتكلم.

و لكن الحقيقة هى: أن الهدف من ذلك هو الارتفاع بأبى بكر ليساوى الرسول الاعظم منزلة و خطرا، فضلا عن أن يذهب بكل آثار مبيت أمير المؤمنين على الفراش، حتى لا يلتفت إليه، و لا يهتم به أحد فى قبال عظمة و خطر أبى بكر؟!.

الانتظار إلى الصباح:

و أما لماذا انتظر المشركون إلى الصباح فى ليلة الغار؛ فقيل انهم ارادوا أن يقتحموا عليه الجدار، فصاحت امرأة من الدار؛ فقال بعضهم لبعض: إنها لسبّة فى العرب: أن يتحدث عنا: أنا تسورنا الحيطان على بنات العم «۲».

---

(۱) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۳ ص ۲۶۹.

(۲) راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۸. و الروض الانف ج ۲ ص ۲۲۹ و السيرة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۵۶

و قيل: ان أبا لهب لم يرض بقتله «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ليلا؛ لما فيه من الخطر على النساء و الاطفال «۱».

و لعله للامرين معا. و لعله ليشاهد الناس قتله من قبل جميع القبائل؛ ليكون ذلك حجة على بنى هاشم، فلا يتم لهم الطلب بثأره؟! «۲».

شراء أبى بكر للموالى!! و نفقاته!!

اشارة

و يقولون: إنه لما خرج أبو بكر احتمل معه ماله كله، و هو خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم، فدخل أبو قحافة على أهل بيت ولده، و قد ذهب بصره، فقال: و اللّه إنى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه.

قالت أسماء: كلا يا أبت، إنه قد ترك لنا خيرا كثيرا.

فأخذت أحجارا فوضعتها فى كوة فى البيت، الذى كان أبى يضع ماله فيه، ثم وضعت عليها ثوبا، ثم أخذت بيده، فقلت: يا أبت ضع يدك على هذا المال.

قالت: فوضع يده عليه.

فقال: لا بأس، إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن. و فى هذا بلاغ لكم. و لا و اللّه ما ترك لنا شيئا، و لكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك «۳».

النبوية لإبن هشام ج ۲ ص ۱۲۷، أنظر الهامش، و تاريخ الهجرة النبوية للبيلاوى ص ۱۱۶.

(۱) البحار ج ۱۹ ص ۵۰.

(۲) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۸ و ۲۶.

(۳) سيرة ابن هشام ج ۲ ص ۱۳۳ و كنز العمال ج ۲۲ ص ۲۰۹، و البداية و النهاية ج ۳ ص ۱۷۹، و الاذكياء لابن الجوزى ص ۲۱۹، و حياة الصحابة ج ۲ ص ۱۷۳/ ۱۷۴، و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۵۹ عن الطبرى، و أحمد و رجاله رجال الصحيح، غير ابن اسحاق، و قد صرح بالسماع.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۵۷

و يذكرون أيضا: أن عامر بن فهيرة، كان يعذب فى اللّه، فاشتراه أبو بكر فأعتقه، فكان يروح عليهما- و هما فى الغار- بمنحة غنم من غنم أبى بكر؛ فكان يرعاها؛ فيمر عليهما فى المساء ليحلب لهما. و كانت اسماء بنت أبى بكر تأتيهما إذا أمست بما يصلحهما من الطعام «۱».

و عن عائشة: أنفق أبو بكر على النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أربعين الف درهم. و فى لفظ: دينار. «۲»

و يروون أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قال: ما من أحد أمّن على فى صحبته، و ذات يده من أبى بكر. و ما نفعنى مال ما نفعنى مال أبى بكر؛ فبكى أبو بكر، و قال: هل أنا و مالى إلا لك يا رسول اللّه؟ «۳».

أو قال: ليس أحد أمنّ على فى أهل و مال من أبى بكر.

و فى روايـة أخرى: إن أمنّ الناس على فى صـحبته و ماله أبو بكر، لو كنت متخـذا خليلا غير ربى لاتخـذت أبا بكر خليلا، و لكن خلة الاسلام و مودته، لا يبقى فى المسجد باب إلا سد إلا باب أبى بكر «۴».

و عن عائشة فى حديث الغار: فجهزنا هما أحث الجهاز، و صـنعنا لهما سـفرة فى جراب- يقول الواقدى: كان فى السفرة شاة مطبوخة- فقطعت أسماء بنت أبى بكر نطاقها قطعتين، فشدت فم الجراب بواحدة،

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۳۰ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۲ و ۴۰ و التراتيب الادارية ج ۲ ص ۸۷ و ستأتى مصادر أخرى لذلك.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۲۶ و السـيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۲ و ۴۰ و التراتيب الإدارية ج ۲ ص ۸۷ و ستأتى مصادر أخرى لذلك إن شاء اللّه.

(۳) راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۲ و راجع لسان الميزان ج ۲ ص ۲۳ و ستأتى مصادر أخرى.

(۴) راجع صحيح البخارى كما فى ارشاد السارى ج ۶ ص ۲۱۴- ۲۱۵ مع اختلاف يسير و الجامع الصحيح للترمذى ج ۵ ص ۶۰۸ و و ۶۰۹ و المصادر الآتية قبل الحديث عن عامر بن فهيرة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۵۸

و فم قربة الماء فى الآخر، فسميت: ذات النطاقين «۱».

و فى الترمـذى: عنـه «صـلى اللّه عليه و آله و سـلم» أنه قـال: إن أبـا بكر زوّجه ابنته، و حمله إلى دار الهجرة، و صـحبه فى الغـار، و فى رواية: ما لأحد عندنا يد إلا كافأناه عليها ما خلا أبا بكر، فإن له عندنا يد اللّه يكافئه بها يوم القيامة «۲».

و نحن نقول: إن كل ذلك محل شك و ريب، بل هو لا يصح اطلاقا، و ذلك لما يلى:

۱- عامر بن فهيرة:

أمـا كون عامر بن فهيرة مولى لأبى بكر، فقـد تقـدم كلام ابن اسـحاق، و الواقـدى، و الاسـكافى و غيرهم فيه، حيث قالوا: إن النبى هو الذى اشتراه و اعتقه، و ليس أبا بكر.

۲- أبو قحافة الأعمى:

و أما رواية أن أسماء قد وضعت الاحجار فى المكان الذى كان أبوها

---

(۱) راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۳ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۲۳ و ۳۳۰ و ستأتى مصادر أخرى ان شاء اللّه تعالى.

(۲) راجع: فى كل ما تقـدم من أول العنوان إلى هنا: تاريـخ الخميس ج ۱ ص ۳۳۰- ۳۲۳، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۲ و ۳۳ و ۴۰ و ۳۹ و الجامع الصـحيح للترمذى ج ۵ ص ۶۰۹ و السـيرة النبوية لابن هشام ج ۲، و صـحيح البخارى باب الهجرة، و فتـح البارى ج ۷ و صحيح مسـلم، و صـحيح الترمذى، و الدار المنثور، و الفصول المهمة لابن الصـباغ. و السيرة النبوية لابن كثير و لسان الميزان ج ۲ ص

۲۳ و البداية و النهاية ج ۵ ص ۲۲۹ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۴۲ عن الطبرانى و الغدير، و غير ذلك كثير لا مجال لتتبعه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۵۹

يضع فيه ماله، ليتلمّسها أبو قحافة الأعمى ليطمئن و يسكن. فيكذبها.

ألف: «قال الفاكهى: ابن أبى عمر، حدثنا سفيان، عن أبى حمزة الثمالى، قال: قال عبد اللّه: لما خرج النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إلى الغار، ذهبت استخرج و أنظر هل أحد يخبرنى عنه، فأتيت دار أبى بكر، فوجدت أبا قحافة، فخرج على و معه هراوة، فلما رآنى اشتد نحوى، و هو يقول: هذا من الصباة الذين أفسدوا على ابنى «۱».

فهذه الرواية توضح أن أبا قحافة لم يكن حينئذ قد عمى بعد.

و سندها معتبر عندهم.

ب- لم نفهم لماذا لم يترك أبو بكر لأهل بيته شيئا؟ و ما هذا الجفاء منه لهم؟! و من أين علم أبو قحافة الضرير بأنه قد حمل ماله معه حتى قال لهم: إنه قد فجعهم بنفسه و ماله؟!

ج- و لماذا هذا الدور لأسماء؟ ألم تكن زوجة للزبير حينئذ، و ألم تهاجر معه إلى المدينة قبل ذلك، حيث لم يبق من اصحاب النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى مكة سوى على و أبى بكر، و من يفتن و يعذب؟! و أين كانت زوجات أبى بكر عن ذلك كله؟!

۳- مع أدوار لأسماء أيضا و غيرها

و أما أن أسماء كانت إذا أمست تذهب بالطعام إليهما إلى الغار، و أنها هى التى هيأت الزاد لهما حين سفرهما إلى المدينة. و أنها هى التى ارسلت إليه الراحلتين. و أيضا تسميتها بذات النطاقين فى هذه المناسبة فيرد عليه:

---

(۱) الاصابة ج ۲ ص ۴۶۰/ ۴۶۱ و هذه الرواية تدل على ان ابا قحافة يرى ان ابنه ابا بكر قد صار من الصباة و أنه قد اسلم بعد جماعة عبد اللّه منهم. و هذا ينافى ما تقدم من أنه كان أول من اسلم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۶۰

أولا: إنهم يقولون فى مقابل ذلك: أنه بعد غياب النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و أبى بكر مضت ثلاث ليال و لا يدرون أين توجه الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، حتى علموا ذلك من هاتف الجن فى أبيات أنشدها.

و القول: إن المراد: بعد ثلاثة أيام من خروجه من الغار.

لا يصح، إذ قد صرحوا بأنهم علموا بخروجه إلى المدينة فى اليوم الثانى من خروجه من الغار «۱» هكذا ذكر الحلبى الشافعى و العهدة فى ذلك عليه.

و يقول مغلطاى: «و لم يعلم بخروجه عليه الصلاة و السلام إلا على و أبى (كذا) بكر رضى اللّه عنه؛ فدخلا غارا بثور إلخ «۲»».

و ثانيا: لقد ورد: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» هو الذى كان يأتى النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بالطعام، و الشراب إلى الغار «۳». بل لقد ورد: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد أرسل إلى على ليرسل إليه بزاد و راحلة ففعل، و أرسل ذلك إليه.

و أرسل أبو بكر لإبنته، فأرسلت إليه بزاد و راحلتين، أى له و لعامر بن فهيرة كما فى الرواية. و لعلها هى التى اشتراها منه على أيضا «۴».

و قد احتج «عليه السلام» بذلك يوم الشورى، فقال: نشدتكم باللّه، الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۴ ۳۶۰ - مع أدوار لأسماء أيضا و غيرها ..... ص : ۵۹

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۵۱.

(۲) سيرة مغلطاى ص ۳۲.

(۳) تاريخ دمشق، ترجمة الامام على بتحقيق المحمودى ج ۱ ص ۱۳۸، و اعلام الورى ص ۱۹۰، و البحار ج ۱۹ ص ۸۴ عنه و تيسير المطالب فى أمالى الامام على بن أبى طالب ص ۷۵.

(۴) اعلام الورى ص ۶۳، و البحار ج ۱۹ ص ۷۰ و ۷۵ عنه و عن الخرائج و عن قصص الانبياء.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۶۱

هل فيكم أحد كان يبعث إلى رسول اللّه الطعام و هو فى الغار، و يخبره الاخبار غيرى؟ قالوا: لا «۱».

و بهذا يعلم أيضا عدم صحة ما قيل من أن عبد اللّه بن أبى بكر، كان هو الذى يأتيهما بالاخبار من مكة إلى الغار «۲». و عدم صحة ما قيل عن وجود غنم لأبى بكر، كان يأتى بها عامر بن فهيرة إلى الغار؛ فيشرب النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و أبو بكر من لبنها.

و ثالثا: و أما حديث النطاق و النطاقين، فبالإضافة إلى تناقض رواياته «۳» نجد: أن المقدسى بعد أن ذكر القول الأول قال: «و يقال: لما نزلت آية الخمار ضربت يدها إلى نطاقها، فشقته نصفين، و اختمرت بنصفه «۴»».

و يقولون أيضا: إنها قالت للحجاج: «كان لى نطاق أغطى به طعام رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» من النحل، و نطاق لا بد للنساء منه «۵»».

۴- حديث سد الأبواب، و خلة أبى بكر:

و أما حديث باب و خلّة أبى بكر و هو قوله «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: لو كنت متخذا خليلا لا تخذت أبا بكر خليلا، فلا نريد التوسع

(۱) الاحتجاج للطبرسى ج ۱ ص ۲۰۴.

(۲) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۹، و سيرة ابن هشام، و كنز العمال ج ۲۲ ص ۲۱۰ عن البغوى و ابن كثير.

(۳) راجع لبعض موارد التناقض لا كلها: الاصابة ج ۴ ص ۲۳۰، و الاستيعاب بهامشها ج ۴ ص ۲۳۳.

(۴) البدء و التاريخ ج ۵ ص ۷۸.

(۵) الاصابة ج ۴ ص ۲۳۰، و الاستيعاب هامش الاصابة ج ۴ ص ۲۳۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۶۲

فى الكلام عليه بل نكتفى بما ذكره المعتزلى هنا، فإنه قال: إن البكرية قد: «وضعت لصاحبها أحاديث فى مقابلة هذه الاحاديث، نحو: لو كنت متخذا خليلا؛ فإنهم وضعوه فى مقابلة حديث الاخاء، و نحو سد الابواب، فإنه لعلى «عليه السلام»؛ فقلبته البكرية إلى أبى بكر إلخ «۱»».

و مع ذلك فيعارض هذا الحديث ما رووه من أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد اتخذ أبا بكر خليلا بالفعل «۲».

فأيهما نصدق يا ترى؟!.

هذا، و سوف نتكلم عن حديث سدّ الأبواب فى هذا الكتاب فى فصل قضايا و أحداث فى المجال العام، و عن حديث الخلة حين الكلام على حديث المؤاخاة الآتى إن شاء اللّه تعالى فإلى هناك.

۵- ثروة أبى بكر:

و أما عن ثروة أبى بكر، و أنه قد انفق أربعين ألف درهم أو دينار على النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و غير ذلك مما يذكرونه، فنقول:

إننا بالاضافة إلى ما قدمناه من عدم صحة ما جرى بين أسماء و أبى قحافة، حين الهجرة و غير ذلك من أمور أشرنا إليها آنفا نسجل هنا ما يلى:

أولا: إن حديث: ان أمنّ الناس على فى صحبته و ماله أبو بكر، و أنه لم يكافئه على اليد التى له عليه، و اللّه هو الذى يكافئه عليها. لا

---

(۱) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۱ ص ۴۹، و راجع الغدير ج ۵ ص ۳۱۱.

(۲) الرياض النضرة ج ۱ ص ۱۲۶، و ارشاد السارى ج ۶ ص ۸۶ عن الحافظ السكرى و الغدير ج ۸ ص ۳۴ عنهما و عن كنز العمال ج ۶ ص ۱۳۸ و ۱۴۰ عن الطبرانى و ابى نعيم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۶۳

يصح، و ذلك بملاحظة ما يلى:

۱- بماذا كافأ النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أبا طالب و خديجة على تضحياتهما، و نفقاتهما، و ما قدماه فى سبيل الدين و الاسلام، و على مواساتهما بالنفس و المال و الولد؟! ألم يكن ما انفقاه و قدماه للاسلام أعظم مما قدمه و انفقه أىّ انسان آخر فى سبيل الاسلام؟ .. ثم كانت خدمات على «عليه السلام» الجلّى لهذا الدين، و التى لا يمكن أن ينكرها إلا جاحد معاند.

۲- و حديث المنة على الرسول عجيب، فإنه لم يكن فى مكة بحاجة إلى أحد؛ إذ قد كانت عنده أموال خديجة، و حتى أموال أبى طالب «۱» و كان ينفق منها على المسلمين إلى حين الهجرة، و كان ينفق على على «عليه السلام» فى بدء أمره، تخفيفا على أبى طالب كما يدّعون.

و قد عيّر عمر اسماء بنت عميس: بأن له هجرة و لا هجرة لها، فقالت له: «كنتم مع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يطعم جائعكم، و يعظ جاهلكم». ثم اشتكته إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فأخبرها: أن للمهاجرين إلى الحبشة هجرتين و لأولئك هجرة واحدة «۲».

---

(۱) قد تقدم فى أول البحث: أن ابا طالب كان ينفق فى الشعب على الهاشميين من امواله. و أما أموال خديجة، فأمرها اشهر من ان يحتاج إلى بيان. و قد تقدم كلام ابن ابى رافع حول اموال خديجة.

(۲) راجع: الاوائل ج ۱ ص ۳۱۴، و البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۰۵ عن البخارى، و صحيح البخارى ج ۳ ص ۳۵ ط سنة ۱۳۰۹ ه. و صحيح مسلم ج ۷ ص ۱۷۲، و كنز العمال ج ۲۲ ص ۲۰۶، عن أبى نعيم و الطيالسى، و ليراجع فتح البارى ج ۷ ص ۳۷۲، و مسند أحمد ج ۴ ص ۳۹۵ و ۴۱۲. و حياة الصحابة ج ۱ ص ۳۶۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۶۴

۳- و يكفى أن نذكر هنا أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لم يقبل منه البعير أو البعيرين حين هجرته إلا بالثمن، الذى نقده إياه فورا و هو «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى أحرج الاوقات. و إذا صحّ حديث ردّ رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» هبة أبى بكر هذه و هو مما استفاض نقله، فإنه يأتى على كل ما يروونه فى انفاق المال من قبل أبى بكر على النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

۴- هذا كله عدا عن أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لم يجهز فى مكة جيشا، و لا أسعر حربا؛ ليحتاج إلى النفقة الواسعة فى تجهيز الجيوش، و اعداد الكراع و السلاح.

كما أنه لم يكن يتفكه، و يتنعم بانفاق الأموال.

و أما بعد الهجرة إلى المدينة. فإن أبا بكر قد ضن بماله، الذى كان خمسة أو ستة آلاف درهم- كما يقولون- عن كل أحد، حتى عن ابنته أسماء التى كانت فى أقسى حالات الفقر و الجهد، حينما قدمت المدينة، حتى لقد كانت تخدم البيت، و تسوس الفرس و تدق النوى لناضحه، و تعلفه، و تستقى الماء، و تنقل النوى على رأسها من بعد ثلثى فرسخ، حتى أرسل إليها أبوها خادما كفتها سياسة الفرس، كما ادّعت «۱».

كما أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد مرّ فى سنوات ضيق شديدة و صعبة، و لا سيما قبل خيبر، حتى لقد كان ربما يبقى اليومين أو الثلاثة بلا طعام، حتى يشد على بطنه الحجر «۲» و كان الانصار يتعاهدونه بجفان الطعام، فأين كانت عنه أموال أبى بكر و آلاف دراهمه، التى بقيت إلى تبوك، حيث يدّعون: أنه جاء بجميع ماله، و هو أربعة آلاف درهم

---

(۱) راجع: حديث الافك ص ۱۵۲.

(۲) و قد وصفت عائشة حالته هو و أهل بيته بما يقرح القلوب، فراجع: طبقات ابن سعد ج ۱ قسم ۲ ص ۱۲۰ و ليراجع من ص ۱۱۲ حتى ص ۱۲۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۶۵

حينئذ «۱»؟!.

هذا كله لو كان مرادهم المنّة على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بالإنفاق عليه.

ثانيا: إن كان المراد المنّ على الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بالانفاق فى سبيل اللّه سبحانه، فهو أيضا لا يصح، إذ لم نجد فى التاريخ ما يدل على ذلك. بل لقد وجدنا ما يدل على خلافه، فإن أبا بكر قد ضنّ بماله إلى حد أنه لم يتصدق و لو بدر همين فى قصة النجوى، و لم يفعل ذلك سوى أمير المؤمنين «عليه السلام»، حتى أنزل اللّه تعالى قرآنا يؤنب فيه الصحابة و يلومهم على ذلك ثم تاب عليهم، قال تعالى: «أ أشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات؛ فإذ لم تفعلوا، و تاب اللّه عليكم الآية «۲»». و لو أن أبا بكر تصدق بدر همين لم يكن ممن توجه إليهم هذا العتاب منه تعالى.

و ثالثا: و الاهم من ذلك: أنه لا معنى لأن يكون الانفاق لوجه اللّه، ثم يمنّ المنفق على الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم»، كما أخبر «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» عنه. كما تزعم الرواية. بل المنة للّه و لرسوله عليه فى ذلك.

و قد نهى اللّه عن المن. فقال: لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذى «۳»، و قال: وَ لا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ «۴». و لذلك فإننا لا يمكننا أن نقبل: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يمدح هذا المنّان عليه (أى

---

(۱) حياة الصحابة ج ۱ ص ۴۲۹ عن ابن عساكر ج ۱ ص ۱۱۰.

(۲) المجادلة ۱۳، و راجع دلائل الصدق ج ۲ ص ۱۲۰، و الاوائل ج ۱ ص ۲۹۷، و هامش تلخيص الشافى ج ۳ ص ۲۳۵/ ۳۷، عن العديد من المصادر.

(۳) سورة البقرة/ ۲۶۴.

(۴) المدثر/ ۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۶۶

على المنّ) و يقرّضه لأجله و لا سيما و هو أمنّ الناس عليه فى صحبته و ماله.

إشارة عامة:

و لذلك فإن بالامكان الاستنتاج من ذلك: أن الظاهر هو أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بعد أن لم يستطع اقناع أبى بكر بالكف عن المن عليه بأنه قد ترك أمواله و داره فى مكة، و أنه رافقه إلى الغار، و تحمل الاخطار، و حزن و جزع خوفا من الاعداء، بعد أن لم يستطع اقناعه بذلك اضطر «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إلى أن يخبر الناس بحالة أبى بكر هذه؛ علّه يكفّ عن بعض ما كان يفعل، و ذلك كأسلوب اضطرارى أخير من أساليب التربية و التوجيه. لا سيما و أن ما يمن به عليه لم يكن أبو بكر متفردا به؛ فإن الكل كان قد هاجر و ترك ماله، و أرضه و وطنه، و الكل قد تحمل الاخطار و المتاعب، و كثير منهم تعرض إلى أقسى أنواع التعذيب و التنكيل.

و عن مقامه معه فى الغار، فإن الخطر على أمير المؤمنين كان أعظم من الخطر على أبى بكر؛ فلماذا إذن هذا المنّ منه، حتى عدّه النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» امنّ الناس عليه؟!.

رابعا: و إذا كان أبو بكر- كما يقول الطوسى و المفيد- فى أول أمره معلما للأولاد، ثم صار خياطا، و لم يكن قسمه إلا كواحد من المسلمين، و لذا احتاج إلى مواساة الانصار له.

و كان أبوه صيادا، ثم صار ينش الذباب، و ينادى على مائدة ابن جدعان بشبع بطنه، و ستر عورته «۱».

---

(۱) تلخيص الشافى ج ۳ ص ۲۳۸، و دلائل الصدق ج ۲ ص ۱۳۰، و الافصاح ص ۱۳۵ و راجع الغدير ج ۸ ص ۵۱. و يشك المحقق السيد مهدى الروحانى فى كون ابى بكر كان معلما، على اعتبار ان جمع الاطفال فى المكتب و تعليمهم أمر مستحدث، و لم يكن معهودا فى مكة فى الجاهلية و يتساءل عن تلامذة أبى بكر من

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۶۷

فإن من الطبيعى أن لا تكون لأبى بكر ثروة من هذا القبيل لا خمسة آلاف، و لا ستة آلاف، فضلا عن أربعين ألف درهم أو دينار؛ لأن مثل هذه الثروات إنما تجتمع لدى الإنسان من التجارة، أو الزراعة، لا من قبيل صناعات أبى بكر؛ فكيف يقولون إذن: إنه كان سيدا من سادات قريش، و من ذوى المال و الثروة و الجاه فيها؟! و لماذا يترك أباه عند ابن جدعان، و هو بهذه الحالة فضلا عن ابنته اسماء؟!.

و إذا كانت ثروة أبى بكر فى تلك الفترة فى أربعة آلاف بل أكثر، كما تقدم حين الكلام حول عتق بلال؛ فإنه لا بد أن يكون اثرى رجل فى مكة فى تلك الفترة، إذ قد ورد أنه بعد أن انتشر الاسلام، و فتحت البلاد جاء أنس بن مالك بمال إلى عمر بعد موت أبى بكر، فبايع عمر، ثم أخبره بأنه قد جاء بأربعة آلاف و اعطاه اياها، قال أنس:

«فكنت أكثر أهل المدينة مالا» «۱».

خامسا: إن أمير المؤمنين «عليه السلام» حينما تصدق بمال قليل جدا- كما فى إطعامه المسكين، و اليتيم، و الاسير- قد نزلت فيه آية قرآنية و هى قوله تعالى: وَ يُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَ يَتِيماً وَ أَسِيراً. إِنَّما نُطْعِمُكُمْ الآية «۲».

و حينما تصدق بخاتمه نزل فيه قوله تعالى: إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ

هم، و لما ذا لم يوجد فى مكة سوى عدد ضئيل ممن كان يعرف القراءة و الكتابة كما مر فى أول الكتاب.

بل لقد ذكر جرجى زيدان فى كتابه تاريخ التمدن: انه لم يكن فى مكة حين بعث النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» سوى سبعة

اشخاص يعرفون الكتابة.

(۱) كنز العمال ج ۵ ص ۴۰۵ عن إبن سعد. و حياة الصحابة ج ۲ ص ۲۳۵.

(۲) سورة الانسان/ ۸. و الحديث موجود فى المصادر التالية:

المناقب للخوارزمى ص ۱۸۹- ۱۹۵، و الرياض النضرة ج ۳ ص ۲۰۸/ ۲۰۹ و التفسير الكبير ج ۳۰ ص ۲۳۴/ ۲۴۴ عن الواحدى،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۶۸

وَ رَسُولُهُ، وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ «۱».

و الزمخشرى. و غرائب القرآن (مطبوع بهامش جامع البيان) ج ۲۹ ص ۱۱۲/ ۱۱۳ و الكشاف ج ۴ ص ۶۷۰ و نوادر الأصول ص ۶۴/ ۶۵ و الجامع لاحكام القرآن ج ۱۹ ص ۱۳۱ عن النقاش، و الثعلبى، و القشيرى، و غير واحد من المفسرين.

و اللآلى المصنوعة ج ۱ ص ۳۷۲- ۳۷۴ و مدارك التنزيل للنسفى (مطبوع بهامش تفسير الخازن) ج ۴ ص ۳۳۹ و كشف الغمة ج ۱ ص ۱۶۹ و تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۴۶۹- ۴۷۷ عن أمالى الصدوق، و القمى، و الطبرسى، و ابن شهر آشوب و تأويل الآيات الظاهرة ج ۲ ص ۷۴۹- ۷۵۲ و تفسير فرات ص ۵۲۱- ۵۲۸ و ذخائر العقبى ص ۸۹ و تفسير القمى ج ۲ ص ۳۹۸/ ۳۹۹ و البرهان (تفسير) ج ۴ ص ۴۱۲ و وسائل الشيعة ج ۱۶ ص ۱۹۰، و فرائد السمطين ج ۲ ص ۵۴- ۵۶ و مجمع البيان ج ۱۰ ص ۴۰۴ و ۴۰۵ و المناقب لابن المغازلى ص ۲۷۳ و الإصابة ج ۴ ص ۳۷۸ و ينابيع المودة ص ۹۳ و ۹۴ و روضة الواعظين ص ۱۶۰- ۱۶۳ و نزهة المجالس ج ۱ ص ۲۱۳ و ربيع الابرار ج ۲ ص ۱۴۷/ ۲۴۸ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱ ص ۲۱.

و أسد الغابة ج ۵ ص ۵۳۰/ ۵۳۱ و البحار ج ۳۵ ص ۲۳۷ حتى ۲۵۴ و احقاق الحق ج ۹ ص ۱۱۰- ۱۲۳ و ج ۳ ص ۱۵۷- ۱۷۰ عن مصادر كثيرة.

(۱) المائدة/ ۵۵. و الحديث موجود فى المصادر التالية:

الكشاف ج ۱ ص ۶۴۹ و لباب النقول (ط دار احياء العلوم) ص ۹۳ عن الطبرانى، و ابن جرير، و أسباب النزول ص ۱۱۳ و تفسير المنار ج ۶ ص ۴۴۲، و قال: رووا من عدة طرق و تفسير نور الثقلين ج ۱ ص ۵۳۳- ۵۳۷ عن الكافى، و الاحتجاج، و الخصال، و القمى، و أمالى الصدوق، و جامع البيان ج ۶ ص ۱۸۶، و غرائب القرآن (مطبوع بهامش جامع البيان) ج ۶ ص ۱۶۷ و التفسير الكبير ج ۱۲ ص ۲۶ و تفسير القرآن العظيم ج ۲ ص ۷۱ و الدر المنثور ج ۲ ص ۲۹۳ و ۲۹۴ عن أبى الشيخ و ابن مردويه، و الطبرانى، و ابن ابى حاتم، و ابن عساكر، و ابن جرير، و ابى نعيم، و غيرهم، و فتح القدير ج ۲ ص ۵۳ عن الخطيب فى المتفق و المفترق.

و راجع ما عن: عبد الرزاق، و عبد بن حميد، و ابن جرير، و غيرهم ممن تقدم ذكره.

و لباب التأويل للخازن ج ۱ ص ۴۷۵ و الجامع لاحكام القرآن ج ۶ ص ۲۲۱ و الكافى ج ۱ ص ۲۲۸ و شواهد التنزيل ج ۱ ص ۱۷۳- ۱۸۴ و الخصال ج ۲

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۶۹

و حينما تصدق بدرهم سرا و آخر جهرا، و ثالث ليلا، و رابع نهارا، نزل فيه قوله تعالى: الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ، سِرًّا وَ عَلانِيَةً، فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ «۱».

ص ۵۸۰ و كفاية الطالب ص ۲۲۹ و كنز العمال ج ۱۵ ص ۱۴۶ و الفصول المهمة لابن الصباغ ص ۱۰۸ و مجمع الزوائد ج ۷ ص ۱۷ و معرفة علوم الحديث ص ۱۰۲ و تذكرة الخواص ص ۱۵ و المناقب للخوارزمى ص ۱۸۶ و ۱۸۷ و نظم درر السمطين ص ۸۶ و ۸۷ و الرياض النضرة ج ۳ ص ۲۰۸ و ذخائر العقبى ص ۱۰۲ عن الواقدى، و أبى الفرج ابن الجوزى، و البداية و النهاية ج ۷ ص ۳۵۸ و نور

الأبصار ص ۷۷ و فرائد السمطين ج ۱ ص ۱۸۸ و تأويل الآيات الظاهرة ج ۱ ص ۱۵۱- ۱۵۴ و البحار ج ۳۵ ص ۱۸۳- ۲۰۳ عن مصادر كثيرة و ربيع الأبرار ج ۲ ص ۱۴۸ و المناقب لإبن المغازلى ص ۳۱۲- ۳۱۳ و روضة الواعظين ص ۹۲ و العمدة لابن بطريق ص ۱۱۹- ۱۲۵ و اثبات الهداة ج ۲ ص ۴۷ و المناقب لإبن شهر اشوب ج ۳ ص ۲- ۱۰ و كشف الغمة ج ۱ ص ۱۶۶ و ۱۶۷ و الأمالى للصدوق ص ۱۰۹/ ۱۱۰، و وسائل الشيعة ج ۶ ص ۳۳۴- ۳۳۵ و سعد السعود ص ۹۶ و البرهان (تفسير) ج ۱ ص ۴۸۰- ۴۸۵ و مجمع البيان ج ۳ ص ۳۱۰- ۳۱۲ و احقاق الحق ج ۲۰ ص ۳- ۲۲ و راجع ج ۳ ص ۵۰۲- ۵۱۱ و ج ۲ ص ۳۹۹- ۴۰۸ عن مصادر كثيرة.

(۱) سورة البقرة/ ۲۷۴. و الحديث موجود فى المصادر التالية:

الكشاف ج ۱ ص ۳۱۹ و تفسير المنار ج ۳ ص ۹۲ عن عبد الرزاق، و ابن جرير، و غير هما و التفسير الكبير ج ۷ ص ۸۳ و الجامع لأحكام القرآن ج ۳ ص ۳۴۷ و تفسير القرآن العظيم ج ۱ ص ۳۲۶ عن ابن جرير، و ابن مردويه و ابن أبى حاتم و فتح القدير ج ۱ ص ۲۹۴ عن عبد الرزاق، و عبد بن حميد، و ابن المنذر، و الطبرانى، و ابن عساكر و غيرهم و الدر المنثور ج ۱ ص ۳۶۳ و لباب النقول ص ۵۰ ط دار احياء العلوم و أسباب النزول ص ۵۰ و تفسير نور الثقلين ج ۱ ص ۳۴۱ عن العياشى و الفصول المهمة لابن الصباغ ص ۱۰۷ و نظم درر السمطين ص ۹۰ و ذخائر العقبى ص ۸۸ و البرهان (تفسير) ج ۴ ص ۴۱۲ و المناقب لإبن المغازلى ص ۲۸۰ و ينابيع المودة ص ۹۲، و روضة الواعظين ص ۳۸۳ و ۱۰۵ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱ و ۲۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۷۰

كما أنه لم يعمل بآية النجوى سوى على «عليه السلام» «۱».

و أبو بكر ينفق ماله كله، أربعين الف درهم أو دينار و تكون له يد عند النبى، اللّه يكافؤه عليها. و ما نفع النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» مال كما نفعه مال أبى بكر. ثم لا- يذكر اللّه من ذلك شيئا، و لا- يحدثنا التاريخ و لا- الحديث عن مورد واحد من ذلك بالتحديد؛ بحيث يمكن اثباته؟ أم أن المحدثين و المؤرخين و هم فى الاكثر شيعة لأبى بكر، قد تجاهلوا عمدا فضائل أبى بكر، التى تصب فى هذا الاتجاه؟ و لماذا إذن لم يتجاهلوا ما لعلى فى ذلك أيضا؟!.

أم أن أبا بكر قد ظلم و تجنّى عليه الحكام و الملوك، و اتباعهم،

---

(۱) راجع المصادر التالية:

المناقب للخوارزمى ص ۱۹۶ و الرياض النضرة ج ۳ ص ۱۸۰ و الصواعق المحرقة ص ۱۲۹ عن الواقدى، و نظم درر السمطين ص ۹۰ و ۹۱ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۳۲۷ و ۳۲۶ و جامع البيان ج ۲۸ ص ۱۴ و ۱۵ و غرائب القرآن مطبوع بهامش جامع البيان ج ۲۸ ص ۲۴ و ۲۵ و كفاية الطالب ص ۱۳۶ و ۱۳۷ و احكام القرآن للجصاص ج ۳ ص ۴۲۸ و مستدرك الحاكم ج ۲ ص ۴۸۲ و تلخيص المستدرك للذهبى (مطبوع بهامش المستدرك) ج ۲ ص ۴۸۲ و تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۲۶۴ و ۲۶۵ و تأويل الآيات الظاهرة ج ۲ ص ۶۷۳- ۶۷۵ و لباب التأويل ج ۴ ص ۲۲۴ و مدارك التنزيل (مطبوع بهامش لباب التأويل) ج ۴ ص ۲۲۴ و اسباب النزول ص ۲۳۵ و شواهد التنزيل ج ۲ ص ۲۳۱- ۲۴۰ و الدر المنثور ج ۶ ص ۱۸۵ عن ابن أبى شيبة، و عبد بن حميد، و ابن المنذر، و ابن مردويه، و ابن ابى حاتم، و عبد الرزاق، و الحاكم و صححه، و سعيد بن منصور، و ابن راهويه. و فتح القدير ج ۵ ص ۱۹۱ و التفسير الكبير ج ۲۹ ص ۲۷۱ و الجامع لاحكام القرآن ج ۱۷ ص ۳۰۲ و الكشاف ج ۴ ص ۴۹۴ و كشف الغمة ج ۱ ص ۱۶۸ و احقاق الحق (قسم الملحقات) ج ۳ ص ۱۲۹- ۱۴۰ و ج ۱۴ ص ۲۰۰- ۲۱۷ و ج ۲۰ ص ۱۸۱- ۱۹۲ عن بعض من تقدم، و عن مصادر كثيرة أخرى.

و اعلام الورى ص ۱۸۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۷۱

و المزيفون من العلماء، كما تجنوا على أمير المؤمنين على «عليه السلام»؟! فمنعوا الناس من ذكر فضائله و روايتها. و غاية ما ذكروه

لأبى بكر هنا عتقه الرقاب من الضعفاء و المعذبين فى مكة، و لكن قد تقدم أن إثبات ذلك غير ممكن. و قد انكره الاسكافى المعتزلى عليه، و قال: إن ثمنها فى ذلك العصر لا يبلغ مئة درهم، لو فرض صحة الرواية.

أم أن عدالة اللّه تعالى قد اقتضت ذكر نفقات أمير المؤمنين على «عليه السلام»- على قلتها- فى القرآن، و على لسان النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و اهمال نفقات أبى بكر، التى تبلغ الآلاف الكثيرة؟! و هل هذا عدل؟! تعالى اللّه الملك الحق العدل المبين، الذى لا تظلم عنده نفس بمثقال ذرة فما فوقها.

أم يصح أن يقال: إن نفقات أبى بكر لم تكن خالصة لوجه اللّه تعالى، و إنما جرت على وفق سجيته و طبعه فى الكرم و الجود؟! و كان ذلك هو سرّ اهمال اللّه لها؟ فلماذا لا يمدح اللّه هذه السجية؟ و إذا كان لا فضل فيها؛ فلماذا يقول الرسول: إن اللّه سوف يكافئه عليها؟! و لماذا؟

و لماذا؟! إلى آخر ما هنالك من الأسئلة التى لن تجد لها جوابا مقنعا و مفيدا و مقبولا.

و بعد ما تقدم، فإن الحديث عن ثروة أبى بكر، منقول- كما يقول الشيخ المفيد- عن خصوص ابنة أبى بكر عائشة، و فى طريقه من هم من امثال الشعبى المعروفين بالعصبية، و التقرب إلى بنى أمية بالكذب، و التخرص، و البهتان «۱».

اللصوص المهرة

و بعد، فإن مما يضحك الثكلى ما ذكره البعض، من أن اللصوص أخذوا لأبى بكر اربع مئة بعير، و اربعين عبدا، فدخل عليه النبى فرآه

---

(۱) الافصاح فى امامة أمير المؤمنين على «عليه السلام» ص ۱۳۱- ۱۳۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۷۲

حزينا، فسأله فأخبره، فقال ظننت أنه فاتتك تكبيرة الاحرام الخ .. «۱».

و لست ادرى كيف استطاع اللصوص اخفاء هذه الكمية الهائلة من العبيد و الجمال؟! و اين ذهبوا بها؟ و كيف لم يهرب واحد من العبيد ليخبر أبا بكر بالأمر.

و كيف لم يستيقظ أحد من أهل مكة و المدينة على أصوات حركة أكبر قافلة عرفها تاريخ ذلك الزمان؟!

و لا ادرى أيضا. من أين حصل أبو بكر على هذه الثروة الهائلة؟

و كيف لم يشتهر فى جميع الاقطار و الآفاق على أنه اكبر متمول فى الجزيرة العربية؟ و لا ندرى اخيرا هل استطاع أبو بكر استرداد ما سرق منه ام لا؟!.

كلمة أخيرة حول ما يقال عن ثروة أبى بكر:

و نعتقد: أن ما يقال عن ثروة لأبى بكر، أنه أنفقها على النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد كان نتيجة رد الفعل العنيفة من قبل انصار الخليفة الأول، حينما رأوا أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يأبى أخذ الراحلة منه إلا بالثمن «۲» و يرون فى مقابل ذلك الآيات النازلة فى على «عليه السلام»، و نفقاته و تضحياته ليلة المبيت و غيرها.

فكان لا بد أن يتحركوا لإثبات فضائل لأبى بكر، و تضحيات له جسام.

ثم يوجهون قضية الراحلة بأنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» اراد أن

---

(۱) نزهة المجالس ج ۱ ص ۱۱۶.

(۲) صحيح البخارى ط مشكول ج ۵ ص ۷۵ و تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۱۰۴، و سيرة ابن هشام ج ۲ ص ۱۳۱ و طبقات ابن سعد ج ۱ قسم ۱ ص ۱۵۳ و البداية و النهاية ج ۳ ص ۱۸۴- ۱۸۸، و مسند أحمد ج ۵ ص ۲۴۵، و الكامل لابن الأثير، و غير ذلك كثير. و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۷۳

تكون هجرته للّه تعالى: بنفسه و ماله «۱».

و لكنهم يعودون فينسون هذا التوجيه حينما يذكرون الامور التى تقدمت الإشارة اليها مثل جراب الزاد و الشاة المطبوخة، و منحة الغنم، حين الهجرة و غير ذلك، و يغفلون عن التناقض الظاهر بين كونه اراد الهجرة بنفسه و ماله و بين انفاقاته الكبيرة من مال أبى بكر و زاده و منحته و والخ.

و لا بأس بالتناقض فى أقوال النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و افعاله، مادام أنه لم تنقض فضيلة لأبى بكر، و لم يحرم منها!!.

التزوير، و التحوير:

و لكن الصحيح هو أن ما قاله «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إنما كان بالنسبة لأموال خديجة: «ما نفعنى مال قط مثلما نفعنى مال خديجة»- كما تقدم- و قد حور لصالح أبى بكر، و صيغ بصيغ مختلفة.

و العبارات التى تصب فى مجرى واحد، و تشير إلى هدف فارد، و هو اثبات فضيلة لأبى بكر، و أبى بكر فقط كثيرة شأنها شأن كثير من الأحاديث التى أشار إليها المعتزلى فى شرحه للنهج، و ذكر أنها من وضع البكرية فى مقابل فضائل أمير المؤمنين «عليه السلام». و كما يظهر لكل أحد بالتتبع و المقارنة.

تجلى اللّه لأبى بكر:

عن أنس: لما خرج «صلى اللّه عليه و آله و سلم» من الغار أخذ أبو بكر بغرزه؛ فنظر «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إلى وجهه، فقال: يا أبا بكر ألا أبشرك؟ قال: بلى فداك أبى و أمى. قال: إن اللّه

---

(۱) فتح البارى ج ۷ باب الهجرة، ص ۱۸۳ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۷۴

يتجلى يوم القيامة للخلائق عامة، و يتجلى لك خاصة «۱».

و مع أننا لم ندر ما معنى هذا التجلى، إلا أن يكون على مذهب المجسمة الضالة؛ فإننا نجد: أن الفيروز آبادى قد عد هذا الحديث من أشهر الموضوعات فى باب فضائل أبى بكر، و من المفتريات المعلوم بطلانها ببديهة العقل، و حكم الخطيب بوضعه عند ذوى المعرفة بالنقل.

و حكم أيضا بوضعه و بطلانه كل من: الذهبى، و العجلونى، و ابن عدى، و السيوطى، و العسقلانى، و القارى و غيرهم «۲».

كلام هام حول الفضائل:

يقول المدائنى: «كتب معاوية إلى عماله فى جميع الآفاق: أن لا يجيزوا لأحد من شيعة على شهادة، و كتب إليهم: أن انظروا من قبلكم

من شيعة عثمان، و محبيه، و أهل ولايته، الذين يروون فضائله و مناقبه، فأدنوا مجالسهم، و قربوهم، و اكرموهم، و اكتبوا إلى بكل ما يروى كل رجل منهم، و اسمه و اسم أبيه، و عشيرته ففعلوا ذلك، حتى اكثروا فى فضائل عثمان و مناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات، و الكساء، و الحباء، و القطائع. و يفيضه فى العرب منهم و الموالى.

فكثر ذلك فى كل مصر، و تنافسوا فى المنازل و الدنيا، فليس يجد امرؤ من الناس عاملا من عمال معاوية، فيروى فى عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه، و قربه، و شفعه، فلبثوا بذلك حينا.

---

(۱) الغدير ج ۵ ص ۳۰۱- ۳۰۲ و المصادر الآتية فى الهامش التالى و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۴۱.

(۲) راجع: تاريخ بغداد للخطيب ج ۲ ص ۲۸۸ و ج ۱۲ ص ۱۹، و كشف الخفاء ج ۲ ص ۴۱۹، و اللآلى المصنوعة ج ۱ ص ۱۴۸، و لسان الميزان ج ۲ ص ۶۴ و ميزان الاعتدال ج ۲ ص ۲۱ و ۲۳۲ و ۲۶۹ و ج ۳ ص ۳۳۶ و الغدير ج ۵ ص ۳۰۲ عمن تقدم، و عن أسنى المطالب ص ۶۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۷۵

ثم كتب إلى عماله: إن الحديث فى عثمان قد جهر و فشافى كل مصر، و كل وجه و ناحية، فإذا جاءكم كتابى هذا، فادعوا الناس إلى الرواية فى فضائل الصحابة، و الخلفاء الأولين، و لا تتركوا خبرا يرويه أحد من المسلمين فى أبى تراب إلا و أتونى بمناقض له فى الصحابة، فإن هذا أحب إلى، و أقر لعينى، و أدحض لحجة أبى تراب و شيعته، و أشد عليهم من مناقب عثمان و فضله.

فقرئت كتبه على الناس؛ فرويت أحاديث كثيرة فى مناقب الصحابة، مفتعلة لا حقيقة لها، وجدّ الناس فى رواية ما يجرى هذا المجرى، حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر و ألقى إلى معلمى الكتاب، فعلّموا صبيانهم و غلمانهم من ذلك الكثير الواسع، حتى رووه و تعلموه كما يتعلمون القرآن، و حتى علموه بناتهم، و نسائهم، و خدمهم، و حشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء اللّه.

ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البينة: أنه يحب عليا، و أهل بيته، فامحوه من الديوان، و أسقطوا عطاءه ورزقه.

و شفع ذلك بنسخة أخرى: من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم، فنكلوا به، و اهدموا داره. فلم يكن البلاء أشد و اكثر منه بالعراق، و لا سيما بالكوفة، حتى إن الرجل من شيعة على ليأتيه من يثق به فيدخل بيته؛ فليقى إليه سرّه، و يخاف من خادمه و مملوكه، و لا يحدثه حتى يأخذ عليه الايمان الغليظة: ليكتمن عليه.

فظهر حديث كثير موضوع. و بهتان منتشر، و مضى على ذلك الفقهاء و القضاة، و الولاة. و كان اعظم الناس فى ذلك بلية القراء المراؤن، و المستضعفون، الذين يظهرون الخشوع و النسك، فيفتعلون الاحاديث حتى يحظوا بذلك عند ولاتهم، و يقربوا فى مجالسهم، و يكسبوا به الاموال و الضياع، و المنازل حتى انتقلت تلك الاخبار و الاحاديث إلى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۷۶

أيدى الديانين الذين لا يستحلون الكذب و البهتان فقبلوها فرووها و هم يظنون أنها حق و لو علموا: أنها باطلة لما رووها و لا تدينوا بها، فلم يزل الامر كذلك حتى مات الحسن بن على (ع)، فازداد البلاء و الفتنة إلخ «۱»».

ما أنت إلا إصبع دميت:

و فى رواية: ان أبا بكر صار يسد كل حجر وجده فى الغار، فأصاب يده ما أدماها، فصار يمسح الدم عن إصبعه و يقول:

ما أنت إلا اصبع دميتو فى سبيل اللّه ما لقيت «۲» و هذا لا يصح؛ لأن هذا البيت هو لعبد اللّه بن رواحة، قاله فى جملة أبيات له فى غزوة مؤته، و قد صدمت إصبعه فدميت «۳».

و فى الصحيحين: عن جندب بن سفيان: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد قال ذلك فى بعض المشاهد، أو فى الغار، حينما دميت إصبعه «۴».

و ذكر آخرون: أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قال ذلك حينما لحقه أبو بكر، لظنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أنه بعض المشركين؛ فاسرع؛ فأصابه حجر، ففلق ابهامه «۵».

---

(۱) النصائح الكافية ص ۷۲- ۷۳ عن المدائنى، و شرح نهج البلاغة للمعتزلى ج ۱۱ ص ۴۴.

(۲) حلية الاولياء ج ۱ ص ۲۲، و البداية و النهاية ج ۳ ص ۱۸۰، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۵/ ۳۶.

(۳) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۶۹ و ۳۶.

(۴) صحيح مسلم ج ۵ ص ۱۸۱ و ۱۸۲، و صحيح البخارى ج ۲ ص ۸۹ الميمنية، و حياة الصحابة ج ۱ ص ۵۱۸.

(۵) راجع البحار ج ۱۹ ص ۹۳ عن مسند أحمد، و عن تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۱۰۰ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۶ عن ابن الجوزى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۷۷

و لعله «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد قرأ «دميت و لقيت» بفتح ياءيهما، و سكون تاءيهما حتى لا يكون شعرا، لأنه لا يقول الشعر و لا ينبغى له. كما ذكرته الآية الكريمة: وَ ما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَ ما يَنْبَغِي لَهُ «۱». إلا أن يكون المراد بها: أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ليس بشاعر، لا أنه لا يتلفظ بالشعر، و لا يتمثل به،

و فى بعض المصادر: أن قائله هو الوليد بن الوليد بن المغيرة، حين فر من المشركين حين هجرته، أو حينما ذهب ليخلص هشام بن العاص و عباس بن ربيعة «۲».

و قيل: إن أبا دجانة قال ذلك فى غزوة أحد «۳».

و لعل الجميع قد قالوا هذا البيت، لكن على سبيل التمثل به.

و التمثل بالشعر شائع عند العرب. و هكذا يتضح أن هذا الشعر إن كان قد قيل فى الغار، فإن قائله هو النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كما فى الصحيحين. و قد نسب ذلك إلى أبى بكر، تصنعا و تزلفا ليس إلا، و ذلك لا يسمن و لا يغنى من جوع.

عمدة فضائل أبى بكر:

و مما يلفت النظر، و يقضى بالعجب: أن تكون صحبة أبى بكر لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و كونه معه فى الغار، و كبر سنّه، هما عمدة ما استدلوا به يوم السقيفة لأحقية أبى بكر بالخلافة دون غيره، فقد قال عمر يوم السقيفة: «من له مثل هذه الثلاث: ثانى اثنين إذ هما فى الغار، إذ يقول لصاحبه لا تحزن، إن اللّه معنا».

---

(۱) سورة يس: ۶۹.

(۲) نسب قريش لمصعب الزبيرى ص ۳۲۴، و المصنف لعبد الرزاق ج ۲ ص ۴۴۷، و سيرة ابن هشام ج ۲ ص ۲۲۰.

(۳) البدء و التاريخ ج ۴ ص ۲۰۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۷۸

و قال: إن أولى الناس بأمر نبى اللّه ثانى اثنين، إذ هما فى الغار، و ابو بكر السباق المسن. و قال يوم البيعة العامة «إن أبا بكر رحمه اللّه صاحب رسول و ثانى اثنين، اولى الناس بأموركم؛ فقوموا فبايعوه «۱»».

و عن سلمان: «أصبتم ذا السن فيكم. و لكنكم أخطأتم أهل بيت نبيكم».

و حينما طلب اليهود من أبى بكر أن يصف لهم صاحبه قال: «معشر اليهود، لقد كنت معه فى الغار كاصبعى هاتين إلخ».

و عن عثمان: «إن أبا بكر الصديق (يبدو أن كلمة الصديق زيادة من الرواة لما تقدم) أحق الناس بها؛ إنه لصديق، و ثانى اثنين، و صاحب رسول اللّه» هكذا عن أبى عبيدة.

و عن على، و الزبير: «الغار، و شرفه، و كبره، و صلاته بالناس» «۲».

---

(۱) راجع هذه النصوص فى: مجمع الزوائد ج ۵ ص ۱۸۲ عن الطبرانى و رجاله ثقات و بعضه عن ابن ماجة، و سيرة ابن هشام ج ۴ ص ۳۱۱، و البداية و النهاية ج ۵ ص ۲۴۸ عن البخارى، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۳۵۹، و شرح النهج للمعتزلى ج ۶ ص ۸ و المصنف لعبد الرزاق ج ۵ ص ۴۳۸، و الغدير ج ۷ ص ۹۲ عن بعض من تقدم و عن: الرياض النضرة ج ۱ ص ۱۶۲، ۱۶۶.

(۲) راجع فى ما تقدم كلا أو بعضا شرح النهج للمعتزلى ج ۶ ص ۸، و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۶۶، و سنن البيهقى ج ۸ ص ۱۵۳. و ذكر ذلك فى الغدير ج ۵ ص ۳۶۹ و ج ۷ ص ۹۲ و ج ۱۰ ص ۷ كلا أو بعضا عن المصادر التالية: مسند أحمد ج ۱ ص ۳۵، و طبقات ابن سعد ج ۳ ص ۱۲۸، و نهاية ابن الاثير ج ۳ ص ۲۴۷، وصفة الصفوة ج ۱ ص ۹۷، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۳۸۶، و الصواعق المحرقة ص ۷، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱ ص ۱۳۱ و ج ۲ ص ۱۷، و الرياض النضرة ج ۲ ص ۱۹۵، و كنز العمال ج ۳ ص ۱۴۰ عن الاطرابلسى فى فضائل الصحابة و نقل أيضا عن الكنز ج ۳ ص ۱۳۹ و ۱۳۶ و ۱۴۰ عن ابن أبى شيبة و ابن عساكر، و ابن شاهين، و ابن جرير، و ابن سعد، و أحمد، و رجاله رجال الصحيح.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۷۹

و أخيرا، فقد قال العسقلانى عن قضية الغار: «هى أعظم فضائله التى استحق بها أن يكون الخليفة بعد النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و لذلك قال عمر بن الخطاب: إن أبا بكر صاحب رسول اللّه، ثانى اثنين، فإنه أولى المسلمين بأموركم».

و إذا كانت أعظم فضائله التى استحق بها الخلافة، و إذا كانوا لم يتمكنوا من ذكر فضيلة أخرى له، مع أنهم فى أحرج الأوقات، و فى أمس الحاجة إلى التشبث بكل حشيش فى مقابل الانصار؛ فماذا عساهم أن يصنعوا فى مقابل على و فضائله العظمى التى هى كالنار على المنار و كالشمس فى رابعة النهار؟ و هل يمكنهم أن يحتجوا بشىء ذى بال فى مقابله؟!. و هل يبقى أمامهم من مخرج سوى اللجوء إلى أساليب العنف و الارهاب؟! و هكذا كان!!.

و إذا أفقده البحث المنطقى و العلمى هذه الفضيلة، و بقى صفر اليدين. حتى لقد كان بلال يفضل عليه، حتى اضطر بلال- و لعله لدوافع لم يستطع التاريخ أن يفصح عنها لأن يستنكر ذلك و يقول: كيف تفضلونى عليه، و أنا حسنة من حسناته؟ «۱».

نعم .. إذا أفقده النقد الموضوعى هذه الفضيلة، كما قد رأينا ذلك فيما تقدم، فما الذى يبقى أمام أبى بكر للحفاظ على ماء وجهه و منصبه؟!.

إننا نترك الجواب على ذلك للقارىء الفطن و المنصف.

عثمان حين قضية الغار:

و أخرج ابن مندة بسند واه، عن أسماء بنت أبى بكر، قالت: كنت

---

(۱) الغدير ج ۱۰ ص ۱۳، و تهذيب تاريخ دمشق ج ۳ ص ۳۱۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۸۰

أحمل الطعام إلى أبى، و هو مع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بالغار، فاستأذنه عثمان فى الهجرة، فأذن له فى الهجرة إلى

الحبشة «۱».

و لكن من الواضح: أن عثمان قد هاجر إلى الحبشة قبل قضية الغار بثمان سنين؛ لأن هجرة الحبشة انما كانت فى السنة خامسة من البعثة.

أضف ذلك: أن كون اسماء هى التى كانت تحمل الطعام إلى الغار.

لا يصح؛ فقد تقدم أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لم يقبل أن يأخذ الناقة من أبى بكر إلا بالثمن حتى لا يكون لأحد منة عليه «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

هذا كله عدا عما تقدم من عدم صحة قولهم: إن أسماء كانت تأتيهم بالطعام إلى الغار .. فإن عليا «عليه السلام» كان هو الذى يحمل الطعام إلى الغار؛ و ليس اسماء بنت أبى بكر.

و كون المراد غارا آخر، يحتاج إلى شاهد و دليل، و لم نجد فى التاريخ ما يدل على أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد دخل غارا آخر، و لبث فيه مع أبى بكر مدة.

يوم الغار، و يوم الغدير:

قال ابن العماد و غيره: «تمادت الشيعة فى هذه الاعصر فى غيهم بعمل عاشوراء، و باللطم و العويل، و بنصب القباب، و الزينة، و شعار الاعياد يوم الغدير؛ فعمدت غالية السنة و أحدثوا فى مقابلة يوم الغدير، الغار، و جعلوه بعد ثمانية أيام من يوم الغدير، و هو السادس و العشرون من ذى الحجة، و زعموا: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و أبا بكر اختفيا حينئذ فى الغار.

---

(۱) كنز العمال ج ۲۲ ص ۲۰۸ عن ابن عساكر، و الاصابة ج ۴ ص ۳۰۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۸۱

و هذا جهل و غلط؛ فإن أيام الغار إنما كانت بيقين فى صفر، و فى أول شهر ربيع الأول إلخ «۱»».

و قد كان عليه أن يقول: «و هذا نصب و جهل، قد أعمى أبصارهم و بصائرهم». و هل ليوم الغار الذى أظهر فيه أبو بكر ضعفه، و شكّه.

و عرف كل أحد أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لم يأخذ منه البعير إلا بالثمن. أن يكون كيوم الغدير، الذى جعل فيه أهل البيت أحد الثقلين الذين لن يضل من تمسك بهما، و جعل على فيه مولى للمؤمنين و إماما لهم بعد الرسول. إلى غير ذلك مما نقله جهابذة العلماء، و اعاظم الحفاظ؟!.

و لا بأس بمراجعة كتابنا صراع الحرية فى عصر المفيد، ففيه تفصيلات حول هذا الموضوع،

و أخيرا فما أحرانا: أن نتمثل هنا بقول الشاعر:

من كان يخلق ما يقول فحيلتى فيه قليلة

الكلمة الاخيرة فى حديث الغار:

و حسبنا ما ذكرناه هنا حول الاكاذيب التى جادت بها قرائحهم، حول قضية الغار، و قد يلاحظ القارىء أننا لم نكثر المصادر للنصوص التى ذكرناها هنا، و عذرنا فى ذلك هو أننا لم نر حاجة إلى ذلك، لأننا رأينا أنها متوفرة جدا فى مختلف الكتب الحديثية و التاريخية، و لن يجد القارىء كبير عناء فى البحث عنها، و استخراجها.

(۱) شذرات الذهب ج ۳ ص ۱۳۰، و الامام الصادق و المذاهب الاربعة ج ۱ ص ۹۴، و بحوث مع أهل السنة و السلفية ص ۱۴۵ و المنتظم لابن الجوزى ج ۷ ص ۲۰۶ و البداية و النهاية ج ۱۱ ص ۳۲۵ و الخطط المقريزية ج ۱ ص ۳۸۹ و الكامل فى التاريخ ج ۹ ص ۱۵۵ و نهاية الارب للنويرى ج ۱ ص ۱۸۵ و ذيل تجارب الامم لابى شجاع ج ۳ ص ۳۳۹ و ۳۴۰ و تاريخ الاسلام للذهبى (حوادث سنة ۳۸۱- ۴۰۰) ص ۲۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۸۲

و لعل القارىء يجد فى هذا الذى ذكرناه مقنعا و كفاية، و هو يكشف له زيف الكثير مما لم نذكره لوضوح كذبه و فساده، و قد آن الاوان للعودة إلى الحديث عن سائر أحداث السيرة العطرة للرسول الاعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

فإلى ما يلى من فصول

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۸۴

الفصل السادس: الى قباء

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۸۵

فى الطريق إلى المدينة:

عن ابى عبد اللّه «عليه السلام»: إن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لما خرج من الغار متوجها إلى المدينة، و قد كانت قريش جعلت لمن أخذه مئة من الإبل. خرج سراقة بن جشعم فيمن يطلب، فلحق رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، فقال «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: اللهم اكفنى سراقة بما شئت، فساخت قوائم فرسه، فثنى رجله ثم اشتد، فقال: يا محمد إنى علمت أن الذى أصاب قوائم فرسى إنما هو من قبلك، فادع اللّه ان يطلق لى فرسى، فلعمرى، إن لم يصبكم خير منى لم يصبكم منى شر، فدعا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»:

فأطلق اللّه عز و جل فرسه، فعاد فى طلب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» حتى فعل ذلك ثلاث مرات، فلما أطلقت قوائم فرسه فى الثالثة، قال:

يا محمد، هذه إبلى بين يديك فيها غلامى، فإن احتجت إلى ظهر أولين فخذ منه، و هذا سهم من كنانتى علامة، و أنا ارجع فأرد عنك الطلب.

فقال: لا حاجة لى فيما عندك.

و لعل رفض النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ما عرضه عليه سراقة قد كان من منطلق: أنه لا يريد أن يكون لمشرك يد عنده. و قد تقدمت بعض النصوص الدالة على ذلك فى فصل أبو طالب مؤمن قريش، و سيأتى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۸۶

فى هذا الكتاب بعض من ذلك أيضا.

و سار «صلى اللّه عليه و آله و سلم» حتى بلغ خيمة أم معبد، فنزل بها، و طلبوا عندها قرى؛ فقالت: ما يحضرنى شىء. فنظر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إلى شاة فى ناحية قد تخلفت من الغنم لضرها، فقال: أتأذنين فى حلبها؟ قالت: نعم، و لا خير فيها. فمسح

يـده على ظهرهـا، فصـارت من أسـمن ما يكون من الغنم، ثم مسـح يـده على ضـرعها، فأرخت ضـرعا عجيبا؛ و درت لبنا كثيرا، فطلب «صلى اللّه عليه و آله و سلم» العس، و حلب لهم فشربوا جميعا حتى رووا.

ثم عرضت عليه أم معبد ولدها الذى كان كقطعة لحم، لا يتكلم، و لا يقوم، فأخذ تمرة فمضـغها، و جعلها فى فيه، فنهض فى الحال، و مشى، و تكلم، و جعل نواها فى الارض فصار نخلة فى الحال، و قد تهدل الرطب منها، و أشار إلى جوانبها فصار مراعى.

و رحل «صـلى اللّه عليه و آله و سـلم» فلما توفى «صـلى اللّه عليه و آله و سـلم» لم ترطب تلك النخلة، فلما قتل على «عليه السـلام» لم تخضر، فلما قتل الحسين «عليه السلام» سال منها الدم «۱».

فلمـا عـاد أبو معبـد، و رأى ذلك سأل زوجته عن سـببه قالت: مربى رجل من قريش ظاهر الوضاءة، أبلـج الوجه، حسن الخلق، لم تعبه ثجلة (أو نخلة) و لم تزر به صـحلة (أو صـقلة) و سيم فى عينيه دعج، و فى اشـفاره عطف، و فى صوته صحل، و فى عنقه سطع، و فى لحيته كثاثـة، أز ج أقرن، ان صـمت فعليه الوقـار و إن تكلم سـما و علاه البهاء، أكمل الناس و أبهاهم من بعيـد، و أحسـنه و أعلاه من قريب، حلو المنطق فصل، لا نزر و لا هـذر، كأن منطقـة خرزات نظمن يتحـدرن، ربعة لا تشـنؤه من طول، و لا تقتحمه العين من قصـر غصن بين غصنين و هو أنضر الثلاثة منظرا، و أحسنهم

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۳۵ عن ربيع الابرار.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۸۷

قدرا الى ان قالت: محفود محشود لا عابس و لا مفند. (و وصف أم معبد له «صلى اللّه عليه و آله و سلم» معروف و مشهور).

فعرف أبو معبد أنه النبى «صـلى اللّه عليه و آله و سـلم». ثم قصد بعد ذلك رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إلى المدينة، فآمن هو و أهله «۱».

الكرامات الباهرة بعد الظروف القاهرة:

و ليس ذلـك كله بكثير على النبى الاـعظم «صـلى اللّه عليه و آله و سـلم» و كراماـته الظـاهرة، و معجزاته الباهرة، فهو أشـرف الخلق و أكرمهم على اللّه من الاولين و الآخرين إلى يوم الدين.

و من الجهة الثانية: فإن حصول هذه الكرامات بعد مصاعب الهجرة مباشـرة إنما يؤكد ما أشـرنا إليه سابقا: من أنه قد كان من الممكن أن تتم الهجرة بتدخل من العناية الإلهية. و لكن اللّه تعالى أبى ان يجرى الأمور إلا بأسـبابها و ليكون هذا الرسول هو الاسوة الحسنة، و القـدوة لكـل أحـد، فى مواجهـة مشاكـل الحيـاة، و تحمـل أعبـاء الـدعوة الى اللّه بكـل مـا فيهـا من متاعب، و مصاعب و أزمات؛ فإن للأزمات التى يمر بها الانسان دور رئيس فى صنع خصائصه، و بلورتها، و تعريفه بنقاط الضعف التى يعانى منها و هى تبعث فيه حيوية و نشاطا، و تجعله جديا فى مواقفه، فإنه اذا كان هدف اللّه سبحانه هو اعمار هذا الكون بالإنسان. فان الإنسان الخامل الذى يعتمد على الخوارق و المعجزات لا يمكنه ان يقوم بمهمة الإعمار هذه.

---

(۱) راجع: تاريـخ الخميس ج ۱ ص ۳۳۴ و البحار ج ۱۹ ص ۴۱ و ۴۲ و دلائـل النبوة للبيهقى ط دار الكتب العلميـة ج ۱ ص ۲۷۹ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۴۹/ ۵۰ و غير ذلك من المصادر.

و حـديث أم معبـد مشـهور بين المـؤرخين، و النص المـذكور من أول العنـوان إلى هنـا هو للبحـار ج ۱۹ ص ۷۵/ ۷۶ عن الخرائـج و الجرائح.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۸۸

و الخلاصة:

إن ذلك لمما يساعد على تربية الانسان و تكامله فى عملية إعداده ليكون عنصرا فاعلا و بانيا و مؤثرا، لا منفعلا و متأثرا و حسب. الى غير ذلك مما يمكن استفادته من الاحداث الآنفة الذكر.

هجرة أمير المؤمنين «عليه السلام»:

و استمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى هجرته المباركة حتى قرب من المدينة، فنزل بادىء ذى بدء فى قباء فى بيت عمرو بن عوف، فأراده، أبو بكر على دخول المدينة، و ألاصه فأبى، و قال: ما أنا بداخلها حتى يقدم ابن أمى، و أخى، و إبنتى، يعنى عليا و فاطمة «عليهما السلام» «۱».

فلما أمسى فارقه أبو بكر، و دخل المدينة، و نزل على بعض الانصار، و بقى رسول اللّه بقباء، نازلا على كلثوم بن الهدم «۲»

ثم كتب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» الى أخيه على «عليه السلام» كتابا يأمره بالمسير اليه، و قلة التلوم، و أرسل الكتاب مع ابى واقد الليثى.

فلما أتاه كتاب النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» تهيأ للخروج و الهجرة؛ فأعلم من كان معه من ضعفاء المؤمنين، و أمرهم أن يتسللوا، و يتخففوا تحت جنح الليل الى ذى طوى، و خرج «عليه السلام» بفاطمة

---

(۱) راجع الفصول المهمة لابن الصباغ المالكى ص ۳۵ من دون ذكر للاسم، و راجع:

أمالى الشيخ الطوسى ج ۲ ص ۸۳، و راجع اعلام الورى ص ۶۶، و البحار ج ۱۹ ص ۶۴ و ۱۰۶ و ۱۱۵ و ۱۱۶ و ۷۵ و ۷۶ و راجع ج ۲۲ ص ۳۶۶ عن الخرائج و الجرايح.

(۲) اعلام الورى ص ۶۶، و البحار ج ۱۹ ص ۱۰۶ عنه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۸۹

بنت الرسول، و أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، و فاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب، و تبعهم أيمن ابن أم أيمن مولى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم». و أبو واقد، فجعل يسوق بالرواحل فأعنف بهم، فأمره «عليه السلام» بالرفق فاعتذر بخوفه من الطلب. فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: أربع عليك، فإن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قال لى: (أى حين سفره من الغار كما تقدم) يا على أما إنهم لن يصلوا من الآن اليك بأمر تكرهه.

و أدركه الطلب قرب ضجنان، و هم سبع فوارس متلثمون، و ثامنهم مولى للحارث بن أمية، يدعى جناحا.

فأنزل على «عليه السلام» النسوة، و أقبل على القوم منتضيا السيف، فأمروه بالرجوع، فقال: فإن لم أفعل؟ قالوا: لترجعن راغما، او لنرجعن بأكثرك شعرا، و أهون بك من هالك.

و دنا الفوارس من المطايا ليثوروها، فحال على (ع) بينهم و بينها فأهوى جناح بسيفه، فراغ على «عليه السلام» عن ضربته، و تختله على «عليه السلام» فضربه على عاتقه؛ فأسرع السيف مضيا فيه، حتى مسّ كاثبة فرسه، وشد عليهم بسيفه، و هو يقول:

خلوا سبيل الجاهد المجاهدآليت لا أعبد غير الواحد فتصدع القوم عنه و قالوا: أغن عنا نفسك يا ابن ابى طالب.

قال: فإنى منطلق إلى ابن عمى رسول اللّه بيثرب، فمن سره أن أفرى لحمه، و أهريق دمه، فليتبعنى، او فليدن منى. ثم أقبل على صاحبيه، فقال لهما: أطلقا مطايا كما.

ثم سار ظاهرا حتى نزل بضجنان، فتلوم بها قدر يومه و ليلته، و لحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين، و فيهم أم أيمن مولاة الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فعبدوا اللّه تلك الليلة قياما و قعودا، و على جنوبهم

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۹۰

حتى طلع الفجر؛ فصلى بهم على «عليه السلام» صلاة الفجر ثم سار بهم؛ فجعلوا يصنعون ذلك فى كل منزل، حتى قدم المدينة، و قد نزل الوحى بما كان من شأنهم قبل قدومهم.

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِياماً وَ قُعُوداً وَ عَلى جُنُوبِهِمْ، وَ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ، رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلًا إلى قوله:

فَاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ، أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى «۱».

و لما بلغ النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قدومه «عليه السلام»، قال: أدعوا لى عليا قيل: يا رسول اللّه، لا يقدر أن يمشى، فأتاه صلى اللّه عليه و آله بنفسه، فلما رآه اعتنقه، و بكى رحمة لما بقدميه من الورم، و كانتا تقطران دما.

و قال «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لعلى: يا على، أنت أول هذه الامة إيمانا باللّه و رسوله، و أولهم هجرة الى اللّه و رسوله، و آخر هم عهدا برسوله. لا يحبك و الذى نفسى بيده. إلا مؤمن، قد امتحن قلبه للإيمان و لا يبغضك إلا منافق أو كافر «۲».

إذن فالهجرة العلنية، و التهديد بالقتل لمن يعترض سبيل المهاجر قد كان من على «عليه السلام»، و ليس من عمر بن الخطاب، و قد تقدم فى فصل ابتداء الهجرة الى المدينة. بعض ما يدل على عدم صحة نسبة ذلك

---

(۱) آل عمران ۱۹۱- ۱۹۵.

(۲) راجع فيما ذكرناه: أمالى الشيخ الطوسى ج ۲ ص ۸۳- ۸۶، و البحار ج ۱۹ ص ۶۴- ۶۷ و ۸۵ و تفسير البرهان ج ۱ ص ۳۳۲ و ۳۳۳ عن الشيبانى فى نهج البيان، و عن الاختصاص للشيخ المفيد، و المناقب لابن شهر آشوب ج ۱ ص ۱۸۳/ ۱۸۴، و اعلام الورى ص ۱۹۰ و راجع: امتاع الاسماع للمقريزى ج ۱ ص ۴۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۹۱

إلى عمر، و إنما نسبوا ما كان من أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى غيره، شأن الكثير من فضائله و مواقفه «عليه السلام».

السياسة الحكيمة:

و بعد .. فإن من الامور الجديرة بالملاحظة هنا: أننا نجد أمير المؤمنين عليا و كذلك أبناؤه من بعده «عليه السلام» يحاولون تفويت الفرصة على مزورى التاريخ من اعداء الدين و الحق، و الإيمان، فقد روى عبد الواحد ابن أبى عون: أن رسول اللّه حينما توفى أمر على «عليه السلام» صائحا يصيح:

من كان له عند رسول اللّه عدة أو دين فليأتنى.

فكان يبعث كل عام عند العقبة يوم النحر من يصيح بذلك، حتى توفى على، ثم كان الحسن بن على يفعل ذلك حتى توفى، ثم كان الحسين يفعل ذلك، و انقطع ذلك بعده، رضوان اللّه تعالى عليهم و سلامه.

قال ابن عون: فلا يأتى أحد من خلق اللّه إلى على بحق و لا باطل إلا أعطاه «۱»

كتاب تبع الأول:

و يذكر البعض: أن تبعا الأول قد آمن بالنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قبل ولادته «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بمئات السنين فى قصة طويلة، نرغب عن ذكرها، لأننا لم نتأكد من صحتها فمن أراد التحقيق حولها؛ فليراجعها فى مصادرها. «۲»

---

(۱) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۲ قسم ۲ ص ۸۹.

(۲) ثمرات الاوراق ص ۲۹۰/ ۲۹۱ عن القرطبى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۹۲

أبو بكر شيخ يعرف:

قد جاء فى بعض المرويات: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أقبل الى المدينة و كان أبو بكر رديف النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

و أبو بكر شيخ يعرف، و النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» شاب لا يعرف، فيلقى الرجل أبا بكر، فيقول: يا أبا بكر من هذا الذى بين يديك. و فى لفظ أحمد: من هذا الغلام بين يديك، فيقول: يهدينى السبيل، فيحسب الحاسب، أنه يهديه الطريق و إنما يعنى سبيل الخير.

و فى التمهيد: ان الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان رديف أبى بكر، فكان إذا قيل لابى بكر: من هذا وراءك؟ إلخ.

و صرح القسطلانى: بأن ذلك كان حين الانتقال من بنى عمرو بن عوف، أى من قباء الى المدينة.

و فى نص آخر: انه لما قدم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» المدينة تلقاه المسلمون؛ فقام أبو بكر للناس، و جلس النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و أبو بكر شيخ، و النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» شاب. فكان من لم ير النبى يجيء أبا بكر زاعما أنه هو، فيعرفه النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» حتى أصابت الشمس رسول اللّه، فجاء أبو بكر فظلل عليه بردائه، فعرفه الناس حينئذ «۱».

و لكن ذلك لا يمكن أن يصح و ذلك:

---

(۱) راجع فى ذلك كلا- أو بعضا: إرشاد السارى ج ۶ ص ۲۱۴ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۴۱، و صحيح البخارى ط مشكول باب الهجرة ج ۶ ص ۵۳ و سيرة ابن هشام ج ۲ ص ۱۳۷، و مسند أحمد ج ۳ ص ۲۸۷، و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۸۶، و عيون الاخبار لابن قتيبة ج ۲ ص ۲۰۲، و المعارف له ص ۷۵ و الغدير ج ۷ ص ۲۵۸ عن كثير ممن تقدم و عن: الرياض النضرة ج ۱ ص ۷۸ و ۷۹ و ۸۰، و عن طبقات ابن سعد ج ۲ ص ۲۲۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۹۳

أولا- إن كون أبى بكر يعرف، و النبى لا- يعرف، لا- يمكن قبوله، فان النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان يعرض دعوته على مختلف القبائل التى كانت تقدم مكة، طيلة سنوات عديدة و قد سار ذكره فى الآفاق، و بايعه من أهل المدينة أكثر من ثمانين ورآه حوالى خمسمئة من أهل المدينة قدموا مكة، قبل ثلاثة أشهر فقط كما تقدم. فكيف يكون أبو بكر يعرف، و النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لا يعرف «۱»؟!.

و من جهة أخرى: فلم يكن أحديهتم بسفر أبى بكر او يحس به و لا يجد أى من الناس دافعا للتعرف عليه.

هذا كله، عدا عن أن أبا بكر قد فارق الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» حينما وصلا الى قباء، و لم يبق معه الى حين دخول المدينة.

و أما ما ذكر أخيرا: من أن من لم ير النبى كان يجيء أبا بكر زاعما أنه هو

فهو ينافى قولهم: إن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان شابا لا يعرف و أبو بكر شيخ يعرف.

ثانيا: لقد كان الناس من أهل المدينة ينتظرون قدومه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بفارغ الصبر، و قد استقبله منهم حين قدومه حوالى خمسمئة راكب «۲» بظهر الحرة و كان النساء و الصبيان و الشبان، و غيرهم يهزجون:- كما قيل-

طلع البدر علينامن ثنيات الوادع

---

(۱) راجع: الغدير ج ۷ ص ۲۵۸.

(۲) الثقات لابن حبان ج ۱ ص ۱۳۱، و دلائل النبوة ج ۲ ص ۲۳۳، و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۵۵، عن التاريخ الصغير للبخارى، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۵۲، و السيرة النبوية لدحلان هامش الحلبية ج ۱ ص ۳۲۵، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۲۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۹۴ وجب الشكر علينا ما دعا للّه داع

أيها المبعوث فينا جئت بالامر المطاع و كان قد مكث فى قباء أياما يستقبل الناس؛ فهل يمكن أن يكون متنكرا حين قدومه من قباء الى المدينة، كما يقول القسطلانى؟! «۱»

أو هل يمكن أن يكون قد دخل المدينة و لم يكن معه أحد من أهل قباء، و لا من أهل المدينة و أين كان عنه على حينئذ؟! و ألم يكن أهل المدينة قد أتوا زرافات و وحدانا إلى قباء ليتشرفوا برؤيته؟! أو لماذا لم يدلّ العارفون به أولئك الذين يشتبهون فى أمره عليه؟!

و ثالثا: لقد كان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يكبر أبا بكر، بسنتين وعدة أشهر؛ لأنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ولد عام الفيل، و أبو بكر إستكمل بخلافته سن رسول للّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، حيث توفى- كما يدعون- بسن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» عن ثلاث و ستين سنة «۲».

إذن فكيف يصح قولهم: إنه شيخ و النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» شاب.

و مما ذكرناه نعرف عدم صحة ما روى عن يزيد بن الاصم- المتوفى

---

(۱) ارشاد السارى ج ۶ ص ۲۱۴.

(۲) المعارف لابن قتيبة ص ۷۵، مدعيا الاتفاق على ذلك، و اسد الغابة ج ۳ ص ۲۲۳، و مرآة الجنان ج ۱ ص ۶۵ و ۶۹ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۶۰ و الاصابة ج ۲ ص ۳۴۱- ۳۴۴، و الغدير ج ۷ ص ۲۷۱ عمن تقدم و عن المصادر الآتية:

الكامل لابن الأثير ج ۱ ص ۱۸۵ و ج ۲ ص ۱۷۶، و عيون الاثر ج ۱ ص ۴۳ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۳۹۶ و الطبرى ج ۲ ص ۱۲۵ و ج ۴ ص ۴۷ و الاستيعاب ج ۱ ص ۳۳۵، و قال: لا يختلفون أن سنه انتهى حين وفاته ثلاثا و ستين سنة، و سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۲۰۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۹۵

بعد المئة عن ۷۳ سنة- من أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قال لأبى بكر: أنا أكبر أو أنت؟ قال: لا، بل أنت أكبر منى و أكرم، و خير منى، و أنا أسن منك «۱».

و أما الاعتذار عن ذلك بأن الشيب كان فى وجه أبى بكر ولحيته كثيرا بخلافه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» «۲»- أو أن أبا بكر كان تاجرا، يعرفه الناس فى المدينة عند اختلافه إلى الشام-.

فلا يصح؛ لأن الشيب و عدمه لا يخفى الشيخوخة و الشباب، حتى لقد ورد التعبير فى بعض تلك المرويات ب «ما هذا الغلام بين يديك؟» فما معنى التعبير بالغلام عن رجل يزيد عمره على خمسين سنة. إلا أن يقال:

الغلام يطلق على الشيخ و الشاب فهو من الأضداد.

و أيضا، فقد روى عن ابن عباس بسند صحيح: أن أبا بكر قال للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: يا رسول اللّه قد شبت؟ قال شيبتنى هود و الواقعة و الخ. و روى الحفاظ مثله عن ابن مسعود، و عن أبى جحيفة، قالوا: يا رسول اللّه، نراك قد شبت، قال شيبتنى هود و

أخواتها «۳».

و إذا كانت السور المذكورة مكية كما هو معلوم. فيستفاد من ذلك أن الشيب قد بان فيه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى مكة على خلاف

---

(۱) الغدير ج ۷ ص ۲۷۰ عن: الاستيعاب ج ۲ ص ۲۲۶، و الرياض النضرة ج ۱ ص ۱۲۷ و تاريخ الخلفاء ص ۷۲ عن خليفة بن خياط، و أحمد بن حنبل و ابن عساكر.

(۲) فتح البارى ج ۷ ص ۱۹۵، و راجع: الغدير ج ۷ ص ۲۶۰ و ۲۶۱.

(۳) مستدرك الحاكم ج ۲ ص ۳۴۳ و تلخيصه للذهبى هامش نفس الصفحة و اللمع لابى نصر ص ۲۸۰ و تفسير ابن كثير ج ۲ ص ۴۳۵، و الغدير ج ۷ ص ۲۶۱ عنهم و عن: تفسير القرطبى ج ۷ ص ۱ و تفسير الخازن ج ۲ ص ۳۳۵ و عن جامع الحافظ الترمذى، و نوادر الاصول للحكيم الترمذى، و أبى يعلى، و الطبرانى، و ابن أبى شيبة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۹۶

الطبيعة، و أسرع فيه، حتى صار الناس يسألونه عنه، و عما أثره «۱» و لم يكن مجرد شعرات قليلة لا تلفت النظر، و لا يلتفت اليها.

و أما أن أبا بكر كان تاجرا يختلف الى الشام، فقد تقدم: أنه كان فى الجاهلية معلما للأولاد، و بعد ذلك صار خياطا. و كما كان أبو بكر يختلف إلى الشام، فقد كان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أيضا يختلف الى الشام، و كان التعرف عليه أدعى و اولى، بملاحظة ما كان له من الشرف و السؤدد فى قريش و العرب، و كان له فى أهل المدينة قرابة أيضا.

هذا، عدا عما أسلفناه من أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان يعرض دعوته على القبائل التى تقدم مكة لعدة سنوات.

و أيضا، فان صفات النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كانت تدل عليه، و قد وصفته أم معبد لزوجها فعرفه. أما أبو بكر، فقد تقدمت صفته عن عائشة و غيرها فى بعض الفصول.

و أخيرا، فان ركوب النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و أبى بكر على ناقة واحدة لم نجد له ما يبرره، بعد أن كان لدى كل منهما ناقة تخصه كما تقدم.

رأى العلامة الأمينى:

و يرى الامينى قدس سره: أن قضية: أنت أكبر منى و أنا أسن منك تنقل عن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» مع سعيد بن يربوع المخزومى، الذى توفى سنة أربع و خمسين عن مئة و عشرين سنة.

و يرى أيضا: أن حجة أبى بكر يوم السقيفة على مخالفيه قد كانت كبر سنه، فحاول محبوه تأييد هذه الدعوى بما ذكرنا من كونه أسن من النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أكبر

---

(۱) الغدير ۷ ص ۲۶۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۹۷

منه، و أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان شابا، بل غلاما، لا يعرف!! و أبو بكر كان شيخا يعرف!! «۱»

النفاق فى مكة:

و قبل أن نبدأ الحديث عما بعد الهجرة نرى أن من المناسب الإشارة إلى أمر يرتبط بالحياة المكية. و الحكم على بعض الظواهر فيها، مع إرتباط له وثيق أيضا بالحياة فى المدينة بعد الهجرة، و هو موضوع: هل كان يوجد فى من أسلم قبل الهجرة من المكيين منافقون يبطنون خلاف ما يظهرون أم لم يكن؟!

و هل كانت أجواء مكة صالحة لظهور أشخاص من هذا القبيل يعتنقون الإسلام و يبطنون الكفر، أم لا؟!.

يقول العلامة الطباطبائى، ما مفاده:

إنه ربما يقول البعض: لا، لم يكن فى مكة منافقون، إذ لم يكن للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و لا للمسلمين قوة و لا نفوذ، يجعل الناس يهابونهم، و يتقونهم. أو يرجون منهم نفعا ماديا، أو معنويا من نوع ما فلماذا إذن يتقربون لهم و يتزلفون، و لماذا يظهرون لهم الاسلام، مع انطوائهم على خلافه؟.

بل كان المسلمون فى مكة ضعفاء مضطهدين، معذبين؛ فالمناسب أن يتقى المتقى- رغبا أو رهبا- من صناديد قريش و عظمائها، لا منهم.

و أما فى المدينة فقد قوى أمر النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و ظهر أمر المسلمين، و أصبحوا قوة يمكنها الدفع و المنع، و كان له «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى كل بيت أتباع و أنصار يطيعون أوامره، و يفدونه بكل غال و نفيس. و القلة القليلة الباقية لم يكن يسعهم الاعلان بالخلاف؛

---

(۱) الغدير ج ۷ ص ۲۷۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۹۸

فداروا أمرهم بإظهار الإسلام، و إبطان الكفر- على أن يكيدوا و يمكروا بالمسلمين، كلما سنحت لهم الفرصة لذلك.

هكذا استدل البعض لاثبات عدم وجود منافقين بين المسلمين الأولين.

و لكنه كما ترى كلام لا يصح.

و ذلك لأن النفاق فى مكة كانت له أسبابه، و مبرراته، و مناخاته، و نذكر هنا ما يلى:

أولا- إن أسباب النفاق لا تنحصر فيما ذكر، من الرغبة و الرهبة لذى الشوكة، و منه، إذ أننا كثيرا ما نجد فى المجتمعات فئات من الناس مستعدة لقبول أية دعوة، إذا كانت ذات شعارات طيبة، تنسجم مع أحلامهم، و آمالهم، و تعدهم بتحقيق رغائبهم، و ما تصبو اليه نفوسهم.

فيناصرونها، رغم أنهم فى ظل أعتى القوى و أشدها طغيانا، و هم فى غاية الضعف و الوهن و يعرضون أنفسهم لكثير من الاخطار، و يحملون المشاق و المصاعب من أجلها و فى سبيلها. كل ذلك رجاء أن يوفقوا يوما ما لتحقيق أهدافهم، و الوصول إلى مآربهم، التى يحلمون بها، كالعلو فى الأرض، و الحصول على الثروات، و الجاه العريض، و غير ذلك.

إنهم يقدمون على كل هذا، مع أنهم ربما كانوا لا يؤمنون بتلك الدعوة إلا بمقدار إيمانهم بضرورة الحصول على تلك المآرب و الاهداف الآنفة الذكر.

و من الواضح أن المنافق الطامع الذى من هذا القبيل يكون- فيما لو نجحت الدعوة- أشد خطرا على تلك الدعوة من اعتى اعدائها؛ لأنه إذا وجد أن الدعوة لا تستطيع أن تمنحه كل ما يريد- و لو لاقتضاء المصلحة لذلك، فإنه سوف يمكر و يغدر، «۱» كما أنه يكون هو الاقدر على

---

(۱) راجع: تفسير الميزان ج ۱۹ ص ۲۸۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۹۹

الانحراف بهذه الدعوة، و إخراجها عن نهجها القويم، و صراطها المستقيم إلى المتاهات التى يستطيع فى ظلماتها و بهمها أن يحصل على ما يريد دون رادع او وازع، و هو الذى يملك كل المبررات لذلك. مهما كانت سقيمة و تافهة.

و أما إذا فشلت الدعوة: و كان قد أحكم أمره؛ فإنه يستطيع أن يقول لمن هم على شاكلته: إنا كنا معكم؛ إنما نحن مستهزؤون.

فإنه إذا كان النفاق فى المدينة قد كان فى أكثره لدوافع أمنية، أو للحفاظ على المصالح و العلاقات المعينة.- فان النفاق المكى. لسوف يكون أعظم خطرا، و أشد محنة و بلاء على الإسلام و المسلمين، حسبما اوضحنا آنفا-.

و على هذا، فإن من القريب جدا ... أن يكون بعض من اتبع النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى مكة لم يكن مخلصا للدعوة، و إنما كان مخلصا لنفسه فقط لا سيما إذا لاحظنا: أن دعوة الرسول قد كانت مقترنة من أول يوم بدئها بالوعود القاطعة، بأن حامليها لسوف يكونون ملوك الأرض، و لسوف يملكون كنوز كسرى و قيصر «۱».- فقد سأل عفيف الكندى العباس بن عبد المطلب عما يراه من صلاة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و على و خديجة «عليه السلام»، فقال له العباس: هذا محمد بن عبد اللّه بن عبد المطلب، زعم أن اللّه أرسله، و أن كنوز كسرى و قيصر ستفتح على يديه. فكان عفيف يتحسر على ان لم يكن أسلم يومئذ، ليكون ثانيا لعلى «عليه السلام» فى الإسلام «۲».

و حينما سأله عمه أبو طالب عن سبب شكوى قومه منه، قال «صلى

---

(۱) اشار إلى هذا أيضا العلامة الطباطبائى فى الميزان ج ۱۹ ص ۲۸۹.

(۲) ذخائر العقبى ص ۵۹، و دلائل النبوة ج ۱ ص ۴۱۶، و لسان الميزان ج ۱ ص ۳۹۵ و عن أبى يعلى، و خصائص النسائى، و الكامل لابن الأثير ج ۲ ص ۵۷ ط صادر، و تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۵۷ و راجع: حياة الصحابة ج ۱ ص ۳۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۰۰

اللّه عليه و آله و سلم»: إنى أريدهم على كلمة واحدة يقولونها، تدين لهم بها العرب، و تؤدى إليهم بها العجم الجزية «۱».

و ينقل عنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أنه قال لبكر بن وائل، حينما كان يعرض دينه على القبائل: فتجعلون للّه عليكم إن هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم، و تستنكحوا نساءهم، و تستعبدوا أبناءهم الخ ..

و قال قريبا من هذا لشيبان بن ثعلبة، و مثل ذلك قال أيضا حينما أنذر عشيرته الاقربين «۲»

بل إن مما يوضح ذلك بشكل قاطع، ما قاله أحد بنى عامر بن صعصعة لما جاء رسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يعرض عليهم قبول دعوته: «و اللّه لو أنى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب». و قد تقدم بعض المصادر لذلك.

ثم إنه إذا كان هذا النفاق يهدف الى إستخدام الدعوة لأهداف شخصية، فهو بالتالى مضطر إلى الحفاظ على هذه الدعوة بمقدار إضطراره إلى الحفاظ على مصالحه و أهدافه تلك، ما دام يرى، أو يأمل منها أن تتمكن من تحقيق ما يتمناه، و توصله إلى أهدافه التى يرجوها.

و هكذا يتضح: أنه ليس من الضرورى أن يكون المنافق مهتما بالكيد للدعوة التى لا يؤمن بها، و العمل على تحطيمها و إفسادها، بل ربما يكون حريصا عليها كل الحرص، يفديها بالمال و الجاه- لا بالنفس- إذا

---

(۱) سنن البيهقى ج ۹ ص ۸۸ و مستدرك الحاكم ج ۲ ص ۴۳۲، و صححه هو و الذهبى فى تلخيصه، و تفسير ابن كثير ج ۴ ص ۲۸، و حياة الصحابة ج ۱ ص ۳۳ عن الترمذى، و تفسير الطبرى، و أحمد، و النسائى، و ابن أبى حاتم.

(۲) راجع: الثقات ج ۱ ص ۸۸ و البداية و النهاية ج ۳ ص ۱۴۰ و راجع ص ۱۴۲ و ۱۴۵ عن دلائل النبوة لابى نعيم و الحاكم و البيهقى

و حياة الصحابة ج ۱ ص ۷۲ و ۸۰ عن البداية و النهاية و عن كنز العمال ج ۱ ص ۲۷۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۰۱

كان يأمل أن يحصل على ما هو أعلى و أغلى فيما بعد، و يمكن ملاحظة ذلك بسهولة فى بعض مسلمى مكة، الذين كانوا يواكبون الدعوة و يعاونونها ما دام لم تصل النوبة الى التضحية بالنفس و الموت، فإذا كان ذلك فانهم يفرون، و ينهزمون، و يتركون النبى و شأنه، و قد رأينا ذلك فى كثير من المواقف.

نعم ربما يتمكن الدين تدريجيا من نفوس بعضهم، و تحصل لهم قناعة تدريجية به، و لسوف نشير إلى ذلك فيما يأتى إن شاء اللّه تعالى، و لربما حين الكلام على غزوة أحد.

و خلاصة الأمر: إن الميزان لدى البعض هو أهدافه هو؛ فما دامت الدعوة فى خدمتها فهو معها، و أما إذا وجد أنها سوف تكون عقبة فى طريقها، و تشكل خطرا عليها فانه لا يألو جهدا و لا يدع وسيلة فى الكيد لها، و العمل على هدمها و تحطيمها.

و ثانيا: ما أشار إليه العلامة الطباطبائى أيضا: انه لا مانع من أن يسلم أحدهم فى أول البعثة، ثم يعرض له ما يزلزل إيمانه، و يرتاب، و يرتد عن دينه، و لكنه يكتم ذلك، حفاظا على بعض المصالح الهامة بنظرة كالخوف من شماتة أعدائه، أو حفاظا على بعض علاقاته القبلية، أو التجارية، او للعصبية و الحمية، و غيرها مما يربطه بالمسلمين أو ببعضهم، أو للحفاظ على جاه من نوع معين، أو أى شىء آخر بالنسبة إليه «۱»

و لربما يشهد لذلك: أننا قد رأينا البعض يعترف أنه كان كثيرا ما يشك فى هذا الامر، حتى اعترف فى الحديبية أنه ارتاب إرتيابا لم يرتبه منذ أسلم «۲» و فى غزوة أحد، حينما سمعوا انه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد قتل فروا من المعركة، و قال بعضهم: «نلقى إليهم بأيدينا،

---

(۱) تفسير الميزان ج ۱۹ ص ۲۸۹.

(۲) مغازى الواقدى ج ۲ ص ۶۰۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۰۲

فإنهم قومنا و بنو عمنا» «۱».

و ثالثا: و قد أشار العلامة الطباطبائى أيضا إلى بعض الآيات الدالة على وجود النفاق فى مكة، و ذلك كقوله تعالى: وَ لِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْكافِرُونَ ما ذا أَرادَ اللَّهُ بِهذا مَثَلًا «۲» حيث قد وردت هذه الآية فى سورة المدثر و هى مكية، و كذا قوله تعالى: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ؛ فَإِذا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذابِ اللَّهِ وَ لَئِنْ جاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ: إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ؛ أَ وَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِما فِي صُدُورِ الْعالَمِينَ. وَ لَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا، وَ لَيَعْلَمَنَّ الْمُنافِقِينَ «۳».

فإن سورة العنكبوت مكية أيضا. و الآية مشتملة على حديث الإيذاء و الفتنة فى اللّه، و ذلك إنما كان فى مكة لا فى المدينة. و قوله تعالى:

وَ لَئِنْ جاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لا يدل على نزول الآية فى المدينة لأن النصر له مصاديق و مراتب كثيرة.

و أضيف هنا: أن اللّه تعالى إنما يحكى حالة المنافقين المستقبلية بشكل عام.

ثم قال: العلامة الطباطبائى و احتمال أن يكون المراد بالفتنة ما وقع بمكة بعد الهجرة، غير ضائر؛ فإن هؤلاء المفتونين بمكة بعد الهجرة إنما كانوا من الذين آمنوا بالنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قبل الهجرة، و إن أوذوا بعدها «۴».

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۲۷، و بقية الكلام على هذا مع مصادره يأتى انشاء اللّه تعالى فى غزوة أحد.

(۲) المدثر/ ۳.

(۳) العنكبوت: ۱.

(۴) راجع: تفسير الميزان ج ۲۰ ص ۹۰/ ۹۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۰۳

ملاحظة هامة على ما تقدم:

هذا، و يلاحظ العلامة الطباطبائى أخيرا: أننا لم نزل نسمع ذكرا للمنافقين إلى حين وفاة الرسول الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و قد تخلف عنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى تبوك أكثر من ثمانين منهم، و انخذل ابن أبى فى أحد فى ثلاثمئة. ثم انقطعت أخبارهم عنا مباشرة، و لم نعد نسمع عن دسائسهم، و مكرهم، و مكائدهم للاسلام و للمسلمين شيئا، فهل انقلبوا بأجمعهم- بمجرد وفاته «صلى اللّه عليه و آله و سلم»- عدولا أتقياء و أبرارا أوفياء؟!

و إذا كان كذلك، فهل كان وجود النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فيما بينهم مانعا لهم من الإيمان؛ و هو الذى أرسله اللّه رحمة للعالمين؟! نعوذ باللّه من التفوه بالعظائم، و بما يسخط الرب. أم أنهم ماتوا بأجمعهم، و هم يعدون بالمئات بمجرد موته «صلى اللّه عليه و آله و سلم»؟ و كيف لم ينقل لنا التاريخ ذلك؟!

أم أنهم وجدوا فى الحكم الجديد ما يوافق هوى نفوسهم، و يتلاءم مع أهوائهم، و مصالحهم؟!

أم ماذا؟! ما هى الحقيقة؟!

لست أدرى! و لعل الذكى يدرى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۰۵

الفصل السابع: حتى المدينة

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۰۷

بداية:

اشارة

و فى المدينة بدأت عملية بناء المجتمع الاسلامى، و إرساء قواعد الدولة، و التخطيط لنشر الاسلام فى مختلف أرجاء العالم. و انتقلت الدعوة من مرحلة بناء الفرد إلى مرحلة بناء المجتمع. و تطبيق الاسلام عقيدة و شريعة، و محو كل آثار الجاهلية فى العالم أجمع.

و إذا أردنا أن نلم بكل الخطوات التى خطاها القائد الاعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى سبيل ذلك، فاننا لن نتمكن الآن من استقصاء ذلك و لسوف يصرفنا عن متابعة الاحداث الرئيسة فى السيرة العطرة، و لذا فنحن نترك هذا المجال للآخرين، مكتفين بالتعرض إلى ما يهم الباحث التعرض له ابتداء، من دون تركيز على الجزئيات و التفاصيل إلا بالمقدار الذى نراه لازما و مقبولا، فنقول:

غناء أهل المدينة، و النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يرقص بأكمامه:

و يذكرون: أن أهل المدينة ما فرحوا بشيء فرحهم برسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و عن عائشة: لما وصل «صلى اللّه عليه

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۰۸

و آله و سلم» المدينة صار النساء و الولائد يقلن:

طلع البدر علينامن ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا للّه داع

أيها المبعوث فيناجئت بالأمر المطاع فعدل ذات اليمين، حتى نزل بقباء. «۱»

و فى رواية: فجعل رسول اللّه يرقص بأكمامه «۲».

و بعد أن مكث فى قباء أياما، و توجه إلى داخل المدينة، خرجت نساء من بنى النجار بالدفوف يقلن:

نحن نساء من بنى النجاريا حبذا محمد من جار فقال لهن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: أتحبانّى؟ قلن:

نعم، يا رسول اللّه، فقال: و اللّه و أنا أحبكن، قالها ثلاثا «۳».

قال الحلبى: «و هذا دليل واضح لسماع الغناء على الدف لغير العرس «۴»».

و استدل ابن كثير برواية الصحيحين الآتية على جواز الغناء فى

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۴۱/ ۳۴۲ عن الرياض النضرة، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۵۴، و دلائل النبوة للبيهقى ج ۲ ص ۲۳۳، و وفاء الوفاء للسمهودى ج ۱ ص ۲۴۴ و ج ۴ ص ۱۱۷۲ و ۲۶۲ و فتح البارى ج ۷ ص ۲۰۴.

(۲) نهج الحق الموجود فى دلائل الصدق ج ۱ ص ۳۸۹، و لم يعترض عليه فضل بن روزبهان، بل حاول توجيهه و تأويله.

(۳) وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۶۳، و فتح البارى ج ۷ ص ۲۰۴، و دلائل النبوة للبيهقى ج ۲ ص ۲۳۴ و ۲۳۵، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۴۱، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۶۱ و البداية و النهاية ج ۳ ص ۲۰۰.

(۴) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۶۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۰۹

الاعراس و لقدوم الغياب «۱».

المناقشة:

اشارة

و لكن ذلك لا يصح: و ذلك لما يلى:

۱- ثنية الوداع من جهة الشام:

إن ثنيات الوداع ليست من جهة مكة بل من جهة الشام، لا يراها القادم من مكة إلى المدينة، و لا يمر بها إلا اذا توجه إلى الشام «۲». و ذكر السمهودى: أنه يوجد مسجد على ثنية الوداع على يسار الداخل إلى المدينة المنورة من طريق الشام «۳». بل هو يقول: «و لم أر لثنية الوداع ذكرا فى سفر من الاسفار التى بجهة مكة «۴»».

«و الظاهر أن مستند من جعلها من جهة مكة ما سبق من قول النسوة، و ان ذلك عند القدوم من الهجرة» «۵».

و يدل على كون ثنية الوداع من جهة الشام و خيبر، ما ورد فى قدوم النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و خروجه، من و إلى تبوك و حين قدم من خيبر، و من الشام، و إلى مؤته، و غزوة العالية، و الغابة، و كذا ما ورد عنه فى حديث السباق فى أمد الخيل المضمرة. «۶».

---

(۱) البدايه و النهاية ج ۱ ص ۲۷۶.

(۲) زاد المعاد ج ۳ ص ۱۰ و راجع: وفاء الوفاء للسمهودى ج ۴ ص ۱۱۷۰ و التراتيب الادارية ج ۲ ص ۱۳۰.

(۳) وفاء الوفاء ج ۳ ص ۸۴۵.

(۴) و (۵) وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۱۷۲.

(۶) راجع: وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۱۶۸ و ۱۱۶۹ و ۱۱۷۲ و ج ۳ ص ۸۵۷ و ۸۵۸ عن البخارى، و ابن أبى شيبة، و الطبرانى فى الأوسط، و أبى يعلى، و ابن حبان، و ابن اسحاق، و ابن سعد، و البيهقى إلخ. و راجع حياة الصحابة ج ۱ ص ۶۰۳ و ۲۰۷ و السنن الكبرى ج ۹ ص ۱۷۵ و ۸۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۱۰

و حاول السمهودى تصحيح ما تقدم: بأنهم قد ذكروا أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد مرّ بدور الانصار، حين قدم المدينة من قباء، حتى مرّ بدور بنى ساعدة، و انما هى فى شامى المدينة، فلم يدخل باطن المدينة إلا من تلك الناحية «۱».

و هو كلام عجيب فان مروره فى دور بنى ساعدة لا يقتضى دخول المدينة من ناحيتهم؛ إذ يمكن أن يدخلها من جهة قباء، ثم تجول به الناقة فى دور الأنصار، كما هو صريح ما ذكره، حتى تصل إلى دور بنى ساعدة.

كما أن احتماله هذا يدفعه تصريحهم فى رواية: طلع البدر علينا.

بانهم لا قوة بهذا الشعر، ثم عدل بهم ذات اليمين إلى قباء، كما تقدم، فإن هذا إنما يتناسب مع قدومه من مكة الى المدينة، لا من قباء إلى المدينة، كما يقوله السمهودى.

فالصحيح هو أنهم قد لا قوه بهذا الشعر حينما قدم من تبوك لا من مكة، كما سيأتى فى موضعه إن شاء اللّه تعالى.

۲- استدلال عجيب:

إن استدلال الحلبى بتلك الرواية على تجويز الغناء عجيب، و غريب؛ فان الرواية لا تتضمن إلا أنهم قد أنشدوا الشعر لمقدمه، و لم يكن يصاحب ذلك شىء من المحرمات، بل لم تذكر الرواية: أنه كان هناك ترجيع ام لا.

و إنشاد الشعر ليس بحرام؛ و لهذا قال بعضهم: «و تعلّق أرباب الغناء الفسقى به (أى برواية: طلع البدر) كتعلق من يستحل شرب الخمر المسكر قياسا على اكل العنب، و شرب العصير الذى لا يسكر، و نحو هذا

---

(۱) راجع: وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۱۷۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۱۱

من القياسات، التى تشبه قياس الذين قالوا: إنما البيع مثل الربا» «۱».

و لم سلم حرمة سماع صوت الاجنبية، فلا دليل على أن ذلك كان قد شرّع حينئذ، فان كثيرا من الاحكام كانت تشرع تدريجا. كما قالوه فى الخمر مثلا.

كما أنه لا دليل على وجود من يحرم سماع صوته فى المنشدين.

و لو سلّم، فلعل لم يكن بالامكان منعهم فى ظرف كهذا. أو لا يمكن تبليغهم الحكم الشرعى حينئذ؛ فسكوت النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» عنهم لعله لمصلحة اقتضت السكوت، و لا يدل ذلك على امضائه لفعلهم ذاك.

۳- ترقيص الاكمام:

و أما ترقيص اكمامه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، فهو ينافى المروّة كما اعترف به فضل بن روزبهان «۲».

و يقول العلامة المظفر «رحمه اللّه»: «إن هذا العمل سفه ظاهر، و خلاعة بينة، و من اكبر النقص بالرئيس، و أعظم منافيات الحياء و المروة فى تلك الاوقات و اشد المباينات للرسالة، لارشاد الخلق، بتهذيبهم عن السفه و النقائص، و تذكيرهم بمقربات الآخرة «۳»».

هذا، مع غض النظر عن نواهيه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» القاطعة عن كل لهو و غناء، و رقص و سنشير فى ما يلى إلى بعض من ذلك ان شاء اللّه.

و بعد ما تقدم، فاننا نعرف ما فى الاستدلال بالرواية الاخرى حول غناء نساء بنى ساعدة، و ضربهم بالدفوف حين استقباله.

---

(۱) زاد المعاد لابن القيم ج ۳ ص ۱۷/ ۱۸.

(۲) و (۳) راجع: دلائل الصدق ج ۱ ص ۳۹۰ و ۳۹۳ على الترتيب.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۱۲

و لا بأس بعرض كل ما استدلوا به على حلية الغناء و الرقص، ثم مناقشته، ثم طرح القول الحق فى المسألة مع بعض أدلته، فنقول:

أدلة حلية الغناء:

و قد استدل على حلية الغناء و الرقص، بالاضافة إلى ما تقدم ب:

۱- قول الحلبى: «عن أبى بشير: إن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» مر و أبا بكر بالحبشة، و هم يلعبون، و يرقصون، و يقولون: يا أيها الضيف المعرج طارقا.

إلى أن قال: و لم ينكر عليهم. و به استدل ائمتنا على جواز الرقص، حيث خلا عن التكسر؛ فقد صحت الاخبار، و تواترت الآثار بانشاد الاشعار بين يديه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، بالاصوات الطيبة، مع الدف و بغيره، و بذلك استدل أئمتنا على جواز الضرب بالدف، و لو فيه جلاجل «۱»»

۲- عن بريدة: خرج رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى بعض مغازيه؛ فلما انصرف جاءت جارية سوداء، فقالت: إنى كنت نذرت: إن ردك اللّه صالحا أن أضرب بين يديك بالدف و أتغنى، فقال «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: إن كنت نذرت فاضربى، و إلا فلا، فجعلت تضرب، فدخل أبو بكر، و هى تضرب، ثم دخل على و هى تضرب، ثم دخل عثمان و هى تضرب، ثم دخل عمر، فالقت الدف تحت استها، ثم قعدت عليها، فقال «صلى اللّه عليه و آله و سلم»:

«إن الشيطان ليخاف منك يا عمر، إنى كنت جالسا و هى تضرب، ثم دخل أبو بكر و هى تضرب إلخ «۲».»

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۶۲.

(۲) أسد الغابة ج ۴ ص ۶۴، نوادر الاصول للحكيم الترمذى ص ۵۸، و مسند أحمد

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۱۳

۳- عن جابر، قال: دخل أبو بكر على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و كان يضرب بالدف عنده، فقعد و لم يزجر، لما رأى من رسول اللّه، فجاء عمر (رض)؛ فلما سمع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» صوته كف عن ذلك. فلما خرجا قالت عائشة: يا رسول اللّه، كان حلالا فلما دخل عمر صار حراما؟ فقال: يا عائشة، ليس كل الناس مرخى عليه «۱».

۴- روى البخارى و مسلم و غير هما، عن عائشة: دخل علىّ رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و عندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث- و عند مسلم؛ تغنيان و تضربان- فاضطجع على الفراش، و حول وجهه. و دخل أبو بكر فانتهرنى و قال: مزمارة الشيطان عند رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»؟ فأقبل عليه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فقال: دعهما.

و فى رواية لمسلم: دعهما يا أبا بكر، فانها أيام عيد «۲».

و زاد فى بعض النصوص- كما فى البخارى- و ليتسا بمغنيتين.

۵- فى رواية: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» استدعى

ج ۵ ص ۳۵۳ و ۳۵۴ باختلاف و دلائل الصدق ج ۱ ص ۳۹۰/ ۲۹۱ عن الترمذى ج ۲ ص ۲۹۳ و صححه هو و البغوى فى مصابيحه و ليراجع: الغدير ج ۸ ص ۶۴/ ۶۵. و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۶۲ و سنن البيهقى ج ۱۰ ص ۷۷ و التراتيب الادارية ج ۲ ص ۱۳۱.

(۱) نيل الاوطار ج ۸ ص ۲۷۱ و نوادر الاصول للحكيم الترمذى ص ۱۳۸، و الغدير ج ۸ ص ۶۴/ ۶۵ عن مشكاة المصابيح ص ۵۵ و بعض من تقدم.

(۲) صحيح البخارى ج ۱ ص ۱۱۱ ط الميمنية، و صحيح مسلم ج ۳ ص ۲۲ ط مشكول، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۶۱- ۶۲ و هامش ارشاد السارى ج ۴ ص ۱۹۵- ۱۹۷ و دلائل الصدق ج ۱ ص ۳۸۹ و سنن البيهقى ج ۱۰ ص ۲۲۴، و اللمع لابى نصر ص ۲۷۴. و البداية و النهاية ج ۱ ص ۲۷۶ و المدخل لابن الحاج ج ۳ ص ۱۰۹ و المصنف ج ۱۱ ص ۴ و راجع: تهذيب تاريخ دمشق ج ۲ ص ۴۱۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۱۴

عائشة لترى حبشية ترقص، فجاءت فوضعت لحيها على منكب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و جعلت تنظر، فقال «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لها: أما شبعت؟ أما شبعت؟ أما شبعت؟ و هى تقول: لا، لتنظر منزلتها عنده؛ إذ طلع عمر؛ فارفض الناس عنها؛ فقال «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: إنى لانظر شياطين الجن و الانس قد فروا من عمر «۱».

۶- عن ابن عباس: ان اصحاب النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» جلسوا سماطين، و جارية معها مزهر تغنيهم و تقول:

هل علىّ و يحكم‌إن لهوت من حرج فتبسم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و قال: لا حرج إن شاء اللّه تعالى «۲».

۷- عن الربيع بنت معوذ: إنها لما زفت إليه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» دخل عليها، و جلس، و جويريات يضربن بالدف، يندبن من قتل من آبائها فى بدر، حتى قالت احداهن: و فينا نبى يعلم ما فى غد.

فقال «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: لا تقولى هكذا، و قولى ما كنت تقولين «۳».

۸- فى رواية: انه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان جالسا و عنده جوار يغنين و يلعبن؛ فجاء عمر، فاستأذن؛ فأسكتهن رسول اللّه «صلى اللّه

---

(۱) دلائل الصدق ج ۱ ص ۳۹۰، و التاج الجامع للأصول ج ۳ ص ۳۱۴، و الغدير ج ۸ ص ۶۵ عن صحيح الترمذى ج ۲ ص ۲۹۴، و صححه و عن مصابيح السنة ج ۲ ص ۲۷۱، و عن مشكاة المصابيح ص ۵۵۰ و عن الرياض النضرة ج ۲ ص ۲۰۸ و حياة الصحابة ج ۲

ص ۷۶۰/ ۷۶۱ عن منتخب كنز العمال ج ۴ ص ۳۹۳ عن ابن عساكر و ابن عدى، و المشكاة ص ۲۷۲. عن الشيخين.

(۲) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۶۱ و التراتيب الادارية ج ۲ ص ۱۳۱/ ۱۳۲ عن العقد الفريد و غيره. و تهذيب تاريخ دمشق ج ۴ ص ۱۳۶.

(۳) البخارى بهامش فتح البارى ج ۷ ص ۲۴۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۱۵

عليه و آله و سلم» حتى قضى حاجته و خرج، فسألته عن هذا الذى كلما دخل قال «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: اسكتن، و كلما خرج قال «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: عدن إلى الغناء، فقال «صلى اللّه عليه و آله و سلم»:

هذا رجل لا يؤثر سماع الباطل «۱».

۹- فى رواية: أن امرأة دخلت على عائشة، فقال «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: يا عائشة اتعرفين هذه؟ قالت: لا يا نبى اللّه. قال: هذه قينة بنى فلان، تحبين أن تغنيك؟ قالت: نعم فاعطاها طبقا فغنتها.

فقال «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: قد نفخ الشيطان فى منخريها «۲».

و عن إبن أبى أوفى: استأذن أبو بكر (رض) على النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و جارية تضرب بالدف فدخل. ثم استأذن عمر (رض) فدخل. ثم استأذن عثمان (رض) فأمسكت. فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: ان عثمان رجل حيى «۳».

و يقول شاعر النيل- محمد حافظ ابراهيم- كما هو موجود فى ديوانه، فى مقام عده لفضائل الخليفة الثانى:

أخاف حتى الذرارى فى ملاعبهاوراع حتى الغوانى فى ملاهيها

أرايت تلك التى للّه قد نذرتأنشودة لرسول اللّه تهديها

قالت: نذرت لئن عاد النبى لنامن غزوة لعلى دفى أغنيها

و يممت حضرة الهادى و قد ملأتأنوار طلعته أرجاء واديها

و استأذنت و مشت بالدف و اندفعتتشجى بألحانها ما شاء مشجيها

و المصطفى و أبو بكر بجانبهلا ينكران عليها ما أغانيها

حتى إذا لاح عن بعد لها عمرخارت قواها و كاد الخوف يرديها

و خبأت دفها فى ثوبها فرقامنه وودّت لون الارض تطويها

---

(۱) نهج الحق فى ضمن دلائل الصدق ج ۱ ص ۴۰۲ عن الغزالى.

(۲) مسند احمد ج ۳ ص ۴۴۹.

(۳) مسند أحمد ج ۴ ص ۳۵۳ و ۳۵۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۱۶ قد كان علم رسول اللّه يؤنسهافجاء بطش أبى حفص يخشيها

فقال مهبط وحى اللّه مبتسماو فى ابتسامته معنى يواسيها

قد فر شيطانها لما رأى عمراإن الشياطين تخشى بأس مخزيها كان ذلك هو عمدة ما استدل به القوم لحلية الغناء. و نحن نرى أنه كله لا يسمن و لا يغنى من جوع و لتوضيح ذلك نقول:

نقض أدلة حلية الغناء:

و ما دمنا بصدد الحديث عما فى تلك الروايات من الوهن و الضعف فإننا نرى لزاما علينا أن نغض النظر عن التكلم فى اسانيدها؛ فان

ذلك حديث يطول و لربما يتخيل البعض: أنه ليس لأحد الحق فى الخدشة فيما فى الصحاح، و لا سيما صحيحى البخارى و مسلم، و بعض ما تقدم موجود فيهما.

و نحن و ان كنا نعتقد أن هذا خيال باطل، و قد تكلم فيه العلماء و فنّدوه بما لا مزيد عليه «۱».

الا أننا- مع ذلك نغض الطرف هنا عن البحث فى الاسانيد، استجابة لرغبة هؤلاء، و تجاوبا مع عاطفتهم. و نعطف النظر إلى البحث فى المضمون. فنقول:

أولا: إن نصوص بعض تلك الروايات متناقضة كثيرا، و لا سيما الرواية المتقدمة تحت رقم ۲ و الرواية التى تحت رقم ۴ التى عن الصحيحين و غير هما.

ثانيا: إن الكثير من هذه الروايات تدل على حرمة الغناء، لا على حليته؛ فمثلا:

---

(۱) راجع اضواء على السنة المحمدية، و العتب الجميل، و الغدير، و غير ذلك.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۱۷

۱- قوله فى الرواية رقم ۲: «إن الشيطان ليخاف- أو ليفرق- منك يا عمر» يدل على الحرمة، إذ لو كان مباحا- و لا سيما إذا كان وفاء للنذر- لم يصح منه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» تهجين عملها، و اعتباره من الشيطان.

۲- و الرواية رقم ۳ تدل على ذلك بملاحظة اعتراض عائشة و جوابه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لها.

۳- فى الرواية الرابعة اعتبر ذلك من مزامير الشيطان، و معنى ذلك: أنه حرام و مرجوح، فيرد سؤال: لماذا يرتكب النبى أمرا هذه صفته؟!.

أجاب ابن روزبهان: انه فعله لضرورة التشريع.

و لكنه كلام لا يصح، إذ قد كان من الممكن الاكتفاء بالتشريع بالقول، فانه أخف و أيسر.

و أيضا لو صح ذلك لاقتضى أن يفعل ذلك أمام عامة الناس، لا أن يجلس فى بيته وحده و يستمع.

ثم كيف يتصور حلية ما يعتبره العقلاء من مزامير الشيطان؟!.

۴- و فى الرواية الخامسة: قال «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: إنى لا نظر شياطين الجن و الانس قد فروا من عمر. فاذا كان ذلك مجمعا للشياطين، فلا بدّ أن يكون حراما لا حلالا.

۵- فى الرواية الثامنة قال «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: «هذا رجل لا يؤثر سماع الباطل»؛ فما هو حلال أو مكروه لا يوصف بالباطل.

۶- فى الرواية الاخيرة قال «صلى اللّه عليه و آله و سلم» عن المغنية: «قد نفخ الشيطان فى منخريها» و هو يدل على الحرمة ايضا.

حيث جعل الغناء من نفخ الشيطان، و لا ينفخ الشيطان ما هو حلال.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۱۸

ثالثا: لا بد أن نسأل: ما هذا الشيطان الذى يخاف أو يفرق من عمر، و لا يخاف من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»؟ و كيف ينعقد النذر لشىء يكون فيه شيطان يفرق من عمر؟ مع أنه يشترط فى النذر كون متعلقه طاعة و راجحا، أو على الأقل أن لا يكون مرجوحا، كما لا يخفى على من راجع أبواب النذر فى كتب الحديث، كالبيهقى، و الترمذى، و غير ذلك.

و كيف يؤثر النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» سماع الباطل، و لا يؤثره عمر؟! و كيف أصبح عمر هنا أشد التزاما من الرسول الاعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم»؟!. و كيف تكون تلك القينة قد نفخ الشيطان فى منخريها، ثم يعرض «صلى اللّه عليه و آله و سلم» على عائشة أن تسمع غناءها؟ و هل تصدر مثل هذه المتناقضات عن عاقل؟ فضلا عن نبى معصوم؟!.

و كيف يتستر هذا النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى بعض اعماله عن البعض، و يعتبر أن اطلاعه عليه هتك للستر المرخى، و

موجب للحط من كرامته و شأنه، و لا- يتستر بها عن البعض الآخر؟! ألا يدلنا ذلك على أنها من الاعمال القبيحة، أو على الاقل غير اللائقة!!. و ابو بكر نراه يزجر عن الغناء فى رواية، و لكنه لا يزجر عنه فى رواية أخرى، بل عمر هو الذى يزجر!!.

رابعا: كيف يدعو «صلى اللّه عليه و آله و سلم» عائشة لتنظر إلى لعب السودان بالدّرق و الحراب و خده على خدها، و هو يشجعهم بقوله:

دونكم يا بنى أرفدة «۱»؟!. أفلا ينافى ذلك ما هو معروف عنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» من الحياء؟ حتى لقد كان أشد حياء من العذراء فى خدرها كما ورد، و هل هذا يناسب من يعتبر الحياء من الايمان، و من كان

---

(۱) البخارى ط الميمنية ج ۱ ص ۱۱۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۱۹

ضحكه التبسم؟!.

و هل ينسجم مع منعه لزوجاته من النظر الى الاعمى، و قال لهما:

أفعمياوان انتما؟! ألستما تبصرانه «۱»؟!

خامسا: ما هى المناسبة بين الضرب بالدف، و بين رثاء قتلى بدر؟

و هل إن سكوت النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» عن هذا الأمر كما فى الرواية الأولى- لو صحت- يدل على رضاه به؟! و لا سيما إذا كان الامر مما يحتاج إلى التدرج فى المنع.

و من قال: إن هؤلاء الذين كانوا يفعلون ذلك كانوا يحترمون أوامره «صلى اللّه عليه و آله و سلم»؟ بل لم يثبت كونهم من المسلمين.

سادسا: و أخيرا، إن لدينا روايات كثيرة جدا صريحة فى حرمة الغناء، و هى متواترة بلا ريب، و نحن نكتفى منها بذكر ما يلى:

۱- عنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: ليكونن فى أمتى أقوام يستحلون الخمر، و الحرير، و المعازف «۲».

۲- عن أنس مرفوعا: صوتان ملعونان فاجران: أنهى عنهما، صوت مزمار، ورنة شيطان عند نغمة مرح، ورنة عند مصيبة.

و فى لفظ عبد الرحمان بن عوف: إنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قال: انما نهيت عن صوتين أحمقين، فاجرين: صوت عند نغمة لهو، و مزامير شيطان، و صوت عند مصيبة إلخ.

---

(۱) راجع: مسند احمد ج ۶ ص ۲۹۶، و طبقات ابن سعد و مصابيح البغوى، ط دار المعرفة ج ۲ ص ۴۰۸ و الجامع الصحيح ج ۵ ص ۱۰۲ و سنن أبى داود ج ۴ ص ۶۳/ ۶۴.

(۲) سنن البيهقى ج ۱۰ ص ۲۲۱ عن البخارى فى الصحيح، و الغدير ج ۱۸ ص ۷۰ و عنه عن تفسير الآلوسى ج ۲۱ ص ۷۶، و قال: أخرجه أحمد، و ابن ماجة، و أبو نعيم، و أبو داود بأسانيدهم صحيحه لا مطعن فيها، و صححه جماعة آخرون.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۲۰

و مثل ذلك عن الحسن «۱».

۳- عن عمر بن الخطاب: ثمن القينة سحت، و غناؤها حرام، و النظر إليها حرام، و ثمنها من ثمن الكلب، و ثمن الكلب سحت «۲».

۴- الدف حرام، و المعازف حرام، و الكوبة حرام، و المزمار حرام. «۳»

۵- عن ابن عباس، و أنس، و أبى أمامة، مرفوعا: ليكونن فى هذه الأمة خسف، و قذف، و مسخ. و ذلك إذ شربوا الخمور، و اتخذوا القينات، و ضربوا بالمعازف «۴».

۶- عن أنس، و أبى أمامة مرفوعا: بعثنى اللّه رحمة للعالمين، و بعثنى بمحق المعازف و المزامير، و أمر الجاهلية «۵».

۷- عن ابى هريرة مرفوعا: يمسخ قوم فى آخر الزمان قردة و خنازير، فسألوه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» عن سر ذلك، فقال: اتخذوا المعازف، و الدفوف، و القينات، إلخ.

و روى نحوه من طريق: عبد الرحمان بن سابط، و الغازى بن ربيعة

---

(۱) راجع فيما تقدم: المصنف ج ۱۱ ص ۶ و نيل الاوطار ج ۸ ص ۲۶۸، و تفسير الشوكانى ج ۴ ص ۲۳۶ و الدر المنثور ج ۵ ص ۱۶۰ و الغدير ج ۸ ص ۶۹ عنهم ما عدا الاول و عن: كنز العمال ج ۷ ص ۳۳۳، و نقد العلم و العلماء لابن الجوزى ص ۲۴۸، و تفسير القرطبى ج ۱۴ ص ۵۳۰.

(۲) نيل الاوطار ج ۸ ص ۲۶۴، و ارشاد السارى ج ۹ ص ۱۶۳ عن الطبرانى و الغدير ج ۸ ص ۶۹- ۷۰ عنهما.

(۳) سنن البيهقى ج ۱۰ ص ۲۲۲.

(۴) الدر المنثور ج ۲ ص ۳۲۴ و الغدير ج ۸ ص ۷۰ عنه و عن تفسير الآلوسى ج ۲۱ ص ۷۶ و رواه الطبرانى، و أحمد و ابن أبى الدنيا.

(۵) جامع بيان العلم ج ۱ ص ۱۵۳ و نيل الاوطار ج ۸ ص ۲۶۲ و الدر المنثور ج ۲ ص ۳۲۴ و الغدير ج ۸ ص ۷۰- ۷۱ عنهم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۲۱

و صالح بن خالد، و أنس بن أبى أمامة، و عمران بن حصين «۱».

۸- أخرج الترمذى من حديث على مرفوعا: إذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء (فذكر منها): إذا اتخذت القينات و المعازف.

و مثله عن أبى هريرة «۲».

۹- عن صفوان بن أمية، كنا عند النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إذ جاء عمر بن قرة، فقال: يا رسول اللّه، إن اللّه كتب على شقوة، فلا أنال الرزق إلا من دفى بكفى؛ فأذن لى فى الغناء من غير فاحشة. فقال النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: لا آذن لك و لا كرامة و لا نعمة. كذبت أى عدو اللّه، لقد رزقك اللّه طيبا؛ فاخترت ما حرم اللّه عليك من رزقه مكان ما أحل اللّه لك من حلاله. أما إنك لو قلت بعد هذه المقالة لضربتك ضربا و جيعا «۳».

و علق الحلبى على هذه الرواية بقوله: «إلا أن يقال: إن هذا النهى- إن صح- محمول على من يتخذ ضرب الدف حرفة، و هو مكروه تنزيها، و قوله: اخترت ما حرم اللّه عليك للمبالغة فى التنفير عن ذلك «۴»».

و لكن قد فات الحلبى: انه اذا كان اتخاذه حرفة مكروها تنزيها؛ فلماذا يتهدده بالضرب الوجيع؟!.

---

(۱) الدر المنثور ج ۲ ص ۳۲۴، و اخرجه ابن أبى الدنيا، و ابن ابى شيبة، و ابن عدى، و الحاكم، و البيهقى، و ابو داود، و ابن ماجة و المدخل ج ۳ ص ۱۰۵ و الغدير ج ۸ ص ۷۱.

(۲) نيل الاوطار ج ۸ ص ۲۶۳ و المدخل ج ۳ ص ۱۰۵ و الغدير ج ۸ ص ۷۱ عنه و عن: نقد العلم و العلماء لابن الجوزى ص ۲۴۹، و تفسير القرطبى ج ۱۴ ص ۵۳.

(۳) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۶۳ عن إبن ابى شيبة.

(۴) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۶۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۲۲

و لماذا يعتبره عدوا للّه تعالى؟!.

كما أن مقابلة ما حرم اللّه بالطيب دليل على أن المراد بما حرم اللّه هو الخبيث و هو المحرم بنص القرآن: قال تعالى: «يحل لهم الطيبات، و يحرم عليهم الخبائث «۱»».

۱۰- عن أبى أمامة: لا تبيعوا القينات و لا تشروهن، و لا تعلمونهن، و لا خير فى تجارة فيهن، و ثمنهن حرام، فى مثل هذا أنزلت هذه الآية: «و من الناس من يشترى إلخ».

و فى لفظ آخر: لا يحل تعليم المغنيات، و لا بيعهن، و اثمانهن حرام، و فى مثل ذلك نزلت هذه الآية إلخ «۲».

۱۱- و عن عائشة مرفوعا: إن اللّه تعالى حرم القينة، و بيعها، و ثمنها، و تعليمها، و الاستماع إليها، ثم قرأ: و من الناس من يشترى لهو الحديث. «۳»

۱۲- و سئل ابن مسعود عن قوله تعالى: و من الناس من يشترى لهو الحديث، فقال: هو و اللّه الغناء و فى لفظ: هو و اللّه الغناء، و اللّه الذى لا

---

(۱) الاعراف/ ۱۵۷.

(۲) نيل الاوطار ج ۸ ص ۲۶۳، و تفسير الشوكانى ج ۴ ص ۲۳۴، و الدر المنثور ج ۵ ص ۱۵۹، و تفسير ابن كثير ج ۳ ص ۴۴۲، و ارشاد السارى ج ۹ ص ۱۶۳ و المدخل لابن الحاج ج ۳ ص ۱۰۴ و تفسير الطبرى ج ۲۱ ص ۳۹ و الغدير ج ۸ ص ۶۷ عنهم و عن: تفسير القرطبى ج ۱۴ ص ۵۱ و نقد العلم و العلماء ص ۲۴۷، و تفسير الخازن ج ۳ ص ۳۶ و تفسير الآلوسى ج ۲۱ ص ۶۸ و الترمذى كتاب ۱۲ باب ۵۱. و نقلوا ان الحفاظ التالية أسماؤهم قد أخرجوه: سعيد بن منصور، و أحمد، و ابن ماجة، و ابن المنذر، و ابن ابى حاتم و ابن أبى شيبة، و ابن مردويه، و الطبرانى، و ابن أبى الدنيا.

(۳) الدر المنثور ج ۴ ص ۲۲۸ و الغدير ج ۸ ص ۶۷ عنه و عن تفسير الآلوسى ج ۲۱ ص ۶۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۲۳

إله إلا هو، يرددها ثلاث مرات.

و عن جابر فى الآية: هو الغناء و الاستماع له.

و فسر الآية بالغناء كل من: ابن عباس، و ابن عمر، و عكرمة، و سعيد بن جبير، و مجاهد، و مكحول، و عمرو بن شعيب، و ميمون بن مهران، و قتادة، و النخعى، و عطاء، و على بن بذيمة، و الحسن «۱».

۱۳- و فى قوله تعالى لابليس: «و استفزز من استطعت منهم بصوتك «۲»» قال ابن عباس، و مجاهد: إنه الغناء، و المزامير و اللهو «۳».

۱۴- و قد عدّ الحسن البصرى سيئات يزيد فقال: انه سكير خمير، يلبس الحرير، و يضرب بالطنابير «۴».

---

(۱) راجع سنن البيهقى ج ۱۰ ص ۱۲۲ و ۲۲۳ و ۲۲۵ و مستدرك الحاكم ج ۲ ص ۴۱۱ و تفسير الطبرى ج ۲۱ ص ۳۹/ ۴۰ و المدخل لابن الحاج ج ۳ ص ۱۰۴ و تفسير ابن كثير ج ۳ ص ۴۴۱ و ارشاد السارى ج ۹ ص ۱۶۳ و الدر المنثور ج ۵ ص ۱۵۹/ ۱۶۰ و فتح القدير ج ۴ ص ۳۴، و نيل الاوطار ج ۸ ص ۱۶۳ و الغدير ج ۸ ص ۶۸ عمن تقدم و عن تفسير القرطبى ج ۱۴ ص ۵۱- ۵۳ و نقد العلم و العلماء ص ۲۴۶، تفسير الخازن ج ۳ ص ۴۶ و بهامشه تفسير النسفى ج ۳ ص ۴۶۰ و تفسير الآلوسى ج ۲۱ ص ۶۷. و أخرجه ابن أبى الدنيا، و ابن ابى شيبة و ابن المنذر، و البيهقى فى شعب الايمان، و ابن أبى حاتم، و ابن مردويه، و الفريابى، و ابن عساكر.

(۲) الاسراء/ ۶۴.

(۳) فتح القدير ج ۳ ص ۲۴۱ و تفسير الطبرى ج ۱۵ ص ۸۱ و تفسير ابن كثير ج ۳ ص ۴۹، و الغدير ج ۸ ص ۸۹ عنهم و عن: تفسير القرطبى ج ۱۰ ص ۲۸۸، و نقد العلم و العلماء ۲۴۷ و تفسير الخازن ج ۳ ص ۱۷۸ و بهامشه تفسير النسفى ج ۳ ص ۱۷۸ و تفسير ابن

جزی الکلبی ج ۲ ص ۱۷۵ و تفسیر الآلوسی ج ۱۵ ص ۱۱۱.

(۴) الغدیر ج ۱۰ ص ۲۲۵ عن تاریخ ابن عساکر ج ۵ ص ۴۱۲ و تاریخ الطبری ج ۶ ص ۱۵۷ و تاریخ ابن الأثیر ج ۴ ص ۲۰۹ و البدایة و النهایة ج ۸ ص ۱۳۰ و محاضرات الراغب ج ۲ ص ۲۱۴ و النجوم الزاهرة ج ۱ ص ۱۴۱.

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۴،ص:۱۲۴

و کان من جملة ما نقمه أهل المدینة علی یزید: أنه یشرب الخمر، و یعزف بالطنابیر، و یضرب عنده القیان «۱». الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ج۴ ۱۲۴ نقض أدلة حلیة الغناء: ..... ص : ۱۱۶

۱۵- و عن ابن عباس فی قوله تعالی) «و انتم سامدون»: سامدون:

هو الغناء بلغة حمیر «۲».

۱۶- عن جابر، عنه «صلی اللّه علیه و آله و سلم»: «کان ابلیس أول من ناح، و أول من غنی» «۳».

۱۷- عن علی «علیه السلام»، عنه «صلی اللّه علیه و آله و سلم»: «کسب المغنی، و المغنیة حرام، و کسب الزانیة سحت، و حق علی اللّه أن لا یدخل الجنة لحما نبت من سحت «۴».

۱۸- عن علی «علیه السلام»: ان النبی «صلی اللّه علیه و آله و سلم» نهی عن ضرب الدف، و لعب الطبل، و صوت المزمار «۵».

و حسبنا ما ذکرناه هنا، و من أراد المزید، فلیراجع المصادر المشار الیها فی الهوامش «۶».

---

(۱) الغدیر ج ۱۰ ص ۲۵۵ عن تاریخ الطبری ج ۷ ص ۴ و الکامل لابن الاثیر ج ۴ ص ۴۵ و البدایة و النهایة ج ۸ ص ۱۲۶ و فتح الباری ج ۱۳ ص ۵۹.

(۲) المدخل لابن الحاج ج ۳ ص ۱۰۴- ۱۰۷.

(۳) المدخل لابن الحاج ج ۳ ص ۱۰۴- ۱۰۷.

(۴) المدخل لابن الحاج ج ۳ ص ۱۰۴- ۱۰۷.

(۵) المدخل لابن الحاج ج ۳ ص ۱۰۴- ۱۰۷.

(۶) راجع: المدخل لابن الحاج ج ۳ من ص ۹۶- ۱۱۵، و تفسیر الطبری ج ۲۸ ص ۴۸ و الزهد و الرقائق، قسم ما رواه نعیم بن حماد ص ۱۲ و نیل الاوطار ج ۸ ص ۲۶۴ و ۲۶۳، و سنن البیهقی ج ۱۰ ص ۲۲۲، و فتح القدیر ج ۴ ص ۲۲۸ و ج ۵ ص ۱۱۵، و تفسیر ابن کثیر ج ۲ ص ۹۶ و ج ۴ ص ۲۶۰، و الفائق للزمخشری ج ۱ ص ۳۰۵، و الدر المنثور ج ۲ ص ۳۱۷ و ۳۲۴، و ج ۵ ص ۱۵۹، و الغدیر ج ۸ ص ۶۴ فما بعدها عنهم و عن: القرطبی ج ۷ ص ۱۲۲ و ج ۱۴ ص ۵۳- ۵۴، و الکشاف ج ۲ ص ۲۱۱، و تفسیر الآلوسی ج ۷ ص ۷۲ و ج ۲۱ ص ۶۸، و ارشاد الساری ج ۹ ص ۱۶۴، و بهجة النفوس لابن أبی حجرة ج ۲

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۴،ص:۱۲۵

أقوال العلماء فی الغناء:

و قد ذکر فی الغدیر: ان امام الحنفیة قد حرم الغناء، و هو مذهب مشایخ أهل الکوفة: سفیان، و حماد، و ابراهیم، و الشعبی و عکرمة: و نهی مالک عن الغناء، و اعتبره من العیوب التی ترد بها الجاریة، و هو مذهب سائر أهل المدینة إلا ابراهیم بن سعد وحده.

و نقل التحریم عن جماعة من الحنابلة. و عن عبد اللّه بن أحمد بن حنبل: أنه سأل اباه عن الغناء، فقال: ینبت النفاق فی القلب، لا یعجبنی، ثم ذکر قول مالک: إنما یفعله عندنا الفساق.

و عن أصحاب الشافعى العارفين بمذهبه القول بتحريمه كالمزنى و غيره. و انكروا على من نسب إليه حلّه، كالقاضى أبى الطيب، و له فى ذم الغناء، و المنع عنه كتاب مصنف و لابى بكر الطرطوشى كتاب فى الغناء.

و أيضا حرمه الطبرى، و الشيخ ابو اسحاق فى التنبيه، و نص على حرمته المحاسبى، و النحاس، و القفال و نهى عنه القاسم بن محمد، و الضحاك، و الوليد بن يزيد، و عمر بن عبد العزيز، و غير هم ممن لا يمكن حصرهم.

و نقل ابن الصلاح اجماع أهل الحل و العقد من المسلمين على تحريمه.

ص ۷۴، و تاريخ البخارى ج ۴ قسم ۱ ص ۲۳۴، و نقد العلم و العلماء ص ۲۴۶ و ۲۴۸، و نهاية ابن الاثير ج ۲ ص ۹۵ و تفسير الخازن ج ۳ ص ۴۶۰ و ج ۴ ص ۲۱۲ و النسفى بهامشه، ج ۳ ص ۴۶۰. و أخرجها سعيد بن منصور، و عبد بن حميد، و عبد الرزاق، و الفريابى، و ابو عبيد، و ابن أبى الدنيا، و ابن مردويه، و أبو الشيخ، و البزار، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و البيهقى ..

و أما قول ابن الزبير: ما أعلم رجلا من المهاجرين إلا قد سمعته يترنم، أو نحو ذلك المصنف ج ۱ ص ۵/ ۶ و سنن البيهقى ۱۰ ص ۲۲۵، فانما المقصود هو الترنم و التغنى بانشاد الشعر، و ليس الغناء، كما ذكره ابن الحاج ج ۳ ص ۹۸ و ۱۰۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۲۶

و ذكر الطبرى اجماع أهل الامصار على كراهته، و المنع عنه سوى ابراهيم بن سعد، و عبد اللّه العنبرى «۱».

الغناء عند اهل الكتاب:

و إذا كان الغناء أمرا غريبا عن الاسلام، فلا بد أن نتساءل من أين تسرب هذا الامر إلى بعض المسلمين، حتى اصروا على حلّيته، و ممارسته و حتى أصبح من شعار الصوفية، كما هو معلوم.

و الجواب: ان ذلك قد تسرب اليهم من أهل الكتاب.

فقد قال ابن كثير: و هو يتحدث عن مريم أخت عمران التى كانت فى زمان موسى: «و ضربها بالدف فى مثل هذا اليوم، الذى هو أعظم الاعياد عندهم دليل على أنه قد كان شرع من قبلنا ضرب الدف فى العيد» «۲» ثم يحكم ابن كثير بالجواز فى الاعياد و عند قدوم الغيّاب، تماما على وفق ما استنبطه من رواية مريم!!.

سر الوضع و الاختلاق:

و لربما يكون سر الاصرار على نسبة ذلك إلى نبى الأمة «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و إلى الاسلام هو:

۱- اننا نجد: أن عائشة و عمر بن الخطاب كانا يحبان الغناء و اللهو و يستمعان إليه.

أما بالنسبة لعائشة: «فقد روى البخارى و غيره: أنها كانت تشجع

---

(۱) ذلك كله فى كتاب: الغدير ج ۸ ص ۷۲- ۷۴ و المدخل لابن الحاج ج ۳ ص ۹۶- ۱۱۰. و فى هذا الأخير زيادات هامة لم نذكرها روما للاختصار.

(۲) البداية و النهاية ج ۱ ص ۲۷۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۲۷

على ذلك، و تقول: «فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن، الحريصة على اللهو» «۱».

كما و أنها قد أذنت لمغن (رجل!!) يغنى لبعض الجوارى اللواتى خفضن، و إن كانت قد عادت فأمرت باخراجه «۲».

و بالنسبة للخليفة الثانى عمر بن الخطاب، فقد قال ابن منظور: «قد رخص عمر فى غناء الاعراب» «۳».

و استأذنه خوات بن جبير بأن يغنى، فأذن له؛ فغنى، فقال عمر:

أحسن خوات، أحسن خوات «۴». و سمع رباح بن المغترف يغنى، فسأل عن ذلك، فأخبروه، فقال: فإن كنت آخذا فعليك بشعر ضرار بن الخطاب، و قريب من ذلك جرى له مع خوات أيضا «۵».

و عن العلاء بن زياد: أن عمر كان فى مسيره؛ فتغنى، فقال: هلا زجرتمونى إذ لغوت «۶»؟! و قد عده الشوكانى و العينى: أنه ممن أباح

---

(۱) مصنف عبد الرزاق ج ۱۰ ص ۴۶۵، و صحيح البخارى ط مشكول ج ۹ ص ۲۲۳ و ۲۷۰ و حياة الصحابة ج ۲ ص ۷۶۱ عن المشكاة ص ۲۷۲ عن الشيخين، و دلائل الصدق ج ۱ ص ۳۹۳.

(۲) سنن البيهقى ج ۱۰ ص ۲۲۴.

(۳) لسان العرب ج ۱۵ ص ۱۳۷ مادة: غنا.

(۴) الغدير ج ۸ ص ۷۹ عن كنز العمال ج ۷ ص ۳۳۵.

(۵) نسب قريش لمصعب ص ۴۴۸ و سنن البيهقى ج ۱۰ ص ۲۲۴ و الاصابة ج ۲ ص ۲۰۹ و الغدير ج ۸ ص ۷۹ عن البيهقى، و عن الاستيعاب ج ۱ ص ۸۶، و ۱۷۰ و عن الاصابة ج ۱ ص ۵۰۲ و ۴۵۷ و ج ۸ ص ۲۰۹ و عن كنز العمال ج ۷ ص ۳۳۵، و تاريخ ابن عساكر ج ۷ ص ۳۵.

(۶) الغدير ج ۸ ص ۸۰ عن كنز العمال ج ۷ ص ۳۳۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۲۸

الغناء هو و عثمان «۱».

و قد استعاد غناء زيد بن سلم، و عاصم بن عمر، و أبدى رأيه فيه، كما ذكره ابن قتيبة فراجع «۲».

فلعل جعل الانكار على الجوارى اللواتى كن يغنين فى بيت الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» من قبل عمر بالذات فى اكثر المرويات السابقة.- لعله- يهدف إلى التشكيك فى هذا الذى شاع عنه، أو للتخفيف من قبح نسبته إليه، حين يرى الناس أن النبى الاعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» نفسه يستمع الغناء، و يجعل مزامير الشيطان فى بيته، و يؤثر سماع الباطل!! فلا غضاضة بعد على غيره إن هو فعل شيئا من ذلك.

۲- إن اكثر تلك المنقولات التى تريد اثبات حلية الغناء تحاول التأكيد على دور عائشة، حتى إنها و هى تنظر إلى الحبشة كان «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يقول لها: أما شبعت؟ فتقول: لا؛ لتنظر منزلتها عنده، و ذلك يوحى لنا بأن ثمة يدا تحاول اثبات فضيلة لأم المؤمنين، و الاشارة أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان يراعيها و يحبها. ثم ان فى الروايات اشارات واضحة إلى الاهتمام باثبات فضائل لعمر، و ابى بكر، و عثمان، و اثبات مدى تمسكهم بالدين، و محاماتهم عنه، حتى و إن كان ذلك عن طريق النيل من كرامة النبى الاعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و الطعن فى نزاهته و عصمته!!.

۳- إننا لا نريد، أن نبرىء أيضا يد الامويين و العباسيين من عملية الدس، و الوضع و الاختلاق على النبى الاعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم». فقد كان ثمة من يهتم بإضفاء صفة الشرعية و القداسة على كل فعل من أفعالهم.

---

(۱) نيل الاوطار ج ۸ ص ۲۶۶، و الغدير ج ۷ ص ۷۸ عنه و عن: عمدة القارى فى شرح صحيح البخارى ج ۵ ص ۱۶۰.

(۲) عيون الاخبار ج ۱ ص ۳۲۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۲۹

و يوضح ذلك .. قصة المهدى مع غياث بن ابراهيم، حينما دخل عليه فوجده يلعب بالحمام، فروى له حديث: لا سبق إلا فى خف أو نصل او حافر. و زاد فيه كلمة: «أو جناح»، ارضاء لرغبة المهدى، فأمر له المهدى ببدرة، فلما خرج قال المهدى: أشهد أن قفاك قفا كذاب «۱».

و لا زلنا نقرأ فى كتب التاريخ و الأدب العجائب و الغرائب حول اهتمام خلفاء بنى أمية و بنى العباس فى امر الغناء و اللهو. و كانوا يعطون المغنين اعظم الجوائز، بالعشرات و بمئات الالوف «۲» حتى لقد قال اسحاق الموصلى شيخ المغنين «لو عاش لنا الهادى لبنينا حيطان دورنا بالذهب و الفضة «۳»».

نزول رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى قباء:

و يقول أهل الحديث و التاريخ: إنه بعد أن استقبل النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ذلك الاستقبال الحافل عدل إلى قباء، و نزل فى بنى عمرو بن عوف على كلثوم بن الهدم.

و فى ذلك اليوم أصر عليه أبو بكر ليدخل المدينة، فرفض. و أخبره:

أنه لا يريم حتى يقدم عليه ابن عمه، و أخوه فى اللّه، و أحب أهل بيته إليه، الذى وقاه بنفسه، على حد تعبيره «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

---

(۱) الاسرار المرفوعة فى الاخبار الموضوعة للقارى ص ۴۶۹، و اللآلى المصنوعة ج ۲ ص ۴۷۰، و راجع: الموضوعات لابن الجوزى ج ۱ ص ۴۲، و لسان الميزان ج ۴ ص ۴۲۲، و ميزان الاعتدال ج ۳ ص ۳۳۸ و المجروحون ج ۱ ص ۶۶ و تاريخ الخلفاء ص ۲۷۵ و المنار المنيف ص ۱۰۷.

(۲) راجع: ربيع الأبرار ج ۱ ص ۶۷۵ ففيه أن الرشيد اعطى ابرهيم الموصلى مئة الف لاحسانه فى الغناء، و حسبك بعض ما أورده أبو الفرج فى كتابه: الاغانى فراجعه.

(۳) راجع كتاب: حياة الامام الرضا السياسية (للمؤلف) ص ۱۱۸ عن الاغانى ط دار الكتب بالقاهرة ج ۵ ص ۱۶۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۳۰

فغضب أبو بكر، و اشمأز، و فارق النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و دخل المدينة فى تلك الليلة، و بقى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ينتظر أمير المؤمنين «عليه السلام» حتى وافاه بالفواطم، و أم ايمن «۱» فى النصف من ربيع الاول «۲». و نزل مع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» على كلثوم بن الهدم «۳».

و يرى البعض: أن الذى قدم بالعيال هو زيد بن حارثة و أبو رافع.

و رفع الحلبى التنافى باحتمال أن يكون الكتاب الذى أرسله «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إلى على «عليه السلام» حين كان «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى قباء كان معهما، ثم رافقا عليا فى الطريق، و عادا معه «۴».

فنسب البعض المجيء بالعيال إليهما، و تجاهل دور أمير المؤمنين الرائد، و موقفه فى الدفاع عنهما لحاجة فى نفسه قضاها.

تأسيس مسجد قباء:

و خلال اقامته «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى قباء أسس مسجد قباء المعروف، و يبدو أن صاحب الفكرة، و المباشر أولا فى وضع المسجد هو عمار بن ياسر «۵».

---

(۱) راجع فيما ذكرناه كتاب: البحار ج ۱۹ ص ۱۰۶ و ۱۱۵/ ۱۱۶ و ۷۵/ ۷۶ و ۶۴ عن روضة الكافى ص ۳۴۰، و اعلام الورى ص ۶۶ و الخرائج و الجرائح، و راجع:

الفصول المهمة لابن الصباغ ص ۳۵ و امالى الشيخ الطوسى ج ۲ ص ۸۳.

(۲) راجع امتاع الاسماع ص ۴۸.

(۳) راجع البحار ج ۱۹ و البداية و النهاية ج ۳ ص ۱۹۷.

(۴) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۵۳.

(۵) وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۵۰، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۵۵. عن ابن هشام و غير ذلك.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۳۱

و مسجد قباء هو المسجد الذى نزل فيه قوله تعالى: «لمسجد اسس على التقوى من أول يوم أحق ان تقوم فيه «۱»». و لسوف نتحدث عن ذلك فى غزوة تبوك، إن شاء اللّه تعالى.

أحجار الخلافة:

و تذكر هنا رواية «أحجار الخلافة» المكذوبة، و يذكرونها أيضا حين تأسيس مسجد المدينة، و لذا فنحن نرجىء الحديث عنها إلى هناك.

أول مسجد فى الإسلام:

و مسجد قباء هو أول مسجد بنى فى الاسلام، كما صرح به ابن الجوزى و غيره «۲».

و قد تقدم حين الكلام على هجرة ابى بكر إلى الحبشة، و ارجاع ابن الدغنة له، عدم صحة قولهم: إن أبا بكر هو أول من بنى مسجدا فى الاسلام، فراجع.

و يبدو أن بعض النساء قد شاركن فى بناء مسجد قباء؛ فعن ابن أبى أوفى لما توفيت امرأته جعل يقول: احملوها و ارغبوا فى حملها، فانها كانت تحمل- و مواليها- بالليل حجارة المسجد الذى اسس على التقوى، و كنا نحمل بالنهار حجرين حجرين «۳».

و بعد، فان الظاهر هو أن تأسيس مسجد قباء كان بعد قدوم أمير

---

(۱) التوبة/ ۱۰۸.

(۲) وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۵۰ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۵۵ و راجع: التراتيب الادارية ج ۲ ص ۷۶.

(۳) مجمع الزوائد ج ۲ ص ۱۰ عن البزار، و حياة الصحابة ج ۳ ص ۱۱۲ عنه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۳۲

المؤمنين «عليه السلام»؛ إذ قد ورد: أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد أمر أبا بكر بأن يركب الناقة، و يسير بها ليخط المسجد على ما تدور عليه؛ فلم تنبعث به، فأمر عمر فكذلك، فأمر عليا، فانبعثت به؛ و دارت به؛ فأسس المسجد على حسب ما دارت عليه، و قال «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: إنها مأمورة «۱».

صلاة الجمعة فى قباء:

و يذكرون هنا أيضا: أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد صلى الجمعة فى قباء، أو فى طريقه منها إلى المدينة «۲».

بل لقد قال بعضهم: إن الجمعة قد فرضت فى مكة، لكنهم لم يقيموها لعدم تمكنهم من ذلك «۳». و لعل إلى هذا ينظر ابن غرس، حيث يقول: «إن اقامة الجمعة لم تكن بمكة قط «۴»».

بل ربما يشك فى ذلك فى المدينة أيضا، فى هذا الوقت المبكر على اعتبار: أن سورة الجمعة قد نزلت بعد الهجرة بسنوات، بل هى من أواخر ما نزل من القرآن «۵».

لكن من المعلوم: أن سورة الجمعة إنما تتحدث عن لزوم السعى إلى الجمعة التى تقام، و ليست ناظرة إلى أصل تشريع صلاة الجمعة، فلعلها كانت مشروعة قبل ذلك، و كانت تقام، لكن بعض المسلمين كان يتهاون

---

(۱) وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۵۱، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۳۸ و راجع تاريخ جرجان ۱۴۴ لكن فى العبارة سقط.

(۲) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۵۹ و تاريخ المدينة لإبن شبة ج ۱ ص ۶۸.

(۳) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۹ و ۱۲ و ۵۹.

(۴) الاتقان ج ۱ ص ۳۷، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۵۹.

(۵) الاتقان ج ۱ ص ۱۳ و ۱۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۳۳

بالسعى إليها فنزلت آيات سورة الجمعة لأجل ذلك.

و لعل هؤلاء المتهاونين هم الذين هددهم النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بإحراق بيوتهم إن استمروا على مقاطعة صلاة الجمعة «۱» فراجع كتب الحديث و التاريخ.

و أما الإشكال على ذلك بأن إقامتها فى قباء معناه أنه (ص) قد صلاها فى السفر.

فهو فى غير محله، إذ من الممكن أن يكون (ص) قد نوى الاقامة فى قباء إلى حين قدوم على (ع) بالفواطم مع علمه بأن ذلك سيمتد إلى أكثر من عشرة أيام و قد ذكروا أنه (ص) قد أقام فى قباء خمسة عشر يوما «۲».

كما أن من الممكن أن تكون قباء فى ذلك الزمان فى محيط المدينة بحيث تعد من محلاتها، و من وصل إليها فكأنه وصل إلى المدينة، و لا يعد مسافرا بعد.

و قد تقدم بعض الكلام عن صلاة الجمعة فى فصل بيعة العقبة، فراجع.

---

(۱) سيأتى ذلك مع مصادره فى غزوة بنى النضير، فى فصل: القرار و الحصار.

(۲) البحار ج ۱۹ ص ۱۰۶ عن اعلام الورى و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۵۵ عن البخارى و راجع ص ۵۹ و عن مسلم: أنه أقام أربعة عشر يوما و قيل غير ذلك.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۳۵

القسم الثالث: حتى غزوة الخندق

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۳۷

الباب الأول: من الهجرة الى بدر

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۳۹

الفصل الأول: النبى (ص) فى المدينة

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۴۱

ورود النبى (ص) المدينة:

بعد خمسة عشر يوما «۱» من إقامته «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» فى قباء، تحرك إلى داخل المدينة. و قد اختلف المؤرخون فى التاريخ الدقيق لخروجه (ص) من مكة، و دخوله قباء ثم المدينة اختلافا كثيرا، مع اتفاقهم على أنه قد دخلها فى أوائل ربيع الأول «۲».

و قد حقق العلّامة المجلسى:

أن هجرته (ص) كانت فى يوم الإثنين، أول ربيع الأول، و وروده المدينة فى يوم الجمعة الثانى عشر منه، كما ذهب إليه المفيد، و ادعى البعض الإجماع عليه «۳»

و تقول رواية: إنه (ص) وصل قبل بزوغ الشمس. و كان هو و أبو بكر يلبسان ثيابا بيضا متشابهة، فكان يشتبه الأمر على الناس، فيسلمون على أبى بكر، يظنونه النبى (ص)، حتى بزغت الشمس، و أصابت النبى (ص)، فظلل عليه أبو بكر، فعرفه الناس حينئذ «۴»

---

(۱) البحار ج ۱۹ ص ۱۰۶ عن أعلام الورى، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۵۵ عن البخارى، و عن مسلم: أنه أقام ۱۴ يوما، و قيل غير ذلك.

(۲) راجع: البحار ج ۵۸ ص ۳۶۶، و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۶۷، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۳۷.

(۳) راجع أدلته فى البحار ج ۸ ص ۳۶۶ و ۳۶۷.

(۴) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۳۷. و ثمة ما يشير إلى ذلك فى المصادر التالية: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۵۲، دلائل النبوة للبيهقى ج ۲ ص ۴۹۸ و ۴۹۹، البداية و النهاية ج ۳ ص ۱۸۶ و راجع السيرة النبوية لإبن هشام ج ۲ ص ۱۳۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۴۲

و لكن هذه الرواية غير صحيحة قطعا، فإن النبى (ص) قد وصل إلى المدينة فى حرّ الظهيرة، كما نصّ عليه المؤرخون «۱».

و لو قلت: لعل المراد أنه وصلها فى طريقه من مكة، حيث عدل إلى قباء، حين الظهيرة.

فإن الجواب هو:

۱- إنه قد تقدم: أن أهل المدينة كانوا يأتون كل يوم أفواجا إلى قباء، فيسلمون عليه (ص)، و ذلك يدّل على أنه (ص) قد كان معروفا عند أهل المدينة قبل قدومه إليها، فكيف يدّعى: أنه (ص) كان يشتبه على الناس بأبى بكر حتى ظلّل أبو بكر عليه؟!

و مع غضّ النظر عن ذلك، فإن شخصية النبى (ص) كانت تدلّ عليه، و كانت تختلف كثيرا عن شخصية أبى بكر، و قد وصفته أم معبد لزوجها حتى عرفه «۲». و تقدمت صفة أبى بكر على لسان ابنته عائشة.

۲- ثم إنه قد تقدم القول بأنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد صلّى الجمعة، و هو فى طريقه إلى المدينة «۳» و هذا معناه: أنه (ص) قدمها بعد الظهر بقليل، فإن المسافة بين قباء و المدينة ليست كبيرة، كما هو معلوم.

۳- أضف إلى كل ما تقدم: أنه إذا كان (ص) أكبر من أبى بكر بسنتين، فما معنى قولهم لأبى بكر: من هذا الغلام بين يديك «۴»؟! و هل

---

(۱) راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۳۶ و ۳۳۷، و السيرة النبوية لإبن هشام ج ۲ ص ۱۳۷، و صحيح البخارى ط سنة ۱۳۰۹ ه. ج ۲ ص ۲۱۳، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۵۲.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۳۴/ ۳۳۵، السيرة الحلبية ج ۲ ص ۴۹/ ۵۰، دلائل النبوة ج ۱ ص ۲۷۹.

(۳) المواهب اللدنية ج ۱ ص ۶۷، سيرة ابن هشام ج ۲ ص ۱۳۹، تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۳۹ و البحار ج ۸ ص ۳۶۷، و دلائل النبوة ج ۲ ص ۵۰۰.

(۴) الغدير ج ۷ ص ۲۵۸، عن مصادر كثيرة، السيرة الحلبية ج ۲ ص ۴۱، مسند أحمد ج ۳ ص ۲۸۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۴۳

يقال لمن بلغ ثلاثا و خمسين سنة: إنه غلام؟!

إلا أن يجاب عن هذا بأن الغلام قد يطلق على الكبير كما على الصغير على حد سواء. و لكن يبقى سؤال: أنهم كانوا على علم بهجرته (ص) فما معنى سؤال أبى بكر عنه. و قد تقدم أن المئات منهم قد خرجوا يستقبلونه.

منزل النبى (ص) فى المدينة:

و فى يوم الجمعة ركب «صلى اللّه عليه و آله» راحلته، و توجّه إلى المدينة، و على «عليه السلام» معه لا يفارقه، يمشى بمشيه. و لا يمّر ببطن من بطون الأنصار إلا قاموا إليه يسألونه أن ينزل عليهم، فيقول: خلّوا سبيل الناقة، فإنها مأمورة.

فانطلقت به، و رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» واضع لها زمامها، حتى انتهت إلى موضع مسجد النبى «صلى اللّه عليه و آله»، فوقفت هناك، و بركت، و وضعت جرانها على الأرض. و ذلك بالقرب من باب أبى أيوب الأنصارى، أفقر رجل بالمدينة «۱».

فأدخل أبو أيوب- أو أمّه- الرحل إلى منزلهم، و نزل «صلى اللّه عليه و آله و سلم» عنده، و على «عليه السلام» معه، حتى بنى مسجده و منازله «۲». فقيل: مكث عند أبى أيوب سنة تقريبا، و قيل: سبعة أشهر، و قيل: شهرا واحدا «۳» و نحن نستقرب هذا الأخير، إذ يبعد أن يستمر العمل

---

(۱) البحار ج ۱۹ ص ۱۲۱، و راجع: مناقب ابن شهر آشوب ج ۱ ص ۱۸۵.

(۲) روضة الكافى ص ۳۳۹/ ۳۴۰، و البحار ج ۱۹ ص ۱۱۶ عنه.

(۳) البدء و التاريخ ج ۴ ص ۱۷۸، و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۶۵، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۶۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۴۴

فى المسجد طيلة هذه المدّة و الأنصار و المهاجرون يعملون فى البناء بجد و اجتهاد، و هو (ص) يعمل معهم.

أما سائر المهاجرين، فقد تنافس فيهم الأنصار، حتى افترقوا عليهم بالسهمان «۱».

ابن سلام و الاسلام:

و يقول المؤرخون و أهل الحديث من غير مدرسة أهل البيت «عليهم السلام»: إن عبد اللّه بن سلّام اليهودى لمّا سمع الضجة، حين قدوم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» المدينة، أسرع إليه، فلما رآه و سمع كلامه، عرف أن وجهه ليس بوجه كذّاب «۲».

و يقولون أيضا: إنه سأله حينئذ ثلاث مسائل لا يعلمها إلا نبى، فأجابه (ص) عنها، فأسلم. ثم طلب من النبى (ص) أن يسأل اليهود عنه قبل أن يعلموا بإسلامه، فسألهم عنه، فقالوا: خيرنا و ابن خيرنا، و أفضلنا و ابن أفضلنا، فلمّا علموا بإسلامه، قالوا: شرنا و ابن شرنا «۳».

و يقولون أيضا: إن عبد اللّه بن سلام هذا هو الذى أنزل اللّه تعالى فيه وَ شَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ، فَآمَنَ وَ اسْتَكْبَرْتُمْ «۴»».

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۶۴.

(۲) الإصابة ج ۲ ص ۳۲۰ عن أحمد و أصحاب السنن و الإستيعاب بهامشها ج ۲ ص ۳۸۲ و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۱۳ و تلخيصه للذهبى نفس الصفحة.

(۳) البخارى هامش الفتح ج ۷ ص ۲۱۲/ ۲۱۳ برواية ابن سلام نفسه، و الإصابة ج ۲ ص ۳۲۱، و الإستيعاب بهامشها ج ۲ ص ۳۸۲.

(۴) أسد الغابة فى معرفة الصحابة ج ۳ ص ۱۷۶ صحيح البخارى هامش الفتح ج ۷ ص ۹۷ و الإستيعاب هامش الإصابة ج ۲ ص ۳۸۳ عن بعض المفسرين، و الدر المنثور ج ۴ ص ۶۹ عن: أبى يعلى، و ابن جرير، و الحاكم، و النسائى، و ابن المنذر، و ابن مردويه، و الترمذى، و ابن أبى حاتم، و عبد بن حميد، و ابن عساكر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۴۵

و نزل فيه أيضا: قُلْ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ «۱»».

إلى غير ذلك مما يقولونه فى هذا الرجل مما لا مجال لذكره هنا.

و نحن نسجل هنا النقاط التالية:

أولا- إنه عدا عن التناقض الظاهر فى الروايات التى تتحدث عن كيفية إسلام ابن سلام، كما لا يخفى على من راجعها، فإننا نجد البعض يقول: إنه قد «تأخر إسلامه إلى سنة ثمان، قال قيس بن الربيع، عن عاصم، عن الشعبى، قال: أسلم عبد اللّه بن سلام قبل وفاة النبى «صلى اللّه عليه و آله» بعامين» «۲».

و قد ضعف العسقلانى هذه الرواية سندا بقيس بن الربيع، و غلّطها «۳».

و لكننا نقدّر: أن مستنده فى ذلك هو الروايات المتقدمة الدالة على أنه أسلم أول الهجرة.

و نحن لا نستطيع قبول ذلك منه، فإن الشّعبى أقرب عهدا من العسقلانى. و قد عيّن لنا سنة إسلامه، بشكل يدلّ على أنه لا يرسل الكلام على عواهنه.

ثم إنه لو كانت لابن سلام كل تلك العظمة التى أشارت إليها روايات إسلامه و غيرها، فلماذا لم نسمع عنه فى تلك السنين الطويلة منذ الهجرة، و إلى سنة ثمان أى قول أو رأى، أو موقف!! مع أن التاريخ قد

---

(۱) الإصابة ج ۲ ص ۳۲۱، و الإستيعاب بهامشه ج ۲ ص ۳۸۳، و الدر المنثور ج ۴ ص ۶۹ عن: ابن مردويه، و ابن جرير، و ابن أبى شيبة، و ابن سعد، و ابن المنذر.

(۲) الإصابة ج ۲ ص ۳۲۰.

(۳) الإصابة ج ۲ ص ۳۲۰ و فتح البارى ج ۷ ص ۹۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۴۶

ذكر لنا كثيرا من مواقف صغار الصحابة ممن أسلم عام الفتح، بل و حتى الذين لم يروا النبى (ص) إلا فى طفولتهم، فكيف سكت عن هذا الرجل الخطير!! برأيهم؟!.

أما تضعيف العسقلانى لقيس بن الربيع، فهو فى غير محله، فإنه هو نفسه قد نقل توثيقه من قبل: عفان بن قيس، و الثورى، و شعبة، و أبى الوليد، و ابن عدى. و أثنى عليه يعقوب و عثمان ابنا أبى شيبة، و أبو حاتم، و شريك، و ابن حبّان، و العجلى، و أبو حصين، و يحيى بن سعيد، و معاذ بن معاذ، و ابن عيينة، و أبو نعيم و غيرهم «۱».

و لكن سرّ الطعن عليه من العسقلانى، أو من غيره، هو ما أشار إليه أحمد، حيث قال: «كان يتشيّع، و يخطىء فى الحديث «۲»».

رغم أنهم يذكرون: أن عامة رواياته مستقيمة «۳» و الذى يذكر هذا الطعن عليه بالتشيّع هو أحمد بن حنبل، و ليس ذلك غريبا عنه، فإنه عاش فى زمن المتوكّل الناصبى، الذى فعل بابن السكّيت ما فعل، حيث أمر بأن يسلّ لسانه من قفاه، ففعل به ذلك فمات، لأنه لم يرض بتفضيل ولديه على الحسنين «عليهما السلام» «۴».

كما انه قد أمر المغنين بأن يغنّوا نكاية بولده المنتصر، الذى لم يرض بتنقصه لأمير المؤمنين على «عليه السلام»:

غار الفتى لابن عمه‌رأس الفتى فى حرّ أمّه «۵»

---

(۱) تهذيب التهذيب ج ۸ ص ۳۹۲- ۳۹۵.

(۲) تهذيب التهذيب ج ۲ ص ۳۹۴.

(۳) تهذيب التهذيب ترجمة قيس ج ۸.

(۴) الكنى و الألقاب ج ۱ ص ۳۱۴/ ۳۱۵ و راجع: و فيات الأعيان ج ۶ ص ۳۹۵ و ۳۹۶ و ۴۰۰ و ۴۰۱ و تاريخ الخلفاء ص ۳۴۸.

(۵) الكامل لإبن الأثير ج ۷ ص ۵۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۴۷

و قد ضرب رجلا ألف سوط، لأنه روى رواية واحدة فى فضل علىّ «عليه السلام».

و هو الذى حرث قبر الحسين «عليه السلام» و منع الناس من الوفود إلى زيارته «۱».

نعم، هذه هى بعض أفاعيل المتوكّل. و قد كان لأحمد بن حنبل عند المتوكّل هذا منزلة عظيمة، حتى إنه يدفع إليه ولده المعتز و سائر أولاده و ولاة عهده ليقوم على تعليمهم «۲». قال ابن كثير: «و كان لا يولّى أحدا إلا بعد مشورة الإمام أحمد «۳».

فبماذا استحق أحمد عند هذا الرجل الطاغية هذه المنزلة العظمى يا ترى؟

أما نصب الحنابلة، فهو موضوع آخر لا مجال للتعرض له هنا «۴».

و ثانيا: بالنسبة لآية: وَ شَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِى إِسْرائِيلَ إلخ، نشير إلى ما يلى:

أ- لقد روى: أن هذه الآية قد نزلت فى ميمون بن بنيامين، فى قصة شبيهة بالقصة المنقولة عن ابن سلام تقريبا «۵». و روى عن الزهرى، و مجاهد، و ابن عمر، و سعيد بن جبير، و عمر، و قتادة خلاف ذلك أيضا،

---

(۱) الكامل لإبن الأثير ج ۷ ص ۵۵.

(۲) مناقب الإمام أحمد بن حنبل لإبن الجوزى ص ۳۸۵ و ۳۶۴، و أحمد بن حنبل و المحنة ص ۱۹۰، و حلية الأولياء ج ۹ ص ۲۰۹.

(۳) البداية و النهاية ج ۱۰ ص ۳۱۶.

(۴) للإطلاع على شطر من ذلك راجع كتاب: بحوث مع أهل السنة و السلفية.

(۵) راجع: الدر المنثور ج ۶ ص ۴۰ عن عبد بن حميد، و فتح البارى ج ۷ ص ۹۸، و الإصابة ج ۳ ص ۴۷۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۴۸

فراجع «۱».

ب- لقد ورد عن الشّعبى، أنه قال: ما نزل فى عبد اللّه أى ابن سلام شىء من القرآن «۲».

ج- قال عكرمة: «و شهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله: ليس بعبد اللّه بن سلام، هذه الآية مكّية. فيقول: من آمن من بنى إسرائيل، فهو كمن آمن بالنبى (ص). و أقسم مسروق على مثل ما جاء عن عكرمة.

و كذلك قال الشعبى أيضا. و أنكر ذلك أيضا أبو عمر استنادا إلى نفس حجّة عكرمة «۳»

و جعل هذه الآية مدنية استنادا إلى رواية ابن سلام ليس له ما يبرره، بعد إنكار هؤلاء الذين هم أقرب إلى زمن النبى (ص) لذلك، و بعد ما تقدم عن الشعبى و غيره.

د- إن ظاهر الآية هو أنها خطاب للمشركين الذين استكبروا، مع كون بعض بنى إسرائيل الذين يعتمدون على أقوالهم، قد آمن. و لا يناسب أن تكون خطابا لليهود، لأنهم هم أيضا من بنى إسرائيل، اذ كان الأنسب أن يقول لهم «منكم». و هذا يؤيد ما تقدم عن عكرمة، و الشعبى، و مسروق، و غيرهم.

ه- لقد صرح الطحاوى بأن النبى (ص) لم يصرح بنزولها فى ابن

---

(۱) الدر المنثور ج ۴ ص ۶۹ عن مصادر كثيرة، و راجع: مشكل الآثار ج ۱ ص ۱۳۷.

(۲) مشكل الآثار ج ۱ ص ۱۳۷، و فيه أن سعيد بن جبير قد وافق الشعبى فى نفى نزول الآية فى ابن سلام، و الدر المنثور ج ۴ ص ۶۹، و ج ۶ ص ۳۹/ ۴۰ عن ابن المنذر، و دلائل الصدق ج ۲ ص ۱۳۵ عنه، و الميزان ج ۱۱ ص ۳۸۹.

(۳) الإستيعاب (هامش الإصابة) ج ۲ ص ۳۸۳، و فتح البارى ج ۷ ص ۹۸، و الدر المنثور ج ۶ ص ۳۹ عن ابن جرير، و عبد بن حميد، و ابن أبى حاتم، و ابن المنذر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۴۹

سلام، و إنما مالك هو الذى استنبط ذلك «۱».

و ثالثا: بالنسبة إلى قوله تعالى: وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ، نقول:

۱- قد تقدم أنه قد روى عن الزهرى، و مجاهد، و سعيد بن جبير، و إبن عمر، و قتادة، و عمر، ما يخالف هذا القول، الذى لم يرد إلا عن جندب، و كذا عن ابن عباس، و مجاهد فى إحدى الروايتين عنهما.

۲- قد تقدم عن الشّعبى: أنه لم ينزل فى ابن سلام شىء من القرآن.

۳- قد أنكر ذلك أيضا كل من عكرمة، و الحسن، و الشّعبى، و محمد بن سيرين، و سعيد بن جبير، استنادا إلى أن السورة مكّية، و إسلام ابن سلام كان بعد «۲».

۴- إنهم يقولون: إن عمر بن الخطاب قد أسلم بعد نزول هذه الآية؛ لأنه سمع النبى (ص) يقرؤها مع آيات أخر فى صلاته، فانتظر عمر حتى سلّم، فأسرع فى أثره و أسلم «۳». و إنما أسلم عمر فى مكة كما هو معلوم.

۵- هناك روايات متواترة تنص على أن المقصود ب مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ هو أمير المؤمنين على «عليه السلام»، و أنه هو العالم بالتفسير

---

(۱) مشكل الآثار ج ۱ ص ۱۳۹.

(۲) مشكل الآثار ج ۱ ص ۱۳۷ و ۱۳۸، و الإستيعاب هامش الإصابة ج ۲ ص ۳۸۳، و الدر المنثور ج ۴ ص ۶۹ عن النحاس فى ناسخه، و سعيد بن منصور، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و دلائل الصدق ج ۲ ص ۱۳۵ عن الدر المنثور، و غرائب القرآن للنيسابورى ج ۱۳ ص ۱۰۰ (مطبوع بهامش جامع البيان)، و الإتقان ج ۱ ص ۱۲، و إحقاق الحق ج ۳ ص ۲۸۰- ۲۸۴، و الجامع لأحكام القرآن ج ۹ ص ۳۳۶، و ينابيع المودة ص ۱۰۴ و ۱۰۳.

(۳) الدر المنثور ج ۴ ص ۶۹ عن عبد الرزاق، و ابن المنذر عن الزهرى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۵۰

و التأويل، و الناسخ و المنسوخ، و الحلال و الحرام. و هذه الروايات مروية عن أبى سعيد الخدرى، و ابن عباس، و محمد بن الحنفية، و الإمام محمّد الباقر «عليه السلام». و السدّى، و زيد بن علىّ رحمه اللّه، و الإمام موسى بن جعفر «عليه السلام»، و أبى صالح «۱».

و من الطريف هنا ما جاء عن أبى صالح، فى قوله عز و جل: وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ، قال: رجل من قريش، هو على و لكن لا نسميه «۲».

لماذا لا تسميه أيها الرجل؟ و لماذا تكتم الحق، و انت تعلم؟ أليس ذلك خوفا من الرمى بالتشّيع، المساوى للرمى بالزندقة، ثم البلاء و الشقاء من أعداء على و أهل بيته، الذين كانوا هم أصحاب الملك و السّلطان؟! حتى لقد قال الشاعر:

و متى تولّى آل أحمد مسلم‌قتلوه أو وصموه بالالحاد «۳» ملاحظتان:

الأولى: إننا لا نستبعد أن يكون معاوية و حزبه اللذين كان ابن سلام يهتم فى دعمهم و تأييد سلطانهم، قد كانوا وراء إعطاء هذه الفضيلة

---

(۱) راجع: شواهد التنزيل للحسكانى ج ۱ ص ۳۰۸ و ۳۱۰ و ۳۰۷، و مناقب ابن المغازلى الحديث رقم ۳۶۱، و الخصائص ص ۲۶، و غاية المرام ص ۳۵۷ و ۳۶۰/ ۱۰۴ عن تفسير الثعلبى و الحبرى مخطوط، و دلائل الصدق ج ۲ ص ۱۳۵ عن ينابيع المودة ص ۱۰۲- ۱۰۵ و نقل عن أبى نعيم، و راجع: إحقاق الحق (الملحقات) ج ۴ ص ۳۶۲- ۳۶۵ و ج ۳ ص ۴۵۱ و ۴۵۲ متنا و هامشا، و ج ۳ ص ۲۸۰- ۲۸۵ متنا و هامشا، و ج ۲۰ ص ۷۵- ۷۷ عن العديد من المصادر، و العمدة لإبن بطريق ص ۱۲۴، و الجامع لأحكام القرآن ج ۹ ص ۳۳۶.

(۲) شواهد التنزيل ج ۱ ص ۳۱۰. و إحقاق الحق (الملحقات) ج ۱۴ ص ۳۶۴.

(۳) راجع كتاب: حياة الإمام الرضا السياسية للمؤلف، فصل سياسة العباسيين ضد العلويين، و رسالة الخوارزمى لأهل نيشابور فى مجموعة رسائل الخوارزمى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۵۱

لعبد اللّه بن سلام. و يدل على ذلك ما روى عن قيس بن سعد بن عبادة، قال: و من عنده علم الكتاب، على. قال معاوية بن أبى سفيان: هو عبد اللّه بن سلام.

قال سعد: أنزل اللّه: إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ و أنزل:

أَ فَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ، وَ يَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ فالهادى من الآية الأولى، و الشاهد من الآية الثانية، على، لأنه نصبه «صلى اللّه عليه و

آله و سلم» يوم الغدير، و قال: من كنت مولاه فعلى مولاه، و قال: أنت منّى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبىّ بعدى. فسكت معاوية، و لم يستطع أن يردّها «۱».

الثانية: إن مما يلفت النظر هنا: أن نجد هذا الذى تنسب إليه فضائل أمير المؤمنين «عليه السلام»، و يدّعى زورا: أنه هو المعنىّ بها- نجده- على الدوام من أعوان خصوم على «عليه السلام»، و من الممالئين لاعدائه، و لم يبايع له حينما بويع بالخلافة «۲».

و لعل هذا هو السرّ فى الاهتمام بشأنه، و إظهاره على أنه شخصية لها شأن و مقام، و قدم، بل و فضل، فى إثبات صدق النبى (ص) و صحة ما جاء به.

و يذكر أبو ريّة: أن ابن سلام هذا كان يدخل من إسرائيلياته فى الإسلام «۳».

و قد كان اليهود يبغضون جبرائيل «عليه السلام»؛ و لعل هذا هو السرّ فى أن عبد اللّه بن سلام يفسّر اللهو فى آية وَ إِذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْواً

---

(۱) ينابيع المودة ص ۱۰۴ و كتاب سليم بن قيس.

(۲) راجع: بالنسبة لعدم بيعته لعلى «عليه السلام»: شرح النهج للمعتزلى ج ۴ ص ۹.

(۳) راجع: شيخ المضيرة، و أضواء على السنة المحمدية.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۵۲

انْفَضُّوا إِلَيْها. فيقول: كان اللهو نظرهم إلى وجه دحية لجماله، فقد ورد: أن جبرئيل كان يأتى إلى النبى (ص) فى صورة دحية هذا «۱».

هذا، و يجب التذكير بأن بعض الخلفاء، و لا سيما عثمان، كانوا يستشيرونه فى أمور هامة، فيشير عليهم بما يراه. و قد دافع عن عثمان و هو محصور بلسانه و لكنه لم ينصره بيده «۲» رغم وعده له بذلك. و قد اعتبره المحاصرون لعثمان أنه لا يزال على يهوديته، فحاول أن ينفى ذلك عن نفسه «۳».

بل كان هو و كعب الأحبار، و غير هما من زعماء اليهود و النصارى، الذين أظهروا الاسلام، مصدرا للكثير من المواقف الخطيرة فى الدولة الإسلامية، و كانا بمثابة مستشارين للهيئة الحاكمة فى كثير من الشؤون.

و بعد، فإننا نسأل اللّه أن يوفقنا لنشر كتاب يرتبط بأثر أهل الكتاب فى السياسة و العقائد، و التفسير، و الحديث، و الفقه، و التاريخ، و غير ذلك.

---

(۱) راجع: التراتيب الإدارية ج ۱ ص ۱۹۰.

(۲) راجع أقواله فى: المصنف للصنعانى ج ۱۱ ص ۴۴۴ و ۴۴۵ و ۴۴۶، و فى هامشه عن ابن سعد فى طبقاته ج ۳ ص ۸۳، و حياة الصحابة ج ۳ ص ۵۴۰، و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۹۲ و ۹۳ و راجع الإصابة ج ۲ ص ۳۲۱.

(۳) راجع: الفتوح لإبن أعثم ج ۲ ص ۲۲۳/ ۲۲۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۵۳

الفصل الثانى: قضايا و أحداث غير عسكرية

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۵۵

عودة بعض المهاجرين من الحبشة:

و بلغ المسلمين فى الحبشة نبأ هجرة الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» و المسلمين إلى المدينة، فرجع منهم ثلاثة و ثلاثون رجلا، و ثمانى نسوة، فمات منهم رجلان فى مكة، و حبس سبعة، و انتهى بقيتهم إلى رسول اللّه (ص) فى المدينة، و شهد بدرا منهم أربعة و عشرون «۱».

و استمروا يخرجون إليه (ص) إلى المدينة «۲» إلى أن قدم جعفر «عليه السلام» مع الجماعة الباقية فى سنة سبع، حين فتح خيبر، كما سيأتى إن شاء اللّه تعالى.

و هؤلاء الثلاثون المشار إليهم هنا، هم غير الذين عادوا إلى مكة فى السنة الخامسة من البعثة، قبل الهجرة إلى المدينة بثمان سنوات.

و أما السبب فى مرورهم على مكة، مع أنها البلد الذى فروا منه، فهو أن طريقهم إلى المدينة كان يمرّ بقرب مكة، على ما يظهر.

و يدل على ذلك ما ورد عن الصنعانى حيث قال: «فلما قاتل رسول اللّه (ص) كفار قريش، حالت بين مهاجرة أرض الحبشة، و بين

---

(۱) راجع: طبقات ابن سعد ج ۱ قسم ۱ ص ۱۳۹.

(۲) راجع: طبقات ابن سعد ج ۱ قسم ۱ ص ۱۳۹، و زاد المعاد ج ۱ ص ۲۵، و ج ۲ ص ۲۴/ ۴۵، و البدء و التاريخ ج ۴ ص ۱۵۲، و فتح البارى ج ۷ ص ۱۴۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۵۶

القدوم على رسول اللّه، حتى لقوه بالمدينة زمن الخندق» «۱» إنتهى.

لكن قوله: «زمن الخندق» لا يمكن تأكيده و لعله تصحيف خيبر.

و بالنسبة لهؤلاء الذين نحن بصدد الحديث عنهم، فإن المعروف هو ما ذكرناه، و لعل عددا منهم قد دخل مكة، سرا أو جهرا، بهدف الحصول على أموالهم التى كانت فى مكة، و تجديد العهد بأهلهم و ذويهم، و بالبيت العتيق، ثم يسافرون إلى المدينة.

و لكن قريشا واجهتهم بالعنف و القسوة، و لم ترع لهم حرمة، و لا غربة، و لا قرابة.

و واضح: أن وصول هذه الثلة من مهاجرى الحبشة إلى المدينة، كان بعد عدة أشهر من وصول النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» إليها، إذ أن وصول نبأ هجرة النبى (ص) إليهم، ثم هجرتهم إلى مكة، و تصفية بعضهم علاقاتهم بها، ثم ما جرى لهم مع قريش، ثم سيرهم إلى المدينة، يحتاج إلى وقت طويل. حتى إن البعض يذكر: أن ابن مسعود قد كان من جملة الثلاثين العائدين إلى مكة، فالمدينة، فوصل إلى المدينة حين كان النبى (ص) يتجهز إلى بدر «۲».

عائشة فى بيت النبى (ص):

و فى السنة الأولى من الهجرة، و قيل فى التى بعدها، انتقلت عائشة إلى بيت النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلّم»، و ذلك فى شهر شوال.

و قالوا: إنه (ص) لم يتزوج بكرا غيرها. و لكننا لا نطمئن إلى صحة ذلك، و ذلك بملاحظة ما تقدم حين الكلام على زواجه (ص) بخديجة

---

(۱) المصنف للصنعانى ج ۵ ص ۳۶۷.

(۲) فتح البارى ج ۷ ص ۱۴۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۵۷

حيث قلنا: إن زواج خديجة برجل آخر سوى رسول اللّه (ص) أمر مشكوك فيه إلى حد كبير، و لربما نشير إلى ذلك فيما يأتى إن شاء اللّه تعالى.

مراسم الزفاف:

و لا نعرف لماذا كان زفاف عائشة غير ذى أهمية لدى النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلّم»؛ فقد روى: أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» ما أولم على عائشة بشيء- رغم توقع الناس منه ذلك و قدرته عليه فى تلك الفترة- غير أن قدحا من لبن أهدى إليه من بيت سعد بن عبادة، فشرب النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» بعضه، و شربت عائشة منه!! «۱».

و لا يصح أن يعد ذلك وليمة عرس لها؛ إذ من الطبيعى أن لا يغفل النبى عن عرض الطعام على جليسه، فضلا عن زوجته.

استدلال طريف:

و قد كانت عائشة تستدل على حظوتها عند النبى (ص) بأنه قد تزوجها فى شوال؛ فتقول:

تزوجنى رسول اللّه (ص) فى شوال، فأى نساء رسول اللّه (ص) كانت أحظى عنده منى؟ «۲».

و هو استدلال طريف حقا، فمتى كان لشوال هذه الفضيلة، العظيمة، التى تدل على الحظوة؟!

أضف إلى ذلك: أن خديجة، و أم سلمة، و سائر نسائه (ص) قد كنّ

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۵۸، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۱۲۱.

(۲) تاريخ الطبرى ط الإستقامة ج ۲ ص ۱۱۸، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۱۲۰، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۵۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۵۸

أحظى عنده منها، و لذا فقد كانت تحسدهن، و تؤذيهن، و تسيىء إليهن كثيرا، حتى أمام رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» نفسه، و قد تقدم بعض ما يدل على ذلك حين الكلام عن العقد على عائشة قبل الهجرة.

و أطرف من ذلك: أننا نجد البعض يحكم باستحباب العقد فى شوال «۱».

و يبدو أن حبهم لعائشة، و تقديرهم لرغباتها، و هى التى كانت الساعد الأيمن للهيئة الحاكمة بعد النبى، و التى حاربت عليا الشوكة الجارحة فى أعينهم، الذى لم تكن تقدر أن تذكره بخير أبدا «۲»- إن ذلك هو الذى دفعهم إلى وضع هذا التشريع- مع أنهم يروون: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» قد تزوج بجويرية، و بحفصة فى شعبان، و بزينب بنت خزيمة فى شهر رمضان، و بزينب بنت جحش فى ذى القعدة كما يقال. فالنبى إذن، قد ترك هذا المستحب، و لم يفعله إلا بالنسبة لعائشة وحدها، و وحدها فقط!! إن ذلك عجيب حقا و أى عجيب!!.

فاتحة عهد جديد:

و على كل حال، فإن بدخول عائشة إلى بيت النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» قد بدأت فى هذا البيت، الذى كان مثالا للهدوء و السكينة، و الجلال- حتى عهد قريب- تحولات و تغيرات ذات طابع معين، حينما صار مجالا لكثير من التناقضات، التى كانت مصدرا لهمّ النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» و غمه أحيانا كثيرة. و كانت عائشة هى السبب المباشر و المحرك فى القسم

الأعظم منها.

و لا نقول ذلك من عند أنفسنا، و إنما نستند فى ذلك إلى ما أثبته

---

(۱) راجع: نزهة المجالس للصفورى الشافعى ج ۲ ص ۱۳۷.

(۲) فتح البارى ج ۲ ص ۱۳۱، و مسند أحمد ج ۶ ص ۲۲۸، و الغدير ج ۹ ص ۳۲۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۵۹

التاريخ و الحديث المتواتر عنها. بل إنها هى نفسها تصرح: بأنها كانت السبب فى كل ما كان يجرى فى بيته (ص) من مشاحنات، و تناقضات كما جاء فى بعض المصادر، على ما ذكره لى بعض المحققين.

آية الصلح بين المؤمنين:

و يذكر البعض: من الحوادث التى كانت قبل غزوة بدر «۱»: أن الرسول الأعظم (ص) ذهب ليعود سعد بن عبادة فى بنى الحرث بن الخزرج، و ذلك قبل أن يسلم عبد اللّه بن أبى بن سلول؛ فمر (ص)- و هو على حماره- بمجلس ابن أبى، و فى المجلس أخلاط من المسلمين، و المشركين، و اليهود، و فيهم عبد اللّه بن رواحة؛ فثار غبار من مشى الحمار، فخمّر ابن أبى أنفه بردائه، و قال: لا تغبروا علينا.

فنزل إليهم رسول اللّه (ص)، و دعاهم إلى اللّه؛ فقال له ابن أبى:

أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقا؛ فلا تؤذينا به فى مجالسنا، إرجع إلى رحلك؛ فمن جاءك فاقصص عليه.

فقال ابن رواحة: بلى يا رسول اللّه فاغشانا، فإنا نحب ذلك.

فاستب المسلمون و المشركون، حتى كادوا يتبادرون، فلم يزل رسول اللّه (ص) يخفضهم حتى سكنوا.

ثم دخل على سعد بن عبادة، فحدثه بما جرى. فطلب منه سعد أن يصفح عن ابن أبى؛ لأنهم كانوا على و شك أن يتوجوه قبل قدومه (ص)، فلما قدم انصرفوا عن ذلك.

و فى رواية أخرى: إنه (ص) ذهب و معه المسلمون إلى ابن أبى تألفا لقومه، فلما أتاه قال له: إليك عنى، و اللّه لقد أذانى ريح حمارك.

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۶۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۶۰

فقال أحد الأنصار: و اللّه لحمار رسول اللّه أطيب ريحا منك.

فتعصب لإبن أبىّ رجل من قومه فشتمه، فغضب لكل منهما أصحابه، فكان بينهم ضرب بالجريد و النعال؛ فنزل قوله تعالى: وَ إِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما إلخ «۱».

و فى مجمع البيان: أن الذى قال لإبن أبىّ ذلك، هو عبد اللّه بن رواحة. و أن التضارب كان بين رهط ابن رواحة من الأوس، و رهط ابن أبى من الخزرج.

و لكن لا تخلو كلتا الروايتين من الإشكال.

فأولا: إن آية الصلح بين المؤمنين لا يمكن أن تنطبق على الرواية الأولى؛ فإن النزاع فيها كان بين المشركين و المسلمين، و ليس بين طائفتين من المؤمنين. بل لم يظهر من الرواية الثانية كون النزاع كان بين طائفتين من المؤمنين. فإذا جعلنا الروايتين رواية واحدة؛

لتقارب سياقهما و مضمونهما، لم يمكن الإطمئنان إلى صحة كون الآية قد نزلت بهذه المناسبة.

و ثانيا: إن الآية موجودة فى سورة الحجرات، و هى قد نزلت بعد سنوات من الهجرة، لأنها نزلت بعد المجادلة و الأحزاب، التى نزلت فى مناسبة الخندق و غير هما. و تقدم قولهم: إن هذه القضية قد حصلت قبل بدر.

هذا كله عدا عن التنافى بين مضمون كل من الروايتين كما هو ظاهر.

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۶۳/ ۶۴، و الدر المنثور ج ۶ ص ۹۰، عن مسلم، و البخارى، و أحمد، و البيهقى فى سننه، و ابن مردويه، و ابن جرير، و ابن المنذر، و حياة الصحابة ج ۲ ص ۵۷۸/ ۵۷۹ و ۵۶۰، عن البخارى ج ۱ ص ۳۷۰ و ۳ ص ۸۴۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۶۱

و لكن ذلك لا يعنى أن الرواية مختلقة من الأساس؛ فلربما تكون قد حصلت بعد سنوات من الهجرة، بعد نزول سورة الحجرات، و بعد إظهار ابن أبىّ للإسلام؛ و يكون النزاع قد حصل بين طائفتين من المؤمنين.

و بذلك تكون الرواية الثانية هى الأرجح.

اسلام سلمان المحمدى:

و فى السنة الأولى من الهجرة، و يقال: فى جمادى الأولى منها «۱» كان إسلام سلمان المحمدى، المعروف بسلمان الفارسى، حشرنا اللّه معه و فى زمرته، و الذى قال النبى (ص) و غير واحد من الأئمة عنه: سلمان منا أهل البيت «۲».

و كان سلمان قد هاجر من بلاده فى طلب الدين الحق، و تعرض فى هجرته تلك إلى المصائب و المصاعب، حتى ابتلى بالرق، و أعتق على يد النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلّم».

و ملخص ذلك- على ما ذكره الصنعانى: أنه كان فى بلده راهب، فأخذ عنه بعض التعاليم، و علم أهله بالأمر فأخرجوا الراهب من البلد، فخرج معه بالسر عن أهله، فجاء الموصل، فوجد أربعين راهبا، و بعد أشهر ذهب مع أحدهم إلى بيت المقدس، و رأى عبادة الراهب و اجتهاده، ثم ضاع عنه، فسأل عنه ركبا من الأنصار؛ فقالوا: هذا عبد آبق، فأخذوه إلى المدينة، و جعلوه فى حائط لهم. و كان الراهب قد أخبره أن نبيا من العرب سيخرج، لا يأكل الصدقة و يأكل الهدية، و بين كتفيه خاتم النبوة،

---

(۱) راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۵۱.

(۲) راجع: قاموس الرجال ج ۴ ترجمة سلمان الفارسى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۶۲

و أمره باتباعه «۱».

و فى المدينة- و بالذات فى قباء كما يقولون- التقى بالنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلّم»، فقدم إليه رطبا على أنها صدقة، فأبى النبى (ص) أن يأكل منها، و أمر أصحابه فأكلوا، و عدّها سلمان واحدة.

ثم التقى به فى المدينة، فقدم إليه رطبا على أنها هدية، فقبلها و أكل منها، فعدها سلمان ثانية.

ثم التقى به فى بقيع الغرقد و هو فى تشييع جنازة بعض أصحابه، فسلم عليه، ثم استدار خلفه، فكشف النبى (ص) عن ظهره، فرأى خاتم النبوة؛ فانكب عليه يقبله و يبكى، ثم أسلم و أخبره بقصته، و بعد ذلك كاتب سيده، و استمر يعمل من أجل أداء مال الكتابة، و أعانه النبى «صلى اللّه عليه و آله» على ذلك.

و كان أول مشاهده الخندق، ثم شهد ما بعدها من المشاهد. و قال ابن عبد البر: إن أول ما شهده بدر؛ و هو المناسب لمعونة النبى

(ص) له، فراجع فى سيرة سلمان و فضائله كتب الحديث و التراجم «۲» بالإضافة إلى ما كتبناه عنه فى كتابنا: «سلمان الفارسى فى مواجهة التحدى».

ملاحظة:

و يلاحظ هنا: أن سلمان لم يسلم بدافع عاطفى، أو مصلحى؛ و لم يسلم أيضا استجابة لضغوط أو لجو معين، و إنما دخل فى الإسلام عن قناعة فكرية خالصة، و بعد أن سعى من أجل الوصول إلى الدين الحق، و لاقى المصاعب و المتاعب الطويلة فى سبيل ذلك، و ذلك يؤيد فطرية هذا

---

(۱) المصنف للصنعانى ج ۸ ص ۴۱۸. و تفصيل ما لاقاه سلمان من المتاعب و المصاعب فى أسفاره تلك يطلب من كتب الحديث، و التاريخ، و التراجم.

(۲) مثل: قاموس الرجال ج ۴، و الإصابة ج ۲ ص ۶۲ و الإستيعاب، و غير ذلك.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۶۳

الدين، و كونه ينسجم مع أحكام العقل، و مقتضيات الفطرة السليمة. و قد أشرنا إلى ذلك أيضا حين الكلام عن إسلام أبى ذر، فليراجع.

بئر رومة فى صدقات عثمان:

و قد ذكروا فى جملة فضائل عثمان: أنه لما قدم رسول اللّه (ص) المدينة، و ليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة، قال: من يشترى بئر رومة من خالص ماله؛ فيجعل فيها دلوه مع دلاء المسلمين، بخير له منها فى الجنة؟.

فاشتراها عثمان من صلب ماله، و جعل دلوه فيها مع دلاء المسلمين؛ ثم لما حصر عثمان منعوه من الشرب منها حتى شرب ماء البحر.

و للروايات نصوص مختلفة جدا كما سنرى، و سنشير إلى بعض مصادرها فيما يأتى.

و نحن نشك فى صحتها، و ذلك استنادا إلى ما يلى:

أولا: تناقض نصوصها الشديد جدا، حتى إنك لا تجد نصا إلا و يوجد ما ينافيه و يناقضه. و نذكر على سبيل المثال:

إنهم يذكرون أن عثمان قد ناشد الصحابة بقضية بئر رومة، و ذلك حين الثورة عليه؛ فرواية تقول: إنه اطلع عليهم من داره و هو محصور فناشدهم. و أخرى تقول: إنه ناشدهم فى المسجد.

و رواية تقول: إنه اشترى نصفها بمائة بكرة، و النصف الآخر بشيىء يسير. و أخرى تقول: إنه اشتراها بأربعين ألفا. و ثالثة: بخمس و ثلاثين.

و رابعة: إنه اشترى نصفها باثنى عشر ألف درهم، و النصف الآخر بثمانية آلاف.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۶۴

و رواية تقول: إن هذه البئر كانت ليهودى لا يسقى أحدا منها قطرة إلا بثمن. و أخرى: إنها كانت لرجل من مزينة. و ثالثة: لرجل من بنى غفار.

و رواية تقول: إنه اشترى البئر، و أخرى تقول: إنه حفرها.

و الجمع بأنه اشتراها، ثم احتاجت إلى الحفر «۱».

لا يصح، لأنهم يقولون: إن عثمان قال ذلك حين المناشدة، و المناشدة كانت واحدة و لم تتكرر.

و رواية تقول: إنها كانت عينا (أى فيها نبع وسيلان على وجه الأرض) و أخرى تقول: كانت بئرا.

و رواية تقول: إنه اشتراها عند مقدم النبى (ص) و المسلمين المدينة. و أخرى تقول: إنه اشتراها و هو خليفة.

و رواية تقول: إن النبى طلب منه ذلك. و أخرى تقول: إنه (ص) ناشد المسلمين من يشتريها منهم. و ثالثة تقول: إن غفاريا أبى بيعها للنبى بعينين فى الجنة!! فبلغ ذلك عثمان فاشتراها منه بخمسة و ثلاثين ألفا «۲».

---

(۱) هذا الجمع ذكره السمهودى فى وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۷۰.

(۲) راجع فى الروايات و قارن بينها: وفاء الوفاء للسمهودى ج ۳ ص ۶۹۷- ۹۷۱، و سنن النسائى ج ۶ ص ۲۳۵ و ۲۳۶ و ۲۳۴، و منتخب كنز العمال ج ۵ ص ۱۱، و حياة الصحابة ج ۲ ص ۸۹ عن الطبرانى و ابن عساكر، و مسند أحمد ج ۱ ص ۷۵ و ۷۰، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۷۵، و روى ذلك أيضا عن البغوى، و ابن زبالة، و ابن شبة، و الترمذى ص ۶۲۷، و ابن عبد البر، و الحازمى، و ابن حبان، و ابن خزيمة.

و راجع: حلية الأولياء ج ۱ ص ۵۸، و البخارى هامش الفتح ج ۵ ص ۳۰۵، و فتح البارى ج ۵ ص ۳۰۵/ ۳۰۶، و سنن البيهقى ج ۶ ص ۱۶۷ و ۱۶۸، و التراتيب الإدارية ج ۲ ص ۹۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۶۵

و ثمة تناقضات كثيرة أخرى لا مجال لذكرها؛ فمن أراد المزيد فليراجع و ليقارن.

و ثانيا: إن ما ورد فى الرواية- كما عند النسائى و أحمد و الترمذى- من أنه (ص) قدم المدينة و ليس بها ماء يستعذب، لا يصح بوجه، فقد كان فى المدينة آبار كثيرة عذبة، و قد استمر النبى (ص) على الإستقاء و الشرب منها إلى آخر حياته، و منها بئر السقيا، و بئر بضاعة، و بئر جاسوم، و بئر دار أنس التى تفل فيها النبى (ص) فلم يكن فى المدينة بئر أعذب منها «۱»، و غير ذلك من آبار كثيرة لا مجال لذكرها «۲».

و ثالثا: لو صح حديث بئر رومة؛ فلا بد إذن من الإجابة على التساؤلات فى المجالات التالية:

۱- إنه إذا كان عثمان قد قدم من الحبشة جديدا، و لم يكن له مال؛ فمن أين جاء عثمان بالأربعين، أو الخمسة و الثلاثين، أو العشرين ألفا من الدراهم، أو المئة بكرة؟! و متى و كيف اكتسب هذا المال؟!.

۲- و لماذا لا يعين المسلمين فى حرب بدر بشىء من تلك المبالغ الهائلة من الدراهم؟ أو بشىء من تلك البكرات التى أخرج منها مئة من صلب ماله، حسبما تنص عليه الرواية؟!. مع أن المسلمين كانوا فى بدر بأمس الحاجة إلى أقل القليل من ذلك، و كان الإثنان و الثلاثة منهم يعتقبون البعير الواحد، و مع أنه لم يكن معهم إلا فرس واحد، و لم يكن معهم إلا ستة أدرع و ثمانية سيوف، و الباقون يقاتلون بالعصى و جريد النخل، كما سيأتى بيانه مع مصادره.

أم يعقل أن يكون قد بذل كل ما لديه فى بئر رومة حتى أصبح صفر

---

(۱) راجع وفاء الوفاء للسمهودى ج ۳ ص ۹۷۲ و ۹۵۶ و ۹۵۸ و ۹۵۹ و ۹۵۱.

(۲) راجع: المصدر السابق، فصل آبار المدينة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۶۶

اليدين؟!.

أو لماذا لا يطعم المسلمين، و يسدّ حاجاتهم، و يكفيهم معونة الأنصار؟! و لماذا لا يعين النبى نفسه بشىء من ماله، و قد كان يعانى أشد الصعوبات، و لم يتسع الحال عليه و عليهم إلا بعد سنوات من الهجرة؟!

۳- و تقول روايات المناشدة: إنهم قد منعوه من الشرب منها حتى اضطر إلى الشرب من ماء البحر. و هذا عجيب حقا!! فإنه إذا كان

يستطيع الحصول على الماء فلماذا لا يشرب من غيرها من العيون العذبة التى كانت فى المدينة و التى تعد بالعشرات؟!.

كما أن من كان يمنعه من شرب الماء، فإنه لم يكن ليسمح بدخول أى ماء كان إليه، و من أى مصدر كان. و يقولون: إن عمارا أراد أن يدخل إليه روايا ماء؛ فمنعه طلحة «۱» و لم يستطع الحصول على الماء إلا من قبل على الذى أرسل إليه الماء مع أولاده، و عرضهم للأخطار الجسيمة، كما هو معلوم.

و هل يمكن أن نصدق أنه شرب من ماء البحر حقا؟ مع أن البحر يبعد مسافة كبيرة جدا عن المدينة، أم أن ذلك كناية عن شربه للمياه غير العذبة و المالحة؟؟!!.

۴- و إذا كان عثمان قد بذل هذا المال حقا؛ فلماذا لم تنزل فيه و لو آية واحدة تمدح فعله، و تثنى عليه؟! و كيف استحق على أن تنزل فيه آيات حينما تصدق بثلاثة أقراص من شعير، و حينما تصدق بخاتمه، و حينما تصدق بأربعة دراهم، و حين قضية النجوى؟! و هذا عثمان يبذل عشرات الآلاف، و مئة بكرة من الإبل، و لا يذكره اللّه بشىء، و لا يشير له بكلمة و لا بحرف؟! بل إن الرواية التى تنقل هذه الفضيلة الكبرى عنه نراها متناقضة

---

(۱) وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۴۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۶۷

متهافتة، لا تقوى و لا تثبت أمام النقد العلمى الحر و الصريح.

و بعد، لماذا امتنع- كغيره- عن التصدق بدرهم فى آية النجوى، حتى نزل القرآن يلوم الصحابة و هو معهم على إشفاقهم: أن يقدموا بين يدى نجواهم صدقة؟!!.

بئر أريس:

و أخيرا، فلسنا ندرى لماذا اختصت بئر رومة بهذا التعظيم و التبجيل، دون بئر أريس، مع أنها أيضا- كما يدّعون!!- قد أشتراها عثمان؛ و قد اشتراها أيضا من يهودى، و كذلك هو قد تصدق بها «۱»!! باركك اللّه فى آبار عثمان، و ليمت اليهود بغيظهم، فإنهم يملكون الآبار، و يشتريها منهم عثمان، و يتصدق بها، و ينال الأوسمة، و يحصل على الفضائل و الكرامات!!.

حقيقة القضية:

و بعد كل ما تقدم؛ فإن الظاهر أن الصحيح فى القضية هو ما رواه ابن شبة: «عن عدى بن ثابت، قال: أصاب رجل من مزينة بئرا يقال لها:

رومة؛ فذكرت لعثمان بن عفان، و هو خليفة، فابتاعها بثلاثين ألفا من مال المسلمين، و تصدق بها عليهم» «۲».

و قد ضعف السمهودى الرواية بأن فى سندها متروك. و رواها الزبير بن بكار فى عتيقه، وردها بقوله: و ليس هذا بشىء، و ثبت عندنا أن عثمان اشتراها بماله، و تصدق بها على عهد رسول اللّه (ص) «۳».

---

(۱) وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۶۸.

(۲) وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۶۷ عن ابن شبة، و روى ذلك الزبير بن بكار أيضا.

(۳) المصدر السابق.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۶۸

و نقول نحن: لقد ثبت عدم صحة تلك الروايات التى أشار إليها الزبير بن بكار بأى وجه، و لا سيما مع تناقضها، و مع ما تقدم من الإيراد عليها و من وجوه الإشكال فيها، مما لا دافع له.

هذا، عدا عما فى أسانيدها من نقاش كبير و كثير، فوجود المتروك فى سند هذه الرواية لا يضر، ما دامت منسجمة مع الواقع التاريخى، و مع الظروف التى كانت قائمة آنذاك.

و ما دام لا يمكن أن يصح غيرها، فالظاهر: أنها قد حرفت و حورت ليمكن الإستفادة منها فى إثبات فضيلة لعثمان لا يمكن أن تثبت له بدون هذا التحوير و التزوير.

و لكننا لم نفهم قوله: «ابتاعها بثلاثين ألفا من مال المسلمين، و تصدق بها عليهم»؛ فإنها إذا كانت من مالهم، فما معنى الصدقة بها عليهم؟

إلا أن يقال، إن عثمان و الهيئة الحاكمة كانوا يرون أنهم يملكون بيوت الأموال حقا، و قد ذكرنا بعض الشواهد و الدلائل على نظرتهم هذه فى مورد آخر، فراجع «۱».

تأبير النخل:

و يقولون: إن النبى (ص) لما قدم المدينة مرّ بقوم يؤبّرون النخل، أى يلقحونه- أو سمع ضجتهم- فقال: لو لم تفعلوا لصلح، فتركوا تلقيحه، فخرج شيصا «۲»، فمر بهم (أو قيل له) فقال: ما لنخلكم؟ قالوا:

قلت: كذا و كذا.

---

(۱) راجع كتابنا: دراسات و بحوث فى التاريخ و الإسلام، بحث أبو ذر إشتراكى أم شيوعى، أم مسلم.

(۲) الشيص هو: ردىء التمر، و هو الذى لا يشتد نواه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۶۹

قال: أنتم أعلم بأمور دنياكم. أو قال: إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإنى إنما ظننت ظنا، فلا تؤاخذونى بالظن، و لكن إذا حدثتكم عن اللّه شيئا فخذوا به، فإنى لن أكذب على اللّه عز و جل «۱».

و نحن نشك فى صحة ذلك، إذ مضافا إلى الإختلاف الظاهر فى نصوص الرواية، كما يظهر بالمراجعة و المقارنة، لابد أن نسأل:

لماذا يتدخل النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» فيما لا يعنيه، و ما ليس من اختصاصه؟! ألا يعلم: أن الناس يهتمون بكل كلمة تصدر منه، و يرتبون الأثر عليها، و يلتزمون بها؟!.

و لماذا يعرّض الناس إلى هذا الضرر الجسيم؟!.

و من هو المسؤول عن هذه الأضرار التى سببتها مشورته تلك؟!.

ثم إنه كيف يقول ذلك لهم، و هو الذى أمر عبد اللّه بن عمرو بن العاص بأن يكتب عنه كل ما يسمع؛ فإنه لا يخرج من بين شفتيه إلا الحق؟!.

و قد قدمنا الرواية مع مصادرها فى الجزء الأول فلتراجع هناك.

و أيضا لقد كان النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» يعيش فى قلب المنطقة العربية، و قد جاوز الثلاث و خمسين سنة؛ فهل يمكن أن نصدق أنه لم يكن يعرف تأبير النخل و فائدته، و أن النخل لا ينتج بدونه؟ و كيف لم يسمع طيلة عمره المديد شيئا عن ذلك، و هو يعيش بينهم و معهم؟ أو على الأقل بالقرب منهم؟!.

(۱) راجع: صحيح مسلم ج ۷ ص ۹۵، و سنن ابن ماجة ج ۲ ص ۸۲۵، كتاب الرهون باب ۱۵، و مسند أحمد ج ۶ ص ۱۲۳ و ج ۳ ص ۱۵۲، و البرصان و العرجان ص ۲۵۴، و مشكل الآثار ج ۲ ص ۲۹۴، و مشكل الآثار ج ۲ ص ۲۹۴، و كشف الأستار عن مسند البزار ج ۱ ص ۱۱۲، و مسند أبى يعلى ج ۶ ص ۲۳۸ و ۱۹۸، و صحيح ابن حبان ط مؤسسة الرسالة ج ۱ ص ۲۰۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۷۰

و أخيرا، هل صحيح: أنه ليس على الناس أن يطيعوه فى أمور دنياهم؟! و أنه إنما كان يقول برأيه فيها؟!. و هل صحيح: أن الإسلام يفصل بين الدين و الدنيا؟ و أن مصبّ اهتماماته هو ما عدا أمور دنياهم؟! أليس هذا بهتانا على الإسلام و افتراء عليه؟!! ألا يتنافى ذلك مع القرآن و السنة، و مع الإسلام بمجموعه؟!.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۷۱

الفصل الثالث: أعمال تأسيسة فى مطلع الهجرة

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۷۳

بداية:

اشارة

و فور وصوله «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» إلى المدينة، باشر بالقيام بأعمال تأسيسية، ترتبط بمستقبل الدعوة الإسلامية، و هى كثيرة و متنوعة، و لكننا نكتفى هنا بالإشارة إلى ما يلى:

۱- صلاة الجمعة.

۲- تأسيس مسجد قباء.

و قد تحدّثنا عنهما فيما سبق.

۳- بناء المسجد فى المدينة، و لسوف نتحدث عنه فى فصل مستقل.

۴- وضع التاريخ الهجرى، و قد خصصنا له فصلا مستقلا أيضا.

۵- المؤاخاة.

۶- تحديد نوع و مستقبل العلاقات بين المسلمين، و بينهم و بين غيرهم.

۷- موادعة اليهود الذين يعيشون فى المنطقة.

و هذه الاشياء الأخيرة أيضا قد تحدثنا عنها فى فصل على حدة و نبدأ بالحديث عن التاريخ الهجرى، فنقول:

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۷۴

التاريخ الهجرى أولا:

اشارة

إن ضبط الأحداث، و المعاملات، و غير ذلك من الشؤون لهو من الأمور التى لابد منها فى قيام أية حضارة تريد أن تهيمن على شعب أو أمة، و تقود مسيرتها نحو الأهداف التى تتوخاها.

فكيف إذا كانت هذه الحضارة تحظى بالرعاية الإلهية، و برضى البارى جل و علا، و تريد أن تهيمن على مسيرة الانسانية جمعاء فى مختلف الأحوال و الشؤون، و على مر الاحقاب و القرون ..

و من هنا، فإنه يصبح من البديهى أن يكون من جملة المبادرات الأولى لنبى الاسلام هو وضع التاريخ. تماما كما كان من أولى اهتماماته بناء المسجد كما سنرى إن شاء اللّه تعالى ..

و لكن ما يؤسف له هو أن ثمة يدا تحاول- أو فقل قد حاولت- التعتيم على هذا الحدث الهام، فكان لابد من بحث هذا الحدث. فى الناحية التاريخية، و لسوف يثبت لنا الدليل العلمى بصورة قاطعة أن الرسول الاكرم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» هو الذى وضع هذا التاريخ، و أرخ به فى اكثر من مرة، و أكثر من مناسبة.

فإلى ما يلى من مطالب لنعرف:

من هو أول من أرخ بالهجرة النبوية.

فنقول:

يقول المؤرخون: إن أول من أرّخ بالهجرة النبويّة، هو الخليفة الثانى عمر بن الخطاب. و أكثرهم يذكر: أن إختياره الهجرة مبدأ للتاريخ، كان بإشارة على بن أبى طالب صلوات اللّه و سلامه عليه «۱».

---

(۱) راجع: تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص ۷۶، و الكامل لابن الأثير ط

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۷۵

و بعض منهم يقول: إن المشير عليه بذلك ليس عليا فقط، بل معه بعض الصحابة أيضا «۱»

و ثالث يروى: إشارة بعض الصحابة على عمر بذلك، و لكنه لا يصرّح بإسم المشير «۲».

و بعض رابع: يسكت عن ذكر الإشارة، و يكتفى بذكر: أنه أول من أرّخ بالهجرة «۳».

صادر ج ۲ ص ۵۲۶، و تاريخ اليعقوبى ط صادر ج ۲ ص ۱۴۵، و التنبيه و الإشراف ص ۲۵۲، و محاضرة الأوائل ص ۲۸، و تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ۱ ص ۲۳، و فتح البارى ج ۷ ص ۲۰۹، و تاريخ الخلفاء ص ۱۳۲ و ۱۳۶ و ۲۳ و ص ۱۳۸ عن البخارى فى تاريخه، و البحار ج ۵۸ ص ۳۵۰- ۳۵۱ بعد تصحيح أرقام صفحاته و ج ۴۰ ص ۲۱۸، و سفينة البحار ج ۲ ص ۶۴۱، و المناقب لابن شهر آشوب ج ۲ ص ۱۴۴، عن الطبرى و مجاهد فى تاريخيهما، و الإعلان بالتوبيخ ص ۸۰ و ۸۱ و على و الخلفاء ص ۱۳۹- ۱۴۱، و إحقاق الحق ج ۸ ص ۲۲۰ عن الوسائل للسيوطى ص ۱۲۹، و محاضرة الأوائل ص ۲۸، و سيأتى جانب من المصادر لذلك فيما يأتى.

(۱) البداية و النهاية ج ۷ ص ۷۴ و الوزراء و الكتاب ص ۲۰، و مآثر الإنافة ج ۳ ص ۳۳۶.

(۲) صبح الأعشى ج ۶ ص ۲۴۱ و مآثر الإنافة ج ۳ ص ۳۶ و فتح البارى ج ۷ ص ۲۰۹، و الكامل لابن الأثير ج ۱ ص ۱۰ ط صادر.

(۳) الإستيعاب هامش الإصابة ج ۲ ص ۴۶۰، و المحاسن و المساوى ج ۲ ص ۶۸، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۳۸ و ج ۲ ص ۲۴۱، و تهذيب التهذيب ج ۷ ص ۴۴۰ و مآثر الإنافة ج ۱ ص ۹۲ و تحفة الناظرين للشرقاوى هامش فتوح الشام ج ۲ ص ۶۲، وصفة الصفوة ج ۱ ص ۲۷۶ و طبقات ابن سعد ج ۳ قسم ۱ ص ۲۰۲، و تاريخ ابن الوردى ج ۱ ص ۱۴۵، و الأوائل للعسكرى ج ۱ ص ۲۲۳، و تاريخ الطبرى ج ۳ ص ۲۷۷، و محاضرات الراغب ج ۱ ص ۱۰۵، و الأنس الجليل ج ۱ ص ۱۸۸، و الأعلاق النفيسة ص ۱۹۹، و البحار

ج ۵۸ ص ۳۴۹ و ۳۵۰، و راجع: الإعلان بالتوبيخ ص ۷۹ و نفس الرحمان ص ۴۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۷۶

الحكاية كما يرويها المؤرخون:

و يحكون السبب فى وضع التاريخ على أنحاء مختلفة، و نختار هنا النصّ الذى ذكره ابن كثير، و قد وضعناه بين قوسين، و أشرنا خلاله إلى مصادر بعض التوضيحات. فنقول:

قال ابن كثير: «قال الواقدى: و فى ربيع الأول من هذه السنة- أعنى سنة ست عشرة أو سبع عشرة أو ثمان عشرة «۱»- كتب عمر بن الخطاب التاريخ، و هو أول من كتبه. قلت: قد ذكرنا سببه فى سيرة عمر، و ذلك أنه رفع إلى عمر صك مكتوب لرجل على آخر بدين، يحلّ عليه فى شعبان، فقال: أى شعبان؟ أمن هذه السنة، أم التى قبلها، أم التى بعدها؟.

ثم جمع الناس (أى أصحاب النبى (ص)) فقال: ضعوا للناس شيئا يعرفون به حلول ديونهم، فيقال: إنهم أراد بعضهم (الهرمزان) «۲»: أن يؤرخوا كما تؤرّخ الفرس بملوكهم، كلما هلك ملك أرّخوا من تاريخ ولايه الذى بعده، فكرهوا ذلك.

و منهم من قال (و هم بعض مسلمى اليهود «۳»): أرّخوا بتاريخ الروم،

---

(۱) الوزراء و الكتاب ص ۲۰، و البداية و النهاية ج ۳ ص ۲۰۶ و ۲۰۷.

(۲) صبح الأعشى ج ۶ ص ۲۴۱ عن تاريخ أبى الفداء، و قد ذكر: أن عمر قد أرسل إليه فاستشاره، و ليراجع أيضا: البحار ج ۵۸ ص ۳۴۹ و ۳۵۰ بعد تصحيح أرقام صفحاته، و سفينة البحار ج ۲ ص ۶۴۱، و تاريخ ابن الوردى ج ۱ ص ۱۴۵ و الأنس الجليل فى أخبار القدس و الخليل ج ۱ ص ۱۸۷ و الخطط للمقريزى ج ۱ ص ۲۸۴ و فيه: أن عمر استدعاه.

(۳) الإعلان بالتوبيخ ص ۸۱، و البحار ج ۵۸ ص ۳۵۰ و فى نزهة الجليس ج ۱ ص ۲۲ عن تاريخ ابن عساكر: أن النصارى كانوا يؤرخون بتاريخ الأسكندر.

أقول: فأين كان التاريخ الميلادى إذن؟ و متى ظهر؟

الجواب: إنه ظهر فى هذه القرون الأخيرة كما سيأتى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۷۷

من زمان إسكندر، فكرهوا ذلك لطوله أيضا. و قال قائلون: أرّخوا من مولد رسول اللّه (ص).

و قال آخرون: من مبعثه.

و أشار علىّ بن أبى طالب (ع) و آخرون: «أن يؤرّخ من هجرته إلى المدينة، لظهوره لكل أحد، فإنه أظهر من المولد، و المبعث، فاستحسن عمر ذلك و الصحابة، فأمر عمر: أن يؤرّخ من هجرة رسول اللّه (ص)» «۱».

و روى عن سعيد بن المسّيب: أنه قال: «جمع عمر الناس فسألهم:

من أى يوم يكتب التاريخ؟ فقال على بن أبى طالب (ع): من يوم هاجر رسول اللّه (ص) و ترك أرض الشرك، ففعله عمر رضى اللّه عنه. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد، و لم يخرجاه» «۲».

---

(۱) راجع جميع ما تقدم فى البداية و النهاية ج ۷ ص ۷۳ و ۷۴ و ليراجع أيضا ج ۳ ص ۳۰۶، و تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص ۷۵ و ۷۶، و تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ۱ ص ۲۲ و ۲۳، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۲ ص ۷۴، و على و الخلفاء ص ۲۴۰ عنه ملخصا. و ليراجع أيضا: الإعلان بالتوبيخ ص ۸۰ و ۸۱، و منتخب كنز العمال، هامش مسند أحمد ج ۴ ص ۶۷، و الكامل لابن الأثير ج

۱ ص ۱۰ ط صادر، و كنز العمال ج ۱۰ ص ۱۹۵ عن المستدرك، و عن البخارى فى الأدب، و راجع ص ۱۹۳ عن ابن أبى خيثمة.
و ذكر فى البحار ج ۵۸ ص ۳۴۹ بعد تصحيح أرقام صفحاته، و نزهة الجليس ج ۱ ص ۲۱، و الطبرى ط دار المعارف بمصر ج ۲ ص ۳۸۸، و الوزراء و الكتاب ص ۲۰، و الإعلان بالتوبيخ ص ۷۹، و منتخب الكنز هامش مسند أحمد ج ۴ ص ۶۷، و فتح البارى ج ۷ ص ۲۰۹، و صبح الأعشى ج ۶ ص ۲۴۱ عن ابن حاجب النعمان فى ذخيرة الكتاب: أن أبا موسى كتب إلى عمر أنه يأتينا من قبلك كتب لا نعرف نعمل فيها قد قرأنا صكا محله شعبان فما ندرى أى الشعبانين هو: الماضى؟ أو الآتى؟ فجمع الصحابة إلخ ما فى المتن. و ليراجع أيضا: الأوائل لأبى هلال العسكرى ج ۱ ص ۲۲۳، و الكامل لابن الأثير ج ۱ ص ۱۰.
(۲) مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۱۴، و تلخيص المستدرك للذهبى هامش الصفحة ذاتها
الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۷۸
و قال اليعقوبى فى حوادث سنة ۱۶ ه: «و فيها أرّخ الكتب، و أراد أن يكتب التاريخ منذ مولد رسول اللّه (ص)، ثم قال: من المبعث، فأشار عليه على بن أبى طالب (ع): أن يكتبه من الهجرة» «۱».
إلى غير ذلك من النصوص، التى تؤكد على أن عمر هو أول من وضع التاريخ الهجرى الإسلامى.

الرأى الأمثل:

و لكننا بدورنا نشك كثيرا فى صحة هذا القول، و نعتقد أن التاريخ الهجرىّ قد وضع من زمن النبى (ص)، و قد أرّخ به النبى (ص) نفسه أكثر من مرة، و فى أكثر من مناسبة.
و ما حدث فى زمن عمر هو فقط: جعل مبدأ السنة شهر محرم بدلا من ربيع الأول كما أشار إليه الصاحب بن عباد «۲».
و قد اختلفوا فى ذلك أيضا، فقال بعضهم: إنهم جعلوا مبدأ السنة الهجريّة محرّم السنة الأولى، و هو ما ذهب إليه الجمهور، و بعضهم إلى أنهم جعلوا محرّم السنة الثانية مبدأ للسنة الهجريّة، و ألغوا ما قبله، و هو ما

و صححه أيضا، و الإعلان بالتوبيخ ص ۸۰، و فتح البارى ج ۷ ص ۲۰۹، و الطبرى ط المعارف ج ۲ ص ۳۹۱، و ج ۳ ص ۱۴۴، و تاريخ عمر بن الخطاب ص ۷۶، و تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ۱ ص ۲۳، و منتخب كنز العمال هامش المسند ج ۴ ص ۶۷، و على و الخلفاء ص ۲۳۹ و ۲۴۰، و كنز العمال ج ۱۰ ص ۱۹۳ و ۱۹۲، و إحقاق الحق ج ۸ ص ۲۱۹ عن ابن عساكر، و المقريزى فى كتاب الخطط و الآثار ج ۱ ص ۲۸۴، و الشماريخ للسيوطى ص ۴ ط ليدن، و التاريخ الكبير للبخارى ج ۱ ص ۹، و الكامل ج ۱ ص ۱۰ ط صادر.
(۱) تاريخ اليعقوبى ط صادر ج ۲ ص ۱۴۵.
(۲) عنوان المعارف و ذكر الخلائف ص ۱۱.
الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۷۹
حكاه البيهقى، و به قال يعقوب بن سفيان الفسوى، فراجع «۱».

من المشير بمحرّم:

أما من الذى أشار بمحرّم بدلا من ربيع الأول، فقد اختلفت الروايات فى ذلك أيضا فيقال: إن ذلك كان بإشارة عثمان بن عفان «۲».
و قيل: بل ذلك هو رأى عمر نفسه «۳». و بعضهم قال: إن عبد الرحمان بن عوف قد أشار بشهر رجب، فأشار علىّ (ع) فى مقابل ذلك بشهر محرّم، فقبل منه «۴». و يقول آخرون: إن عمر إبتدأ من المحرّم، بعد إشارة على (ع) و عثمان بذلك «۵».

و فريق آخر يقول: «فاستفدنا من مجموع هذه الآثار: أن الذى أشار بالمحرّم عمر، و عثمان، و علىّ (ع)» «۶». و يفهم من كلام العسكرىّ: أن عمر هو الذى أرتأى جعل محرّم أول السنة، لتكون الأشهر الحرم فى سنة

---

(۱) البداية و النهاية ج ۳ ص ۹۴.

(۲) نزهة الجليس ج ۱ ص ۲۱، و فتح البارى ج ۷ ص ۲۰۹، و الإعلان بالتوبيخ ص ۸۰، و منتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج ۴ ص ۶۷، و الشماريخ ص ۱۰ ط سنة ۱۹۷۱، و كنز العمال ج ۱۷ ص ۱۴۵ عن ابن عساكر و ج ۱۰ ص ۱۹۳ عن أبى خيثمة فى تاريخه.

(۳) الإعلان بالتوبيخ ص ۷۹، و ليراجع الوزراء و الكتاب ص ۲۰، و فتح البارى ج ۷ ص ۲۰۹، و مآثر الإنافة ج ۳ ص ۳۳۷.

(۴) الإعلان بالتوبيخ ص ۸۱ ط القاهرة. و قال ص ۸۲: إن الديلمى فى الفردوس، و ولده قد رويا ذلك عن على. و إحقاق الحق ج ۸ ص ۲۲۰ عن الإعلان.

(۵) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۳۸، و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۴۸.

(۶) الإعلان بالتوبيخ لمن يذم التاريخ ص ۸۰، و إرشاد السارى ج ۶ ص ۲۳۴، و فتح البارى ج ۷ ص ۲۰۹- ۲۱۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۸۰

واحدة «۱».

و لكننا نستبعد كثيرا: أن يكون على (ع) قد أشار بترك ربيع الأول، و الأخذ بشهر محرّم، الذى كان أول السنة عند العرب «۲» بل نكاد نجزم بخلافه، و أنه (ع) كان مصّرا على شهر ربيع الأول مدة حياته صلوات اللّه و سلامه عليه.

و لم يكن ذلك رأيه وحده، بل كان رأى جمع كبير من المسلمين الأبرار، و الصحابة الأخيار. و نستند فى ذلك إلى النقاط التالية، فإنها تدلّ بمجموعها على ذلك.

۱- قد تقدم أنه «عليه السلام» قد أشار عليهم بأن يكتبوا التاريخ من «يوم هاجر»، أو من «يوم ترك النبى (ص) أرض الشرك» كما هو صريح رواية ابن المسيب المتقدمة، و إنما كان ذلك فى شهر ربيع الأول كما هو معلوم.

۲- لقد جاء فيما كتبه على «عليه السلام» على عهد أهل نجران العبارة التالية: «و كتب عبد اللّه «۳» بن أبى رافع، لعشر خلون من جمادى الآخرة، سنة سبع و ثلاثين، منذ ولج رسول (ص) المدينة» «۴».

و إنما ولجها رسول اللّه (ص) فى شهر ربيع الأول كما هو واضح.

هذا بالنسبة لعلى (ع).

و أما بالنسبة لسائر الصحابة، فنذكر:

---

(۱) الأوائل ج ۱ ص ۲۲۳.

(۲) البداية و النهاية ج ۳ ص ۲۰۷، و البحار ج ۵۸.

(۳) الظاهر أنه: عبيد اللّه.

(۴) الخراج لأبى يوسف ص ۸۱، و جمهرة رسائل العرب ج ۱ ص ۸۲ رقم ۵۳ عنه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۸۱

۱- أن مالك بن أنس على ما حكاه السهيلى، و غيره، يقول: «أول السنة الإسلامية ربيع الأول، لأنه الشهر الذى هاجر فيه رسول اللّه (ص)» «۱».

۲- و نقل عن الأصمعى قوله: إنهم «إنما أرّخوا من ربيع الأول شهر الهجرة» «۲» و كذا عن الزهرى.

۳- و قال الجهشيارى: «روى فى خبر شاذ: أن رسول اللّه (ص) لمّا ورد المدينة مهاجرا من مكة يوم الإثنين لإثنى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة أربع عشرة من حين نبّىء، أمر بالتاريخ» «۳».

و سيأتى قوله (ص) يقتل الحسين على رأس ستين من مهاجرى.

و ثمة روايات أخرى قريبة من هذا المضمون تدلّ على أن رأس السنة الهجريّة قد كان شهر ربيع الأول، لأن الحسين إنما قتل سنة إحدى و ستين على تقدير كون أول السنة هو محرّم، و هو فى أواخر سنة ستين على تقدير كون أول السنة هو ربيع الأول.

۴- و سيأتى أيضا: أن الصاحب بن عباد و غيره يقولون: إن أول السنة كان ربيع الأول، ثم ردّ إلى محرّم.

۵- عن سهل بن سعد قال: أخطأ الناس فى العدد، ما عدّوا من مبعثه، و لا من وفاته، إنما عدّوا من مقدمه المدينة «۴».

۶- و كان الصحابة- و تبعهم المؤرخون كما سيأتى- يعدّون بالأشهر من مهاجره (ص) الذى هو شهر ربيع الأول، إلى أواسط السنة الخامسة

---

(۱) البداية و النهاية ج ۳ ص ۲۰۷، و أشار إليه أيضا فى ج ۴ ص ۹۴.

(۲) الإعلان بالتوبيخ لمن يذم التاريخ ص ۷۸.

(۳) الوزراء و الكتاب ص ۲۰.

(۴) الخطط للمقريزى ج ۱ ص ۱۸۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۸۲

للهجرة.

فما تقدم يدلّ على أن عليا (ع) ليس فقط لم يشر على عمر بشهر محرّم، بل كان من المصرّين على أن يبقى أول السنة هو شهر ربيع الأول، الذى خرج النبى (ص) من مكة، أو من الغار، أو ولج المدينة فى أول يوم منه، شأنه صلوات اللّه و سلامه عليه شأن كثيرين ممن لم يرضوا بمثل هذا التغيير، لكنهم غلبوا على أمرهم.

و لا يفوتنا أخيرا التنبيه: على أن جعل على (ع) اليوم الذى ولج فيه النبى (ص) المدينة مبدأ للتاريخ، ربما يؤيد قول من قال: إنه (ص) دخلها فى أول يوم من ربيع الأول.

و سيأتى بعض الكلام أيضا فى ذلك، و إن لم يكن هو محط نظرنا فى هذا البحث.

فإن ما يهمنا هنا: هو البحث عن أول من أرّخ بالسنة الهجريّة.

و قد قلنا: إننا نعتقد: أن النبى (ص) كان أول من أرّخ بالهجرة.

الموافقون على هذا الرأى:

و إننا و إن كنا لا نرى كثيرين يوافقوننا على هذا الرأى، و نرى بعضهم يتردد فى إصدار حكم جازم فى ذلك، و بعضهم ربما يظهر منه الميل إلى الرأى الشائع، إلا- إن مردّ ذلك كله إلى عدم إطلاعهم على النصوص الكافية للجزم بالأمر، و تكوين قناعة تقاوم ما يرونه قد اشتهر و ذاع على ألسنة الرواة و المؤرخين.

و مهما يكن من أمر، فنذكر ممن وافقنا على ما نذهب إليه: السيّد عباس المكىّ فى نزهة الجليس، كما سيأتى، و نقله السيوطى عن ابن القماح، عن ابن الصلاح، عن أبى مجمش الزيادى، كما سيأتى أيضا.

أما صاحب المواهب فقد قال: «و أمر (ص) بالتاريخ، و كتب من حين

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۸۳

الهجرة.

قال الزرقانى: رواه الحاكم فى الاكليل عن الزهرى مفصلا.

و المشهور خلافه، و أن ذلك فى زمان عمر، كما قال الحافظ» «۱».

و نقل ذلك عن الأصعمى، و غيره أيضا كما سيأتى.

و قال الصاحب بن عباد: «و دخل المدينة يوم الإثنين لإثنى عشرة خلت من ربيع الأول، و كان التاريخ من ذلك، ثم ردّ إلى المحرّم» «۲».

و قال ابن عساكر: «و هذا أصوب» ثم أيدّه السيوطى ببعض ما يأتى «۳». و قال السيد على خان، بعد ذكره عهد النبى (ص) لسلمان الفارسى الآتى: «يستفاد من هذا العهد: أن التاريخ كان من زمن النبى (ص)، و هو خلاف المشهور من أن التاريخ بالهجرة إنما وضعه عمر بن الخطاب فى أيام خلافته» «۴».

و قال القسطلانى: «و أمر (ص) بالتاريخ فكتب من حين الهجرة، و قيل إن عمر أول من أرّخ و جعله من المحرّم» «۵».

و قال مغلطاى: «و أمر عليه الصلاة و السلام» بالتاريخ، فكتب من حين الهجرة. قال ابن الجزّار: و يعرف بعام الإذن. و قيل إن عمر (رض) أول من أرّخ و جعله من المحرّم» «۶».

هذا و قد سميّت كل سنة من السنين العشر بإسم خاص، و العام

---

(۱) التراتيب الإدارية ج ۱ ص ۱۸۱، و ليراجع المواهب اللدنية ج ۱ ص ۶۷.

(۲) عنوان المعارف و ذكر الخلائف ص ۱۱.

(۳) الشماريخ فى علم التاريخ للسيوطى ج ۱۰ ط سنة ۱۹۷۱.

(۴) الدرجات الرفيعة ص ۲۰۷.

(۵) المواهب اللدنية ج ۱ ص ۶۷.

(۶) سيرة مغلطاى ص ۳۵- ۳۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۸۴

الأول أطلق عليه: عام الأذن «۱» فراجع.

قال ابن شهر آشوب: «قال الطبرى و مجاهد فى تاريخيهما: جمع عمر بن الخطاب الناس يسألهم من أى يوم نكتب؟ فقال على (ع): من يوم هاجر رسول اللّه و نزل (ترك ظ) أهل الشرك.

فكأنه أشار: أن لا تبتدعوا بدعة، و تؤرّخوا كما كانوا يكتبون فى زمان رسول اللّه؛ لأنه قدم النبى (ص) المدينة فى شهر ربيع الأول أمر بالتاريخ، فكانوا يؤرّخون بالشهر و الشهرين من مقدمه إلى أن تمت له سنة. ذكره التاريخى عن ابن شهاب» «۲».

كما أن المجلسى رحمه اللّه قد قال بهذا القول، و رأى: «أن جعل مبدأ التاريخ من الهجرة مأخوذ من جبرئيل (ع) و مستند إلى الوحى السماوى، و منسوب إلى الخبر النبوى» «۳».

كلام السهيلى:

أما السهيلى، فهو يصّير على أن التاريخ الهجرى قد نزل به القرآن، و يقول ما ملخصه: إن اتفاق الصحابة على جعل الهجرة مبدأ للتاريخ، إن كان مستندا إلى استفادتهم ذلك من القرآن، فنعم الاستفادة هى، و ذلك هو الظن بهم. و إن كان اجتهادا و رأيا منهم، فهو أيضا نعم الاجتهاد و الرأى، أشار القرآن إلى صحته من قبل أن يفعلوا.

فإن قوله تعالى: لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ

---

(۱) نفس الرحمن ص ۴۴، و راجع: الإعلان بالتوبيخ ص ۸۲.

(۲) المناقب ج ۲ ص ۱۴۴، و راجع: البحار ج ۴۰ ص ۲۱۸، و راجع: على و الخلفاء ص ۲۴۱.

(۳) راجع: البحار (ط مؤسسة الوفاء) ج ۵۵ ص ۳۵۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۸۵

تَقُومَ فِيهِ «۱». قد علم: أنه ليس المقصود منه: أول الأيام كلها؛ كما أنه لا يوجد لفظ ظاهر، أضيف إليه لفظ: يوم، فتعيّن إضافته إلى مضمر، و لا يعقل قول القائل: فعلته أول يوم، إلا بالإضافة إلى عام، أو شهر، أو تاريخ معلوم.

و لا قرينة هنا، لا حالية و لا مقالية، تدلّ إلا على تقدير: «من أول يوم حلول النبى (ص) المدينة». و هو أول يوم من التاريخ.

و قول بعض النحاة: لا بد من تقدير: «من تأسيس أول يوم»، لأن (من) لا تدخل على الزمان.

لا يصحّ، لأنه حتى على هذا لابد من تقدير الزمان أيضا، فيقال:

«من وقت تأسيس»، فاضمار كلمة تأسيس لا يفيد شيئا. هذا بالإضافة إلى أن كلمة (من) تدخل على الزمان، و على غيره، قال تعالى: مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ. إنتهى كلام السهيلى ملخصا «۲».

و قال الكتانى ما ملخصه: و قد عقب الحافظ فى فتح البارى على كلام السهيلى هذا بقوله: كذا قال، و المتبادر أن معنى قوله: من أول يوم، أى دخل النبى (ص) و أصحابه المدينة «۳».

لكن ابن منير يرى: أن كلام السهيلى هذا تكلّف و تعسّف، و خروج عن تقدير الأقدمين الذين قدروه: «من تأسيس أول يوم» أى من أول يوم وقع فيه التأسيس، و هذا ما تقتضيه العربية، و تشهد له القواعد.

---

(۱) التوبة الآية/ ۱۰۸.

(۲) الروض الأنف ج ۲ ص ۲۴۶ ط سنة ۱۹۷۲، و إرشاد السارى ج ۶ ص ۲۳۴ عنه، و فتح البارى ج ۷ ص ۲۰۸- ۲۰۹ عنه أيضا، و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۴۸.

و أشار إليه فى البداية و النهاية ج ۳ ص ۲۰۷.

(۳) ليراجع فتح البارى ج ۷ ص ۲۰۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۸۶

قال الكتانى: قلت: كلام السهيلى ظاهر المأخذ، فتأمله بإنصاف ترى أنه الحق، و لذا اقتصر عليه معجبا به شهاب الدين الخفاجى، فى عناية القاضى، و كفاية القاضى، إلى آخر كلامه «۱» ..

و قال ياقوت الحموى: «إن قوله من أول يوم يقتضى مسجد قباء، لأن تأسيسه كان فى أول يوم من حلول رسول اللّه (ص) دار هجرته، و هو أول التاريخ للهجرة المباركة، و لعلم اللّه تعالى بأن ذلك اليوم سيكون أول يوم من التاريخ سماه أول يوم أرّخ فيه، فى قول بعض الفضلاء. و قد قال بعضهم: إن ها هنا حذف مضاف، تقديره: تأسيس أول يوم، و الأول أحسن» «۲». الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۴ ۱۸۶ كلام السهيلى: ..... ص : ۱۸۴

هذا، و يلاحظ: أنه نقل عن ابن عباس فى تفسير الآية المذكورة نفس ما تقدم عن السهيلى فراجع «۳».

و إذا صحّ كلام هؤلاء، فمن المناسب أن يبادر النبى (ص) نفسه قبل كل أحد إلى العمل بمقتضى الآية، و هو ما حصل فعلا، كما سنرى. و إذا قيل: ما ذكره هؤلاء- السهيلى و غيره- بعيد فى بادىء الرأى. فإننا نقول:

هو على الأقل من المحتملات فى معنى الآية الشريفة، و إن لم يكن متعينا، و نحن إنما ذكرناه إستئناسا به و تأييدا، لا لنستدل به، و نستند إليه.

ما نستند إليه:

أما ما نستند إليه فى إعتقادنا: أن النبى (ص) هو أول من أرّخ بالهجرة، فهو الأمور التالية:

---

(۱) التراتيب الإدارية المسمى ب: نظام الحكومة النبوية ج ۱ ص ۱۸۱- ۱۸۲.

(۲) معجم البلدان ج ۵ ص ۱۲۴.

(۳) تنوير المقباس هامش الدر المنثور ج ۲ ص ۲۲۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۸۷

۱- ما روى عن الزهرى: من أن رسول اللّه (ص) لمّا قدم المدينة مهاجرا أمر بالتاريخ، فكتب فى ربيع الأول «۱».

و فى رواية أخرى عن الزهرى قال: التاريخ من يوم قدم النبى (ص) مهاجرا «۲».

قال القلقشندى: «و على هذا يكون إبتداء التاريخ عام الهجرة» «۳» و تقدمت و ستأتى كلمات غيره فى ذلك.

و لكن البعض قد وصف هذا الحديث بأنه: خبر معضل، و المشهور خلافه «۴». و لعله هو الذى وصفه الجهشيارى بأنه خبر شاذ «۵» و يقرب منه كلام غيره «۶».

---

(۱) فتح البارى ج ۷ ص ۲۰۸، و إرشاد السارى ج ۶ ص ۲۳۳، و التنبيه و الاشراف ص ۲۵۲، و تاريخ الطبرى ط دار المعارف ج ۲ ص ۳۸۸، و نزهة الجليس ج ۱ ص ۲۱، و مناقب آل أبى طالب ج ۲ ص ۱۴۲، و البحار ج ۴۰ ص ۲۱۸ عنه، و على و الخلفاء ص ۲۴۱ عن البحار، و صبح الأعشى ج ۶ ص ۲۴۰، و التراتيب الإدارية ج ۱ ص ۱۸۰، و حكاه الأخيران عن النحاس فى صناعة الكتاب، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۳۸، و الشماريخ فى علم التاريخ ص ۱۰ ط سنة ۱۹۷۱ عن ابن عساكر عن يعقوب بن سفيان، و وفاء الوفاء للسمهودى ج ۱ ص ۲۴۸، و المواهب و الزرقانى و غيرهم حكوه عن الحاكم فى الأكليل مفصلا، و الكامل لابن الأثير ج ۱ ص ۱۰ صادر، و فى المواهب اللدنية ج ۱ ص ۶۷: ذكر ذلك من دون أن ينسبه إلى الزهرى و راجع الإعلان بالتوبيخ ص ۷۸.

(۲) الشماريخ فى علم التاريخ ص ۱۰.

(۳) صبح الأعشى ج ۶ ص ۲۴۰.

(۴) فتح البارى ج ۷ ص ۲۰۸، و إرشاد السارى ج ۶ ص ۲۳۳ عنه، و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۴۸.

(۵) الوزراء و الكتاب ص ۲۰.

(۶) الإعلان بالتوبيخ ص ۷۸، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۳۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۸۸

أما المسعودى فقد أورد عليه: بأنه خبر مجتنب من حيث الآحاد، و مرسل من عند من لا يرى قبول المراسيل، و إن ما حكاه أولا من أن عمر هو الذى أرّخ بالهجرة، بإشارة علىّ (ع) هو المتفق عليه، إذ كان ليس فى هذا الخبر وقت معلوم أرّخ به، و نقل كيفية ذلك «۱».

لكن إيراد المسعودى و غيره لا يرد على خبر الزهرى، لأن إرساله- لو سلم- و كونه خبر واحد لا يصحح اجتنابه، بل لابد من الأخذ به، حتى ممن لا يرى قبول المراسيل، و ذلك لوجود روايات و أدلّة أخرى فى المقام تدلّ على ذلك، كما سنرى «۲».

۲- ما رواه الحاكم، و صححه، عن عبد اللّه بن عباس، أنه قال:

كان التاريخ فى السنة التى قدم فيها رسول اللّه (ص) المدينة، و فيها ولد

---

(۱) التنبيه و الإشراف ص ۲۵۲.

(۲) و للزهرى رواية أخرى تدل على أن التاريخ كان من زمن النبى (ص) ففى تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ۱ ص ۲۱: أن الزهرى قال: «إن قريشا كانوا يعدون بين الفيل و الفجار أربعين سنة، و كانوا يعدون بين الفجار و بين وفاة هشام بن المغيرة ست سنين، و بين وفاته و بين بنيان الكعبة تسع سنين، و بينهما و بين أن خرج رسول اللّه (ص) إلى المدينة خمس عشرة سنة، منها خمس سنين قبل أن يوحى إليه ثم كان العدد. يعنى: بعد التاريخ» فيظهر من هذه العبارة الأخيرة: أنهم أعرضوا عن السابق و بدأوا يؤرخون بالهجرة.

لكن يبقى فى الرواية إشكال، و هو أن المعروف: هو أن بين الفيل و الفجار عشرين سنة لا أربعين كما صرح به الطبرى ج ۲، و البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۶۱، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۱۹۶، و ابن الأثير و المسعودى.

لكن قول الزهرى: أن النبى (ص) قد ولد بعد عام الفيل بثلاثين سنة، كما نقله عنه فى البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۶۲، يدل على أن الزهرى قد تفرد بالقول بأن بين الفجار و الفيل أربعين سنة مخالفا بذلك المعروف و المشهور. لكن كل ذلك لا يضر فى دلالة كلامه على ما نقول كما لا يخفى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۸۹

عبد اللّه بن الزبير «۱».

۳- قال السخاوى: «و أما أول من أرّخ التاريخ، فاختلف فيه، فروى ابن عساكر فى تاريخ دمشق عن أنس، قال: كان التاريخ من مقدم رسول اللّه (ص) المدينة. و كذا قال الأصمعى: إنما أرّخوا من ربيع الأول شهر الهجرة» «۲». ثم ذكر رواية الزهرى المتقدمة.

و ذلك يدل على أن واضع التاريخ ليس هو عمر؛ لأن عمر قد أرخ من المحرم كما تقدم.

ثم أورد السخاوى على ذلك بمخالفته للصحيح و المشهور: من أن الأمر به كان فى زمن عمر، و أن أول السنة ليس شهر ربيع الأول، و إنما شهر محرّم.

و لكن إيراده غير وارد، لأن مجرد كون ذلك خلاف المحفوظ و المشهور لا يوجب فساده. بل لا بدّ من الأخذ به، و العدول عن المحفوظ و المشهور، حين يقوم الدليل القاطع على خلافه. و لسوف نرى: أن لدينا بالإضافة إلى ما ذكرنا ما يزيل أى شك، أو ريب فى ذلك.

۴- إن المؤرّخين يقولون: إن الرسول الأكرم (ص)، قد هاجر إلى المدينة فى شهر ربيع الأول. و يرى الزهرى و غيره: أنه وصلها فى أول يوم منه، و جزم ابن اسحاق و الكلبى بأنه إنما خرج من مكة فى اليوم الأول منه. و بعضهم يرى: أنه خرج من الغار فى أوله «۳».

---

(۱) مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۱۳ و ۱۴ و صححه على شرط مسلم و تلخيص المستدرك للذهبى هامش نفس الصفحة، و مجمع الزوائد ج ۱ ص ۱۹۶ عن الطبرانى فى الكبير، و الإعلان بالتوبيخ ص ۸۰، و فى ص ۸۱ رواية أخرى عنه تشير إلى ذلك أيضا. و الطبرى ج ۲ ص ۳۸۹- ۳۹۰ بسندين، و ج ۳ ص ۱۴۴، و التاريخ الكبير للبخارى ج ۱ ص ۹، و الشماريخ ص ۱۰ عن البخارى فى التاريخ الصغير، و الخطط للمقريزى ج ۱ ص ۲۸۴.

(۲) الإعلان بالتوبيخ لمن يذم التاريخ ص ۷۸.

(۳) راجع تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۲۴ و ۳۲۵، و الإستيعاب هامش الإصابة ج ۱

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۹۰

و يمكن تأييد دخوله للمدينة فى أول ربيع الأول بما تقدم من كتابة على (ع) فى كتابه: «منذ ولج رسول اللّه (ص) المدينة». و لكن

هناك ما يؤيد الرأى الآخر أيضا، و هو إشارته (ع) بأن يجعل مبدأ التاريخ: منذ ترك الرسول (ص) أرض الشرك أو منذ هاجر. إلا أن يدعى الإجمال فى هذه الفقرة، لأنهم كانوا فى صدد تعيين السنة التى يبدأون بها، فلا تصادم ظهور الفقرة الأولى فيما قلناه.

المهم فى الأمر هنا: أن الهجرة كانت فى أول ربيع الأول، فإذا أضفنا إلى ذلك ما تقدم عن مالك، و الأصمعى، و كذلك ما رواه الزهرى و استظهرناه من على (ع): من أن أول السنة الإسلامية كان ربيع الأول؛ فإننا سوف نطمئن إلى أن التاريخ كان قد وضع قبل زمان عمر، الذى جعل أول السنة شهر محرّم، بدلا من ربيع الأول. فهذا التغيير من عمر يدلّ على أنه ليس هو أول من وضع التاريخ الهجرى. و يؤيد ذلك: أن بعض الصحابة كانوا يعدّون بالأشهر من مهاجره (ص) الذى هو شهر ربيع الأول إلى أواسط السنة الخامسة.

فأبو سعيد الخدرى يقول: إن فرض رمضان، كان بعد ما صرفت القبلة فى شعبان بشهر على رأس ثمانية عشر شهرا «۱».

و يتحدث عبد اللّه بن أنيس عن سريته إلى سفيان بن خالد، فيقول:

«خرجت من المدينة يوم الإثنين، لخمس خلون من المحرّم، على رأس أربعة و خمسين شهرا» «۲».

و محمد بن مسلمة أيضا يقول عن غزوة القرطاء: «خرجت فى عشر

ص ۲۹، و الروض الآنف ج ۲ ص ۲۴۵، و كذلك لا بأس بمراجعة دلائل النبوة ج ۲ ص ۲۲۶، و المواهب ج ۱ ص ۶۷.

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۶۸.

(۲) مغازى الواقدى ج ۲ ص ۵۳۱- ۵۳۴ على الترتيب.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۹۱

ليال خلون من المحرّم، فغبت تسع عشرة، و قدمت لليلة بقيت من المحرّم، على رأس خمسة و خمسين شهرا «۱».

و بعد هذا يبدأ العد بالسنين، كما يظهر من قول سلمة بن الأكوع، و خالد بن الوليد، و غيرهما «۲».

لقد كانت تلك هى طريقة الصحابة، و على ذلك جرى دينهم، و تبعهم المؤرّخون على ذلك أيضا، فأرّخوا بالأشهر إلى أواسط السنة الخامسة، بل إلى آخرها، و منها يبدأون بذكر السنين «۳».

و ذلك يدلّ على أن التاريخ كان قد وضع من أول سنىّ الهجرة، و إلا فلا معنى لأن يسأل صحابى عن واقعة حدثت له فى سنة خمس، فيعدل عن ذكر السنة، و يشرع فى إجراء حساب، و يقوم بعملية عدّ تحتاج إلى تفكير و تأمل، و بعد مدة من التأمل و التفكير يعطى الجواب!!

إلا أن يكون ذلك محفوظا لديه، و جرى ديدنه و طريقته عليه مدة من الزمان، حتى انغرس فى ذهنه، و حفظه و وعاه. كما أن ذلك يعبّر عن مدى إهتمام الصحابة فى المحافظة على جعل ربيع الأول مبدأ للتاريخ، و إن كانوا قد غلبوا على ذلك فيما بعد.

۵- إن بين أيدينا نصّا لعهد النبى (ص) لسلمان الفارسى مؤرّخا بسنة تسع للهجرة.

قال أبو نعيم: عن «الحسن بن إبراهيم بن إسحاق البرجى

---

(۱) مغازى الواقدى ج ۲ ص ۵۳۱- ۵۳۴ على الترتيب.

(۲) راجع: مغازى الواقدى ج ۲ ص ۵۳۷، وصفة الصفوة ج ۱ ص ۶۵۲.

(۳) راجع: طبقات ابن سعد ج ۲ قسم ۱ فى غزواته (ص) لا سيما ص ۵۶ منه فى غزوة بواط، و مغازى الواقدى ص ۹- ۱۱- ۳۶۳، و الوفاء بأخبار المصطفى ج ۲ ص ۶۷۳ و ۶۷۴ و ۶۷۵، و البداية و النهاية ج ۴ ص ۶۱، و تاريخ الخميس و غير ذلك.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۹۲

المستملى، و أخبرنيه عنه محمّد بن أحمد بن عبد الرحمان، قال: سمعته يقول: سمعت أبا على الحسين بن محمد بن عمرو الوثابى

يقول: رأيت هذا السجل بشيراز، بيد سبط لغسان بن زاذان بن شاذويه بن ماه بنداذ، أخى سلمان.

و هذا العهد بخط على بن أبى طالب (ع)، مختوم بخاتم النبى (ص)، فنسخ منه ما صورته:

بسم اللّه الرحمن الرحيم: هـذا كتاب من محمـد رسول اللّه، سأله سـلمان، وصـيهٔ بأخيه ماه بنداذ، و أهل بيته، و عقبه. ثم ساق أبو نعيم الكتاب إلى أن قال فى آخره:

و كتب على بن أبى طالب (ع)، بأمر رسول اللّه (ص) فى رجب، سـنهٔ تسع من الهجرهٔ، و حضـر أبو بكر، و عمر، و عثمان، و طلحـهٔ، و الزبير، و عبـد الرحمان، و سـعد، و سـعيد، و سـلمان، و أبو ذرّ، و عمار، و عيينـهٔ، و صـهيب، و بلال، و المقـداد، و جماعـهٔ آخرون من المؤمنين.

و ذكر أيضا أبو محمـد بن حيان، عن بعض من عنى بهـذا الشأن: «أن رهطا من ولد أخى سـلمان بشـيراز، زعيمهم رجل يقال له غسان بن زاذان، معهم هـذا الكتاب، بخط على بن أبى طالب، بيد غسان، مكتوب فى أديم أبيض، مختوم بخاتم النبى (ص) و خاتم أبى بكر و على (رضى اللّه عنهما)، على هذا العهد حرفا بحرف، إلا أنه قال: و كتب على بن أبى طالب، و لم يذكر عيينهٔ مع الجماعهٔ» «۱».

و أورد عليه البعض: بانقطاع سنده و ركاكهٔ لفظه، و بأن أول من أرّخ

---

(۱) ذكر أخبار أصفهان لأبى نعيم ج ۱ ص ۵۲- ۵۳، و الدرجات الرفيعهٔ ص ۲۰۶/ ۲۰۷، و طبقات المحدثين بأصبهان ج ۱ ص ۲۳۱، ۲۳۴ و نفس الرحمان ص ۴۴ عن تاريخ گزيدهٔ.

الصحيح من السيرهٔ النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۹۳

بالهجرهٔ هو عمر «۱».

و نقول:

إن انقطاع سنده لا يضرّ مادام معتضدا بغيره من النصوص و الشواهد التى تقدمت و ستأتى.

و أما ركاكهٔ لفظه، فهى دعوى غير ظاهرهٔ.

و أما بالنسبهٔ لكون عمر هو أول من أرّخ بالهجرهٔ. فهو أول الكلام.

۶- كتـاب مفـاداهٔ سـلمان من عثمـان بن الأشـهل اليهودى. و قـد جـاء فى آخره قوله: «و كتب على بن أبى طـالب الإـثنين فى جمادى الأولى، مهاجر محمد بن عبد اللّه رسول اللّه (ص)» «۲».

و قـد شـككك بعض العلمـاء فى هـذا الكتـاب، و نـاقش فيه، و قـد ذكرنا كلماتهم و أجبنا عنها فى كتابنا سـلمان الفارسـى فى مواجههٔ التحدى ص ۲۵- ۳۰ فليراجعه من أراد.

۷- قـد أورد البلاذرى نصا للكتاب الـذى كتبه النبى (ص) ليهود بلدهٔ «مقنا، و بنى حبيبهٔ. و قد صالحهم فيه على ربع عروكهم (خشـب يصطاد عليه)، و غزولهم، و ربع كراعهم، و حلقتهم، و على ربع ثمارهم.»

قال البلاذرى: «و أخبرنى بعض أهل مصر: أنه رأى بعينه فى جلد

---

(۱) راجع تعليقات البلوشى على طبقات المحدثين ج ۱ ص ۲۳۴.

(۲) راجع ذكر أخبار أصبهان ج ۱ ص ۵۲، و طبقات المحدثين بأصبهان ج ۱ ص ۲۲۶/ ۲۲۷، و تاريخ بغداد ج ۱ ص ۱۷۰، و تهذيب تاريـخ دمشق ج ۶ ص ۱۹۹، و نفس الرحمان فى فضائل سـلمان ص ۲۰/ ۲۱ عن تاريـخ گزيدهٔ و مجموعهٔ الوثائق السياسـيهٔ ص ۳۲۸ عن الخطيب و أبى نعيم، و عن جامع الآثار فى مولد المختار، لشـمس الدين محمد بن ناصـر الدين الدمشقى، و مكاتيب الرسول ج ۲ ص ۲۰۹، و الرحلهٔ فى طلب الحديث (مقدمهٔ نور الدين عتر) ص ۵۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۹۴

أحمر، دارس الخط، فنسخه، و أملى علىّ فنسخته:

بسم اللّه الرحمن الرحيم: من محمد رسول اللّه، إلى بنى حبيبة، و أهل مقنا: سلم أنتم، فأنه أنزل علىّ: أنكم راجعون إلى قريتكم، فإذا جاءكم كتابى هذا، فإنكم آمنون، و لكم ذمة اللّه و ذمة رسوله».

ثم ساق البلاذرى الكتاب إلى أن قال فى آخره: «و ليس عليكم أمير إلا من أنفسكم، أو من أهل بيت رسول اللّه (ص) و كتب على بن أبو طالب (ع) فى سنة تسع» «۱».

و قد أورد المعلق على فتوح البلدان، محمد بن أحمد بن عساكر على هذه الرسالة بإيرادين:

أحدهما: أن عليا الذى اخترع علم النحو، حتى لا يختلط بكلام النبط، لا يمكن أن يصدر منه اللحن و يقول: (على بن أبو طالب) برفع كلمة أبو.

الثانى: أن صلح النبى (ص) لأهل مقنا، كان فى غزوة تبوك على ما هو مذكور فى كتاب البلاذرى، و لا خلاف فى أن عليّا لم يكن فيها، فكيف يكون على (ع) هو كاتب هذا الكتاب. «۲».

و نحن نكتفى فى الإجابة على هذين الإيرادين بما ذكره العلّامة المحقق الشيخ على الأحمدى، حيث قال ما ملخصه مع إضافات

---

(۱) فتوح البلدان للبلاذرى ص ۶۷ ط سنة ۱۳۱۸ ه. و لا بد من التأمل فى تخصيصه الولاية بأهل بيته، و ليس ذلك إلا دليلا واضحا على أن خراج هذه البلدة و هى التى أخذت صلحا دون أن يوجف عليها بخيل و لا ركاب، و هو المسمى بالفيء الذى هو للّه و لرسوله قد أعطاه النبى (ص) لأهل بيته. و هى تدل أيضا على أن آل الرسول (ص) هم أولوا الأمر للمسلمين و أهل الذمة على حد سواء.

(۲) هامش ص ۶۷ من فتوح البلدان للبلاذرى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۹۵

و زيادات فى النصوص و غيرها، قد اقتضاها المقام.

أما الجواب عن الأول: فقد ذكر الملّا على القارى فى شرحه لشفاء القاضى عياض، نقلا عن نوادر أبى زيد الأصمعى عن يحيى بن عمر: أن قريشا كانت لا تغير الأب فى الكنية، بل تجعله مرفوعا أبدا: رفعا، و نصبا، و جرّا.

و فى نهاية إبن الأثير، فى لفظ (أبى) و شرح القارى لشفاء عياض:

أن النبى (ص) كتب إلى المهاجر بن أميّة: (المهاجر بن أبو أميّة). ثم قالا: و لمّا كان أبو أميّة مشتهرا بالكنية و لم يكن له إسم معروف غيره، تركه رسول اللّه (ص). و مثّل القارى لذلك، فقال: (كما يقال: على بن أبو طالب).

و نضيف هنا قول الزمخشرى: «و كتب لوائل بن حجر: من محمد رسول اللّه إلى المهاجر بن أبو أميّة؛ إن وائلا... إلى أن قال الزمخشرى:

أبو أميّة ترك فى حال الجرّ على لفظه فى حال الرفع، لأنه اشتهر بذلك، و عرف، فجرى مجرى المثل الذى لا يغيّر، و كذلك قولهم: على بن أبو طالب و معاوية بن أبو سفيان» إنتهى «۱».

و قال العلّامة الأحمدى أيضا: و فى مجموعة الوثائق السياسة عن الصفدى: أن بعضهم يكتب: على بن أبو طالب بالواو، و يلفظ: أبى، بالياء. و بعد أن نقل فى المجموعة عن التراتيب الإدارية، ما تقدم عن نوادر الأصمعى قال: و فوق ذلك كله: إنى لمّا كنت فى المدينة، فى شهر محرّم سنة ۱۳۵۸، وجدت فى الكتابة القديمة التى فى جنوب سلع: (أنا على بن أبو طالب). و قد تكون هذه الكتابة بخط على (ع).

و قال فى مجموعة الوثائق أيضا: أنه وجد كلمة: (على بن أبو طالب) بالواو، فى أربعة مواضع فى الكتب المقروّة عن الشيوخ.

---

(۱) الفائق ج ۱ ص ۱۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۹۶

و نزيد هنا قول العسقلانى: «قال الحاكم: أكثر المتقدمين على أن اسمه (يعنى أبا طالب) كنيته» «۱».

و قال مغلطاى «و قيل: إسمه كنيته فيما ذكر الحاكم. و فيه نظر» «۲».

و ذكر المسعودى «۳»: أنه قد تنوزع فى إسم أبى طالب، فمنهم من رأى أن كنيته إسمه، و أن عليا (ع) قد كتب ليهود خيبر، بإملاء النبى (ص): (و كتب على بن أبى طالب)، فإسقاط الألف من كلمة: إبن، يدلّ على أنه واقع بين علمين، لا بين علم و كنية.

و قال البلاذرى: و قال يحيى بن آدم: و قد رأيت كتابا فى أيدى النجرانيين، كانت نسخته شبيهة بهذه النسخة، و فى أسفله: (و كتب على بن أبو طالب)، و لا أدرى ما أقول فيه «۴».

و فى كتابه بين ربيعة و اليمن نراه قد كتب فى آخره- و هى الرواية المشهورة-: (كتب على بن أبو طالب)، «۵».

و قال إبن عنبة: عن محمد بن إبراهيم النسابة: أنه رأى خط أمير المؤمنين فى آخره: (و كتب على بن أبو طالب). و قال: إنه كان فى المشهد الغروى الشريف مصحف بخط على (ع)، احترق حين احترق المشهد سنة ۷۵۵ ه. يقال: إنه كان فى آخره: و كتب على بن أبو طالب. ثم ذكر: أن الواو مشتبهة بالياء لتقاربهما فى الخط الكوفى، و أن

---

(۱) الإصابة ج ۴ ص ۱۱۵.

(۲) سيرة مغلطاى ص ۱۰.

(۳) مروج الذهب ج ۲ ص ۱۰۹ ط بيروت.

(۴) فتوح البلدان ص ۷۲.

(۵) شرح النهج لابن ميثم البحرانى ج ۵ ص ۲۳۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۹۷

الصحيح هو (على بن أبى طالب) حسبما نقله له جده و غيره «۱».

إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه و إستقصائه.

و نستطيع أن نستخلص مما تقدم: أن وجود كلمة: (أبو) لا يضرّ، و لا يوجب إشكالا فى الرواية، و لا سيما إذا لا حظنا ما نقلوه من لغة قريش المتقدمة، و من ثم، فإننا لا نحتاج إلى تأويل عمدة الطالب، أو غيره.

و أما الجواب عن الإيراد الثانى: فيقول العلّامة الأحمدى: انه لا صراحة فى كلام البلاذرى، و لا دلالة له على أن هذا الكتاب قد كتب فى تبوك، كما أن الكتاب نفسه ليس فيه ما يدلّ على ذلك، بل فيه ما يدلّ على وفادة جماعة منهم إلى النبى (ص) و أنهم سوف يرجعون إلى بلدتهم، فلعل وفادتهم إليه كانت إلى المدينة لغرض تجارى، أو لأجل الحصول على هذا الكتاب، أو غير ذلك، فكتب النبى (ص) لهم هذا الكتاب.

و يلاحظ هنا: أن عددا من المصادر يكتفى بالإشارة إلى أنه (ص) قد كتب لأهل مقنا كتابا فى سنة تسع «۲».

هذا ما ذكره العلّامة الأحمدى بزيادات و تصرف و تلخيص، و هو

---

(۱) عمدة الطالب ص ۲۰- ۲۱ ط النجف.

(۲) راجع: مكاتيب الرسول (ص) ج ۱ ص ۲۸۸- ۲۸۹- ۲۹۰. و لمعاهدة مقنا نص آخر مؤرخ بسنة خمس للهجرة بخط على «عليه السلام»، و لكنه لا يخلو من بعض الإشكالات التاريخية، و إن كان يمكن الإجابة عنها كلا أو بعضا. فراجع: مكاتيب الرسول (ص) ج ۱ ص ۲۹۳- ۲۹۴.

و هناك عهد للنصارى مؤرخ فى الثانية للهجرة، بخطه أيضا «عليه السلام»، و عهد آخر لهم مؤرخ فى السنة الرابعة يقال: إنه بخط معاوية، وكلا العهدين محل إشكال لا سيما الثانى منهما، لأن معاوية لم يسلم إلا عام الفتح. فراجع: مكاتيب الرسول (ص) أيضا ج ۲ ص ۶۳۷ و ۶۳۴ و غير ذلك.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۹۸

كاف و واف فى دفع الإيراد على هذا الكتاب.

۸- كتاب صلح خالد بن الوليد لأهل دمشق. قال ابن سلّام:

«حدثنا محمد بن كثير، عن الأوزاعى عن إبن سراقة: أن خالد بن الوليد كتب لأهل دمشق:

«هذا كتاب من خالد بن الوليد لأهل دمشق: أنى قد أمنتهم على دمائهم، و أموالهم، و كنائسهم. قال أبو عبيد: ذكر كلاما فيه لا أحفظه، و فى آخره: شهد أبو عبيدة الجرّاح، و شرحبيل بن حسنة، و قضاعى بن عامر، و كتب سنة ثلاث عشرة» «۱».

و احتمال أن تكون العبارة الأخيرة ليست من أصل الكتاب، و إنما هى من تعابير المؤرّخين أو الرواة.

يدفعه: أن ذلك خلاف ظاهر العبارة.

أضف إلى ذلك أنه قد روى عن الواقدى: أن خالدا لم يؤرّخ.

الكتاب و لكن لمّا أراد المسلمون النهوض إلى اليرموك، جدد خالد للنصارى كتاب الصلح و أثبت فيه شهادة أبى عبيدة و شرحبيل و يزيد بن أبى سفيان، و أرّخه بسنة خمس عشرة فى ربيع الآخر «۲». و أضاف إبن كثير إلى الشهود: عمرو بن العاص.

و لا- يمنع أن يكون هذا كتاب آخر كتبه لهم فيما يتعلق بكنائسهم حين نهوضه إلى اليرموك، كما ربما يستظهر من عبارة إبن كثير فراجع «۳».

و حتى لو كان تاريخ الكتاب هو سنة ۱۵، فإن ذلك لا يضرّ فى دلالته على

---

(۱) الأموال ص ۲۹۷، و ذكره البلاذرى فى فتوح بلدانه ص ۱۲۸ بدون تاريخ مع بعض اختلاف.

(۲) راجع: فتوح البلدان ص ۱۳۰.

(۳) البداية و النهاية ج ۷ ص ۲۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۱۹۹

المطلوب لأن من المتفق عليه أن قضية عمر كانت بعد ذلك، أى فى سنة ۱۶ ه. أو ۱۷ ه.

و لا أحد يدّعى إطلاقا: أن وضعه للتاريخ قبل ذلك، و لا سيما بملاحظة: أن فتح دمشق كان أول خلافة عمر، بل قبل أن يصل إلى جند المسلمين فى الشام خبر وفاة أبى بكر و تولّى عمر.

نقول هذا على الرغم من أننا نرى: أن كلمات أهل المغازى قد اختلفت فى وقت فتح دمشق: هل كان فى سنة ۱۳ ه أو فى سنة ۱۴ ه، و فى أن من صالح أهلها: هل هو أبو عبيدة، أم خالد بن الوليد. و كذلك فى أن أيهما كان الأمير على جند المسلمين فى الشام؟.

و ذلك لأن لدينا ما يشبه اليقين بأن فتح دمشق كان قبل وصول الخبر بوفاة أبى بكر فى سنة ۱۳ ه، أو على الأقل قبل إظهار أبى عبيدة للخبر، و أن الذى صالحهم هو خالد بن الوليد، الذى كان أميرا على الجند آنئذ.

فقد نصّ أبو عبيدة، و ابن قتيبة، و الواقدى، و البلاذرى «۱»، و كثيرون غيرهم: على أن المصالحة كانت على يد خالد، مما يعنى أنه هو

الذى كان أمير الجيش إلى حين الصلح.

بل يذكر لنا الواقدى: مشادة عنيفة، حصلت بين أبى عبيدة و خالد، بسبب صلح خالد لهم، تظهر لنا بوضوح مدى عناد خالد فى موقفه، و ضعف أبى عبيدة معه «۲» الأمر الذى ينسجم كثيرا مع ما نذهب إليه، من أن قيادة الجيش كانت لخالد آنذاك.

يضاف إلى ما تقدم: أن البلاذرى و غيره قد ذكروا: أن أبا عبيدة كان

---

(۱) المعارف لإبن قتيبة ص ۷۹ ط سنة ۱۳۹۰ بيروت، و فتوح الشام ج ۱ ص ۵۸- ۵۹، و فتوح البلدان ص ۱۲۸ حتى ۱۳۱ و غير ذلك.

(۲) فتوح الشام ج ۱ ص ۵۸- ۶۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۰۰

على الباب الشرقى، فدخلها عنوة، فجاء أهل المدينة إلى خالد، فصالحوه، و كتب لهم كتابا، و فتحوا له الباب. ثم نقل البلاذرى قول أبى مخنّف، الذى يعكس القضية، ثم قال: و الأول أثبت «۱».

و يدلّ على أن ذلك هو الأثبت: أن أكثر المؤرّخين يذكرون أن خالدا كان هو المصالح لأهل دمشق، و من ثم كان هو أمير الجيش.

و تلك الرسالة المذكورة فى أول هذا الكلام و نصوص أخرى، تدلّ دلالة قاطعة على ذلك أيضا.

و أما عزل خالد، فقد جاءهم و هم محاصرون لدمشق، فكتمه عنه أبو عبيدة نحو عشرين ليلة، حتى فتحت دمشق، حتى لا يوهن أمر خالد، و هم بإزاء العدو «۲».

و قال الواقدى: إن فتحها كان فى ليلة وفاة أبى بكر «۳».

و قال زينى دحلان: «و قيل: إنما جاء خبر وفاة أبى بكر، بعد فتح دمشق فى سنة ثلاث عشرة، و أن وفاة أبى بكر (رضى) كانت فى الليلة التى دخلوا فيها دمشق، و كان ذلك لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة. و القائلون بأن خبر وفاته إنما جاء بعد فتح دمشق هم القائلون بأن وقعة اليرموك كانت بعد فتح دمشق، و أنها سنة خمس عشرة» «۴».

و قال إبن كثير: «ظاهر سياق سيف بن عمر يقتضى: أن فتح دمشق

---

(۱) فتوح البلدان ص ۱۲۹، و ليراجع أيضا: البداية و النهاية ج ۷ ص ۲۱ و نقله عن آخرين.

(۲) البداية و النهاية ج ۷ ص ۲۳، و فتوح البلدان ص ۱۲۷- ۱۲۹.

(۳) فتوح الشام ج ۱ ص ۵۸- ۵۹.

(۴) الفتوحات الإسلامية ج ۱ ص ۴۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۰۱

وقع فى سنة ثلاث عشرة. و لكن نصّ سيف على ما نصّ عليه الجمهور من أنها فتحت فى نصف رجب سنة أربع عشرة» «۱».

و عن عبد الرحمان بن جبير: أن أبا عبيدة نفسه قد ذهب ليبشر أبا بكر بفتح دمشق، فوجده قد توفىّ و أمّره عمر على الناس. فلمّا عاد إلى دمشق قالوا: «مرحبا بمن بعثناه بريدا فقدم علينا أميرا» «۲».

و على كل حال، فإن كتاب الصلح المتقدم، و سائر ما قدمناه يشهد:

بأن خالدا هو الذى صالح أهل الشام وفاقا لأكثر المؤرّخين. و قد قلنا: إنه حتى لو كان الكتاب مؤرّخا بسنة ۱۵، أو كان ذلك كتابا آخر، فإنه أيضا يدلّ دلالة واضحة على أن التاريخ كان قد وضع قبل خلافة عمر.

و أما لماذا يعدل الرواة و المؤرّخون عن الحقيقة، ألا- و هى مصالحة خالد لأهل الشام قبل وفاة أبى بكر، فلعل تقارب الأحداث و تتابعها قد أوقعهم فى الخلط و الإشتباه. و لعله حين نريد أن نحسن الظن بهم- و هم أهل و محل لذلك!!- قد كان لتعمدّ إظهار: أن

عهد عمر كان عهد الفتوحات العظيمة، و التوسّع الكبير، و لابد أن يكون فتح الشام، و هى هامة جدا، فى عهده هو لا فى عهد أبى بكر. و أيضا فثمة اهتمام خاص ظاهر للعيان بإثبات شجاعة خالد و إظهار قوته، و بطولاته فى مواقفه، و أنه- دون كل أحد- رجل السيف و السنان، فلابد أن يكون قد فتحها عنوة، و أن يكون الذى صالح أهلها غيره!! و لو كان ذلك عن طريق الكذب و الدّجل و التزوير.

و أما أن أى ذلك الذى ذكرناه هو السبب الحقيقى فى العدول عن الحقيقة، فلست أدرى، و لعل القارىء الفطن الذكى يدرى.

---

(۱) البداية و النهاية ج ۷ ص ۲۲.

(۲) البداية و النهاية ج ۱ ص ۲۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۰۲

۹- «و نقل السيوطى عن مجموعة بخط إبن القماح ذكر فيها: أن ابن الصلاح قال: ذكر أبو طاهر، محمّد بن محمش الزيادى فى تاريخ الشروط: أن رسول اللّه (ص) أرّخ بالهجرة حين كتب الكتاب لنصارى نجران و أمر عليا أن يكتب فيه: أنه كتب لخمس من الهجرة. قال:

فالمؤرّخ بهذا إذن رسول اللّه (ص)، و عمر تبعه فى ذلك» «۱».

و قال السيد عباس المكى: «التاريخ سنة ماضية، و طريقة راضية، أمر بها رسول اللّه (ص) حين كتب إلى نصارى نجران، فأمر عليا (رضى اللّه عنه): أن يكتب فيه: (كتب لخمس من الهجرة)» «۲». ثم نقل رواية إبن شهاب المتقدمة. و قال السخاوى: «فإن ثبت، فيكون عمر متّبعا، لا مبتكرا» «۳».

و قال السيوطى أيضا: «و قد يقال: هذا صريح فى أنه يقال: أرّخ سنة خمس. و الحديث الأول (يعنى رواية الزهرى المتقدمة) فيه: أنه أرّخ يوم قدومه المدينة. و يجاب: بأنه لا منافاة، فإن الظرف و هو قوله: (يوم قدم المدينة) ليس متعلقا بالفعل و هو أمر، بل بالمصدر و هو (التاريخ)؛ أى أمر بأن يؤرّخ بذلك اليوم، لا أن الأمر كان فى ذلك اليوم ..» «۴». هذا كلام السيوطى.

و لكن ثمة جواب أوضح و أظهر، و هو أنه (ص) قد أمر بالتاريخ من أول قدومه، و جعل مبدأه أول ربيع الأول؛ و استعمله النبى (ص) نفسه حين كتب لنصارى نجران فى سنة خمس.

---

(۱) راجع: الشماريخ فى علم التاريخ للسيوطى ص ۱۰، و التراتيب الإدارية ج ۱ ص ۱۸۱ عنه.

(۲) نزهة الجليس ج ۱ ص ۲۱.

(۳) التراتيب الإدارية ج ۱ ص ۱۸۱.

(۴) الشماريخ ص ۱۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۰۳

۱۰- خبر الصحيفة السجادية الذى يظهر منه: أن جعل هجرة الرسول الأكرم (ص) مبدأ للتاريخ كان مرتبطا بالمبدأ الأعلى جلّ و علا، حيث جاء فى الخبر: أن جبرائيل (ع) قال للنبى (ص): «تدور رحى الإسلام من مهاجرك؛ فتلبث بذلك عشرا، ثم تدور رحى الإسلام على رأس خمس و ثلاثين من مهاجرك، فتلبث بذلك خمسا» «۱».

۱۱- «و عن أمّ سلمة قالت: قال رسول اللّه (ص) يقتل حسين بن على على رأس ستين من مهاجرى» «۲».

۱۲- و عن أنس قال: «حدّثنا أصحاب النبى (ص): أن النبى (ص) قال: لا تأتى مئة سنة من الهجرة و منكم عين تطرف» «۳».

---

(۱) البحار ج ۵۸ ص ۳۵۱ بعد تصحيح أرقام صفحاته، و سفينة البحار ج ۲ ص ۶۴۱، و الصحيفة السجادية ص ۱۰. و قد روى هذا عن النبى (ص) بطرق أخرى ذكرها فى البداية و النهاية ج ۶ ص ۲۰۶- ۲۰۷، و ج ۷ ص ۲۱۹ و ص ۲۷۵- ۲۷۶ عن أحمد و أبى داود و ابن داود، و لكن باختلاف و تصرف و حذف فراجع. و راجع: سنن أبى داود نشر دار الكتاب العربى ج ۴ ص ۱۵۹- ۱۶۰ و غير ذلك.

(۲) مجمع الزوائد ج ۹ ص ۱۹۰ عن الطبرى، و لم يطعن فى سنده إلا فى سعد بن طريف و ليس ذلك إلا لتشيعه حسبما صرحوا به، و ترجمة الإمام الحسين (ع) من تاريخ دمشق بتحقيق المحمودى ص ۱۸۵ و فى هوامشه عن مصادر أخرى، و تاريخ بغداد ج ۱ ص ۱۴۲، و الإلمام ج ۵ ص ۲۹۹، و كنز العمال ج ۱۳ ص ۱۱۳ ط حيدر آباد، و ميزان الإعتدال ج ۱ ص ۲۱۲ عن الطبرانى، و الخطيب، و ابن عساكر.

و منتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج ۵ ص ۱۱۱، و مقتل الحسين (ع) للخوارزمى ج ۱ ص ۱۶۱، و إحقاق الحق ج ۱۱ ص ۳۵۴ عن بعض ما تقدم، و عن مفتاح النجا ص ۱۳۶ مخطوط، و عن المعجم الكبير للطبرانى.

(۳) مجمع الزوائد ج ۱ ص ۱۹۷ عن أبى يعلى، و له ألفاظ و طرق عديدة كثيرة أخرى لكن بلا ذكر كلمة: من الهجرة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۰۴

۱۳- و قد ذكر البعض نصا للكتاب الذى كتبه خالد بن الوليد لأهل الحيرة، و جاء فى آخره: «و إن غدروا بفعل أو بقول فالذمة منهم بريئة، و كتب فى شهر ربيع الأول من سنة اثنتى عشرة» «۱».

و من المعلوم أن فتح الحيرة على يد خالد كان فى زمن أبى بكر، و ذلك معناه أن التاريخ كان قد وضع و استعمل قبل خلافة عمر، فكيف يكون عمر هو واضع التاريخ فى سنة ست عشرة؟ و قد يمكن تأييد ذلك بما تقدم عن السهيلى و ابن عباس، و غير ذلك مما لا مجال لذكره.

هذا، و احتمال أن تكون العبارة الأخيرة من كلام الرواة أو المؤرخين ليس له ما يؤيده، كما ألمحنا.

۱۴- ما رواه الحافظ عبد الرزاق عن أبى هريرة قال: «ويل للعرب من شرّ قد اقترب على رأس الستين تصير الأمانة غنيمة إلخ» «۲».

۱۵- ما رواه عبد الرزاق أيضا عن ابن مسعود قال: «إذا كانت سنة خمس و ثلاثين حدث أمر عظيم، فإن تهلكوا فبالحرا، و إن تنجوا فعسى.

و إذا كانت سبعين رأيتم ما تنكرون» «۳».

فإن ابن مسعود و أبا هريرة إنما علما ذلك عن طريق النبى (ص)، لأنه تنبؤ بالغيب، و هذا يدل على أنه (ص) هو واضع التاريخ الهجرى.

۱۶- «و فى حديث رواته ثقات: نعوذ باللّه من رأس الستين و فى رواية: من سنة ستين، و من إمارة الصبيان» «۴».

---

(۱) هى الدكتورة سعاد ماهر محمد، فى كتابها: مشهد الإمام على فى النجف الأشرف ص ۱۰۴- ۱۰۵.

(۲) و (۴) مصنف عبد الرزاق ج ۱۱ ص ۳۷۳ و ۳۷۵.

(۳) تطهير الجنان و اللسان ص ۶۶ سنة ۱۳۷۵، و كنز العمال ج ۱۱ ص ۱۱۳ عن أحمد و غيره.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۰۵

و عن أبى هريرة أنه قال: اللهم لا تدركنى سنة ستين و لا إمارة الصبيان «۱».

۱۷- «عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر (رض) مرفوعا: إذا كان على رأس السبعين و مئة فالرباط بجدة من أفضل ما يكون من الرباط» «۲».

عود على بدء:

و بعد كل ما قدمناه، يتضح أن ما اشتهر بين الناس من أن واضع التاريخ الهجرى الإسلامى هو عمر بن الخطاب، مما لا يمكن القبول به و لا المساعدة عليه؛ و أن ما حدث فى زمن عمر هو فقط: جعل مبدأ السنة الهجرية شهر محرم، بدلا من ربيع الأول، إما باقتراح من عمر نفسه، أو بإشارة من عثمان. و محرم- كما هو معلوم- كان مبدأ السنة فى الجاهلية!! «۳».

و ليس من البعيد: أن يكون التاريخ الهجرى الذى وضعه النبى (ص)، و أرّخ به أكثر من مرة، لم يكن قد اشتهر بين الناس، بسبب قلة احتياجهم للتاريخ فى تلك الفترة، فجمع عمر الصحابة ليتفقوا على تاريخ، حسبما تقدم بيانه «۴».

و لكننا رأينا فى الإجتماع دعوات مغرضة لتناسى ذلك التاريخ الذى

---

(۱) الإتحاف بحب الأشراف ص ۶۵ عن ابن أبى شيبة و غيره.

(۲) لسان الميزان ج ۲ ص ۷۹.

(۳) البداية و النهاية ج ۳ ص ۲۰۶ و ۲۰۷، و السيرة النبوية لإبن كثير ج ۲ ص ۲۸۸ و ۲۸۹.

(۴) احتمل ذلك العلامة المحقق السيد مهدى الروحانى فى مقال له نشرته مجلة الهادى فى سنتها الأولى عدد ۴ ص ۴۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۰۶

أمر به و وضعه الرسول الأكرم (ص)، فهذا يشير بتاريخ الروم؛ و بعض مسلمى اليهود يشير بالتاريخ الذى يرجع إلى زمان الإسكندر و الهرمزان، يستشيره عمر- مع أن عمر كان يكره الفرس كراهية شديدة- فيشير عليه بتاريخ الفرس، كلما هلك ملك أرّخوا من ولاية الذى بعده. و رابع: يشير بجعل مبدأ التاريخ مولد النبى (ص)- عام الفيل- الذى كان العرب يؤرّخون به فى جاهليتهم المتأخرة، و هكذا. «و كثر منهم القول وطال الخطب فى تواريخ الأعاجم و غيرها» على حد تعبير المسعودى «۱».

و لكن عليا حافظ الدين ورائد الحق، قد أعلن فى الوقت المناسب:

التاريخ الهجرى الذى وضعه الرسول (ص)، و أرّخ به هو نفسه فى حياة النبى (ص) العديد من الكتب و المعاهدات.

فلم يكن ثمة بد من قبول رأيه و الإذعان لمشورته، لأنها حق و الحق يعلو و لا يعلى عليه.

و اتخاذه الهجرة مبدأ للتاريخ دون يوم ولادته و وفاته (ص)، إنما هو لأهمية الهجرة من دار الشرك؛ حيث الذل و الهوان إلى دار الإسلام حيث العزة و الكرامة، فهى مهمة جدا فى صنع التاريخ و الإنسانية، كما أنه يكون بذلك (ع) قد أبعد كل المواقف المخزية، و الأحداث التى تختص بالطواغيت و الظلام عن أن تجعل مبدأ للتاريخ. و عن أن تصبح فى جملة الرواسب و المرتكزات، التى يعتادها الإنسان و يألفها، و تستقر فى وعى الناس كجزء من التراث، و الثقافة، و الحياة.

و التاريخ المسيحى اذن لماذا؟:

و بعد، فإننا نسجل هنا بكل أسف و أسى حقيقة:

أن الغربيين و غير المسلمين يحافظون على تراثهم و على

---

(۱) التنبيه و الإشراف ص ۲۵۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۰۷

خصائصهم، مهما كانت تافهة و حقيرة، و غير ذات أهمية، و لا يتنازلون عنها فى أى من الظروف و الأحوال. بل هم يطمحون إلى بثها

و ترسيخها لدى غيرهم من الجماعات و الأمم، و لو على حساب تدمير تاريخ و تراث تلك الجماعات؛ فنجد أنهم عند ما يكتبون عن الشؤون و التواريخ الإسلامية يصرون على تحوير التاريخ الهجرى، الذى ضبطت به الحوادث إلى الميلادى الشمسى، مهما كان ذلك موجبا لضياع كثير من الحقائق، و الغلط و الخلط فيها نتيجة للإختلاف فيما بين التاريخين.

أما نحن فإننا نتنازل عن كثير من الأشياء التى قد يكون الكثير منها رئيسيا و أساسيا، بدعوى التقدمية و الرقيّ، و غير ذلك من ألفاظ خلّابة، و شعارات برّاقة، تخفى وراءها الكثير الكثير من المهالك و الأخطار. بل لقد تخلّت بعض البلاد الإسلامية حتى عن الخط العربى، و استبدلته بالخط اللاتينى، بالإضافة إلى تخليهم عن كثير من شؤونهم الحياتية حتى زيهم و لباسهم، و حتى طريقة عيشهم أيضا. و هكذا كان حالنا بالنسبة للتاريخ الهجرى، حيث قد تخلينا عنه، و بكل يسر و سهولة رغم أنه من موجبات عزتنا، و عليه يقوم تاريخنا و تراثنا، فاستبدلناه بالتاريخ المسيحى الشمسى، المستحدث بعد ظهور الإسلام ببرهة طويلة، لأن النصارى كانوا يؤرخون برفع المسيح (ع) «۱»، لا بميلاده، و على حسب نص آخر:

إنهم كانوا يؤرخون بعهد الإسكندر ذى القرنين «۲»، حتى إن ابن العبرى، و هو من اليعاقبة المسيحيين، و قد بلغ إلى درجة تعادل درجة الكاردينال، و توفى سنة ۶۸۵ ه. لم يؤرخ فى كتابه بتاريخ المسيح أصلا، بل اعتمد تاريخ الاسكندر فى مواضع عديدة فى كتابه فراجع فلو كان تاريخ

---

(۱) الإعلان بالتوبيخ لمن يذم التاريخ ص ۸۳.

(۲) نزهة الجليس ج ۱ ص ۲۲، و راجع: كنز العمال ج ۱۰ ص ۱۹۵ عن المستدرك، و عن البخارى فى الأدب.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۰۸

المسيح شائعا أو معروفا فى عصره لم يعدل عنه. و يظهر من كلام السخاوى المتقدم، و المتوفى سنة ۹۰۲ ه أن التاريخ بميلاد المسيح لم يكن متداولا إلى أوائل القرن العاشر الهجرى.

و ها نحن نرى العديد من الدول التى تطلق على نفسها اسم الإسلام، قد اتخذت هذا التاريخ المسيحى، لا الفارسى و لا الرومى اللذين سبق أن اقترحا على الصحابة فى الصدر الأول.

نعم، لقد اعتمدوا التاريخ المسيحى، بدعوى الحضارة و التقدمية، و ما إلى ذلك من شعارات، و تركوا ما هو مصدر عزتهم، و ما عليه يقوم تاريخهم و تراثهم، كما تنازلوا عن الكثير الكثير مما هو أعظم و أهم، و التنازل عنه أخطر، و أدهى.

ملاحظة: قيل لأبى عبد اللّه (ع) فيما روى: إن النصارى يقولون:

إن ليلة الميلاد فى أربعة و عشرين من كانون؟ فقال: كذبوا، بل فى النصف من حزيران، و يستوى الليل و النهار فى النصف من آذار «۱».

دعوة مخلصة:

فنحن ندعو الأمم الإسلامية إلى اعتماد التاريخ الهجرى القمرى فى تقاويمهم و تواريخهم، لأن ذلك يصل ماضيهم بحاضرهم، و يذكرهم بسر مجدهم و عزتهم، و هو هذا الدين الذى اختاره اللّه لهم و للإنسانية جمعاء.

مضافا إلى أنه لو كان المفروض جعل أعظم الحوادث مبدأ للتاريخ، فأى حادثة أعظم من ظهور نبى الإسلام، و ما تلا ذلك من الحوادث العظام؟.

---

(۱) البحار ج ۷۵ ص ۳۶، و تحف العقول، و مختصر التاريخ لإبن الكازرونى ص ۶۷ و مروج الذهب ج ۲ ص ۱۷۹ و ۱۸۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۰۹

قال العلامة المجلسى: «و العلة الواقعية فى ذلك، يمكن أن تكون ما ذكر من أنها مبدأ ظهور غلبة الإسلام و المسلمين، و مفتتح ظهور شرائع الدين، و تخلص المؤمنين من أسر المشركين، و سائر ما جرى بعد الهجرة من تأسيس قواعد الدين المبين» «۱».

نقول ذلك للأمم الإسلامية جمعاء و للعرب على الخصوص، فإننا حتى لو تنزّلنا عن ذلك من حيث الدين، فإن عليهم أن يلتزموا به بما أنهم عرب. و أذكرهم هنا بالكلمة القوية التى أطلقها الحسين سيد الشهداء (ع) حينما قال: «إن لم يكن لكم دين، و كنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحرارا فى دنياكم هذه، و ارجعوا إلى أحسابكم، إن كنتم عربا كما تزعمون» «۲».

نسأل اللّه أن يعيد إليهم صوابهم، و يجعلهم يسترشدون بعقولهم و ضمائرهم.

و إذا كانوا يقلّدون غيرهم فى كل شىء تحت ظل مثل تلكم الشعارات، فليقلدوهم فى هذه النقطة أيضا، أى فى عدم التنازل عن الخصائص الخيّرة، و التراث العظيم، ثم الإستجداء من الآخرين و الأخذ منهم ما قد يكون- بل هو كائن فعلا- ضرره أكثر من نفعه.

قُلْ هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِي.

بناء مسجد المدينة:

اشارة

و اشترى النبى (ص)- أو وهب له- موضع المسجد، الذى يقال:

إنه كان مربدا ليتيمين من الخزرج، كانا فى حجر أسعد بن زرارة، أو غيره اشتراه- على ما قيل- بعشرة دنانير.

---

(۱) البحار ج ۵۸ ص ۳۵۱.

(۲) اللهوف ص ۵۰، و مقتل الحسين للمقرم ص ۳۳۵ عنه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۱۰

فأسس (ص) المسجد فى ذلك الموضع، و نقلوا إليه الحجارة من منطقة الحرّة، و شارك (ص) بنفسه فى نقلها، الأمر الذى دفع الصحابة إلى الدأب فى العمل، و الجدّ فيه، حتى قال قائلهم:

لئن قعدنا و النبى يعمل لذاك منّا العمل المضلّل و ارتجز المسلمون و هم يبنونه يقولون:

اللّهم إن الأجر أجر الآخرةفارحم الأنصار و المهاجرة أو نحو ذلك «۱»

و سيأتى: أن هذين البيتين أنشدهما المسلمون و هم يحفرون الخندق.

و لا مانع من تعدد الواقعة إذا تشابهت الحالات و الدواعى.

و جعل طوله مئة ذراع فى مثلها، أو قريبا من ذلك، و قيل: جعله سبعين فى ستين.

و نحتمل أن يكون كلاهما صحيحا، و أنه جعله فى البناء الأول سبعين فى ستين، ثم وسّعه فى البناء الثانى «۲».

و ابتنى الرسول (ص) مساكنه، و ابتنى أصحابه مساكنهم حول المسجد، و كلّ قد شرع له إلى المسجد بابا. و قد سدّت الأبواب كلها فيما بعد سوى باب أمير المؤمنين «عليه السلام»، كما سيأتى.

و قبل أن نمضى فى الحديث، لا بدّ من الالتفات إلى بعض ما يقال هنا، من أجل تقييمه، و بيان وجه الحق فيه و ذلك حسبما يلى:

---

(۱) راجع ما تقدم فى السيرة الحلبية ج ۲ ص ۶۷ و ۷۱ و ۶۴ و ۶۵.

(۲) وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۴۰ فما بعدها، و راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۶۵ و ۳۶۶، و راجع: التراتيب الإدارية ج ۲ ص ۷۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۱۱

ألف: أبو بكر و العشرة دنانير:

إنهم يقولون: إن أبا بكر هو الذى دفع العشرة دنانير، ثمن المربد «۱».

و نحن نشكّ فى ذلك.

أولا- لأن أبا بكر لم يكن له القدرة المالية على ذلك، و لو كانت، فنحن نشك فى إقدامه على هذا الأمر، و ذلك استنادا إلى ما قدمناه فى حديث الغار.

و ثانيا: لو سلمنا و قبلنا: أنه كان قادرا، فإننا نجد فى المقابل رواية تقول: إن أسعد بن زرارة قد عوّض اليتيمين نخلا له فى بنى بياضة، و فى أخرى: أرضاهما أبو أيوب، و فى ثالثة: معاذ بن عفراء «۲».

و احتمل البعض: أن يكون أبو بكر قد دفع الثمن، و أعطى الباقون زيادة عليه برا وصلة «۳».

و لكن ذلك ليس بأولى من العكس، أضف إلى ذلك أنه لا ينسجم مع التعبير بكلمة: «عوّضهما» فإنه ظاهر فى كونه ثمنا و عوضا، لا برا وصلة.

و ثالثا: قد روى البخارى و غيره: أن الرسول (ص) أرسل إلى ملأ من بنى النجار، فقال: يا بنى النجار، ثامنونى بحائطكم هذا، قالوا: لا و اللّه، لا نطلب ثمنه إلا من اللّه «۴».

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۶۵.

(۲) البداية و النهاية ج ۳ ص ۲۱۵، و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۲۳ و ۳۲۴ عن ابن حجر، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۶۵.

(۳) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۶۵، و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۲۳ و ۳۲۴.

(۴) صحيح البخارى ط الميمنية ج ۱ ص ۵۷، و تاريخ الطبرى ط الإستقامة ج ۲ ص ۱۱۶، و الكامل لإبن الأثير ط صادر ج ۲ ص ۱۱۰، و وفاء الوفاء ج ۱-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۱۲

باء: أحجار الخلافة:

اشارة

و قد روى الحاكم، عن عائشة، قالت: أول حجر حمله النبى (ص) لبناء المسجد، ثم حمل أبو بكر حجرا آخر، (ثم حمل عمر) «۱»، ثم حمل عثمان حجرا آخر. فقلت: يا رسول اللّه، ألا ترى إلى هؤلاء كيف يساعدونك؟. فقال: يا عائشة، هؤلاء الخلفاء من بعدى. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، و لم يخرجاه «۲».

و لكن هذه الرواية لا يمكن أن تصح، فعدا عن تناقض و اختلاف نصوصها كما لا يخفى على من راجعها فى المصادر المختلفة و قارن بينها، فإننا نذكر:

أولا: قال الذهبى، بعد أن ضعّف سند الحديث: «لو صحّ هذا لكان نصّا فى خلافة الثلاثة، و لا يصحّ بوجه، فإن عائشة لم تكن يومئذ دخل بها النبى (ص)، و هى محجوبة صغيرة، فقولها هذا يدلّ على بطلان الحديث» «۳».

و لنا تحفظ على قوله: أنها كانت صغيرة، ذكرناه فى موضع آخر من هذا الكتاب.

و قال ابن كثير: «هذا الحديث بهذا السياق غريب جدا» «۴».

- ص ۳۲۳، و التراتيب الإدارية ج ۲ ص ۷۷.

(۱) الزيادة من تلخيص المستدرك.

(۲) مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۹۶ و ۹۷ و تلخيصه للذهبى بهامشه، و راجع: وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۳۲ و ۳۳۳ و ۳۵۱ و راجع ص ۲۵۱، و البداية و النهاية ج ۳ ص ۲۱۸، و ج ۶ ص ۲۰۴ مصرحا بأن ذلك كان فى مسجد المدينة، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۵۶ و ۶۶، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۴۴ و ۳۴۳، و دلائل النبوة للبيهقى ج ۲ ص ۲۷۲.

(۳) تلخيص المستدرك للذهبى، المطبوع بهامش مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۹۷.

(۴) البداية و النهاية ج ۳ ص ۲۱۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۱۳

و ثانيا: و فى مقام الإشكال على حديث سفينة: فى أحجار الخلافة المتقدم «۱» قال البخارى فى تاريخه: «ابن حبّان لم يتابع على الحديث المذكور لأن عمر و عثمان، و علىّ (كذا) قالوا: لم يستخلف النبى (ص)» «۲».

لقد قالت عائشة: «لو كان رسول اللّه (ص) مستخلفا لاستخلف أبا بكر و عمر» و صححه الحاكم و الذهبى «۳».

يريد البخارى: أن هذا الحديث يخالف عقيدة أهل السنّة فى كون النبى (ص) لم ينصّ، و لم يستخلف. و بهذا يصححون خلافة أبى بكر التى جاءت بطريقة غير طبيعية و لا مألوفة.

و قد ذكر العلّامة الأمينى «۴» طائفة كبيرة من كلماتهم الدالة على أن الخلافة انتخابية، فهذه الرواية تكون كاذبة على مذهبهم. و هى كاذبة واقعا أيضا، لأنه (ص) إنما نصّ على أمير المؤمنين علىّ «عليه السلام» خليفة بعده، و النصوص الدالة على ذلك لا تكاد تحصى، و قد استدلّ بذلك أمير المؤمنين و صحبه، و أهل بيته و ولده، و شيعته من الصحابة و التابعين، و من بعدهم، و إلى يومنا هذا، و لا يكاد يخلو كتاب من تلك النصوص المتضافرة و المتواترة، جملة و آحادا «۵».

و ثالثا: إن هذه الرواية تذكر عثمان فى جملة الواضعين للاحجار الأولى،- و لكن عثمان- كما يقولون كان حينئذ فى الحبشة، كما أشار إليه السمهودى- و لم يكن حاضرا فى المدينة، و لأجل ذلك حذف السّهيلى

---

(۱) مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۱۳.

(۲) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۶۶.

(۳) مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۷۸.

(۴) راجع: الغدير ج ۵ ص ۳۵۷- ۳۷۵.

(۵) راجع على سبيل المثال: الغدير ج ۱ ص ۱۹۵- ۲۱۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۱۴

عثمان من الرواية «۱».

تحريف فى مستدرك الحاكم:

و لعل هذا هو السرّ فى حذفها تبرعا من نصّ الحاكم، حين طبع كتابه، لأن الذهبى ذكرها فى تلخيصه. و هذا يعدّ من التحريف الذى هو خيانة حقيقية للدين و للأمة و للأجيال.

و الخلاصة: أن عثمان و إن قدم مكة حين بلغهم اسلام أهل مكة، لكنهم لمّا تبيّن لهم خلاف ذلك، رجع عدة منهم و بقى عدة، و يبدو أن عثمان قد كان من جملة من رجع كما يدل عليه قولهم: إن عثمان قد هاجر الهجرتين إلى الحبشة «۲».

و ذكر العسقلانى: أنه بعد أن سمع المسلمون الذين فى الحبشة بهجرته (ص) إلى المدينة، عاد منهم ثلاثون إلى مكة و منهم ابن مسعود، الذى وصل المدينة فى حين كان (ص) يتجهز إلى بدر .. «۳».

و لكن لا ندرى كيف يصح كلام العسقلانى هذا؛ إذ ما هو السبب فى عودتهم إلى مكة، مع أن النبى (ص) قد تركها إلى المدينة!! إلا أن يكون هو إرادة الحصول على أموالهم. و هو بعيد.

ج: عثمان و عمار:

اشارة

و يقولون: «كان عثمان بن عفان رجلا نظيفا متنظفا، و كان يحمل اللبنة، فيجافى بها عن ثوبه، فإذا وضعها نفض كمه، و نظر إلى ثوبه، فإن

---

(۱) راجع وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۵۲.

(۲) راجع: طبقات ابن سعد ج ۱ قسم ۱ ص ۱۳۸، و الكامل لابن الأثير ج ۳ ص ۱۸۵، و فى البدء و التاريخ ج ۵ ص ۱۷: أن رقية زوجة عثمان أسقطت علقة فى السفينة فى هجرتها الأولى إلى الحبشة.

(۳) فتح البارى ج ۷ ص ۱۴۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۱۵

أصابه شىء من التراب نفضه، فنظر إليه على بن أبى طالب، فأنشأ يقول:

لا يستوى من يعمر المساجدايدأب فيها قائما و قاعدا

و من يرى عن التراب حائدا

فسمعها عمّار بن ياسر، فجعل يرتجز بها، و هو لا يدرى من يعنى بها، فمرّ بعثمان، فقال: يا ابن سميّة، بمن تعرّض- و معه جريدة- فقال:

لتكفّن، أو لأعترضنّ وجهك، فسمعها النبى (ص)، و هو جالس فى ظل بيت أم سلمة- و فى رواية: فى ظل بيته- فغضب «صلى اللّه عليه و آله»، ثم قال: إن عمار بن ياسر جلدة ما بين عينىّ و أنفى، فإذا بلغ ذلك من المرء فقد بلغ، و وضع يده بين عينيه.

فكفّ الناس عن ذلك، ثم قالوا لعمار: إن النبى (ص) قد غضب فيك، و نخاف أن ينزل فينا القرآن. فقال: أنا أرضيه كما غضب.

فقال: يا رسول اللّه، مالى و لأصحابك؟ قال: مالك و لهم، قال:

يريدون قتلى، يحملون لبنة لبنة، و يحملون علىّ اللبنتين و الثلاث.

فأخذ بيده، فطاف فى المسجد، و جعل يمسح و فرته من التراب، و يقول: يا ابن سميّة، لا يقتلك أصحابى، و لكن تقتلك الفئة الباغية «۱».

و هكذا نجد رسول اللّه (ص) يستفيد حتى من حالة المزاح التى يريد أن يشيرها عمّار، فى متابعة شؤون الدعوة، و فى تحصين المسلمين من الانخداع بأولئك الذين يظهرون الدين و التدين، و هم إنما يعملون من أجل تحقيق أهدافهم، و فى سبيل مصالحهم، فعلى الناس فى المستقبل أن يلتفتوا

---

(۱) سيرة ابن هشام ج ۲ ص ۱۴۲، تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۴۵، و الأعلاق النفيسة، و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۲۹، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۷۲، و قد ذكره فى الغدير ج ۹ ص ۲۱/ ۲۲ و ۲۷ عن مصادر كثيرة جدا، لكنه أخذ منه بعض فقراته، فلابد من مراجعة تلك المصادر الكثيرة لمن أراد المزيد من التحقيق.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۱۶

لهذه الحقيقة، كما أن هذه الإشارة منه (ص) إلى قتلة عمّار الذى سيقتله ابن عم عثمان (معاوية) بحجة الطلب بدم عثمان نفسه الذى له هذا الموقف الخشن من عمّار، لا يخلو من طرافة، و هو أمر يدعو إلى التأمل و التدبّر حقا.

ألم يكن عثمان فى الحبشة؟!

و نعود إلى سياق الحديث فنقول: و لكن أليس قد قدمنا: أن عثمان لم يكن حاضرا حين بناء المسجد، و إنما كان فى الحبشة؟!

و لعله لأجل هذا استبدل العسقلانى، و الحلبى عثمان بن عفان بعثمان بن مظعون «۱».

و قبل أن نجيب عن ذلك نشير إلى ما تقدم من أنه لا مورد لهذا الكلام لو قلنا: إنه (ص) قد بقى عند أبى أيوب سنة أو سبعة أشهر، لأنه كان مشغولا ببناء المسجد و بيوته، إذ من الممكن أن يصل الخبر إلى المهاجرين فى الحبشة، و يأتون إلى المدينة خلال هذه المدة، و منهم عثمان، فيكون عثمان قد شارك فى البناء، و جرى ما جرى، و إن لم يشارك فى التأسيس، و وضع أحجار الخلافة!!.

و لكننا على أى حال، قد استبعدنا بقاء المسلمين هذه المدة الطويلة فى بناء مسجده (ص)، و هم يعدّون بالعشرات. و قد بايعه منهم فى العقبة أكثر من ثمانين من المدنيين.

و الجواب الصحيح هنا هو: أن الظاهر هو أن قضية عثمان و عمّار قد وقعت حين البناء الثانى للمسجد، و ذلك بعد عام خيبر، أى فى السنة

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۷۱، و هامش السيرة النبوية لابن هشام ج ۲ ص ۱۴۲ عن المواهب اللدنية.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۱۷

السابعة للهجرة «۱».

و يدلّ على ذلك.

أولا: ما رواه البيهقى فى الدلائل قال: لمّا قتل عمّار قال عبد اللّه بن عمرو بن العاص لأبيه: قد قتلنا هذا الرجل، و قد قال رسول اللّه فيه ما قال! قال: أى رجل؟ قال: عمّار بن ياسر، أما تذكر يوم بنى رسول اللّه (ص) المسجد، فكنا نحمل لبنة لبنة، و عمّار يحمل لبنتين، فمرّ على رسول اللّه (ص)، فقال: تحمل لبنتين و أنت ترحض؟ أما إنك ستقتلك الفئة الباغية، و أنت من أهل الجنة، فدخل عمرو إلى معاوية إلخ «۲».

قال السمهودى بعد ذكر هذه الرواية: «قلت: و هو يقتضى أن هذا القول لعمّار كان فى البناء الثانى للمسجد، لأن إسلام عمرو كان فى الخامسة» «۳».

و روى عبد الرزاق و غيره: أن عمرو بن العاص دخل على معاوية، و أخبره: أنه سمع رسول اللّه (ص) يقول لعمّار: تقتله الفئة الباغية «۴».

و دخل رجلان على معاوية يختصمان برأس عمار، فقال لهما

---

(۱) وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۳۸.

(۲) تذكرة الخواص ص ۹۳ عن ابن سعد فى الطبقات، و الفتوح لإبن أعثم ج ۳ ص ۱۱۹ و ۱۳۰، و الثقات لإبن حبان ج ۲ ص ۲۹۱، و أنساب الأشراف بتحقيق المحمودى ج ۲ ص ۳۱۳ و ۳۱۷، و طبقات ابن سعد ج ۳ قسم ۱ ص ۱۸۰ و ۱۸۱، و نقل عن مصنف ابن أبى شيبة و مسند أحمد ج ۲ ص ۱۶۴، و راجع هامش ص ۳۱۳ من أنساب الأشراف ج ۲ بتحقيق المحمودى، و مناقب الخوارزمى ص ۱۶۰، و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۳۱/ ۳۳۲.

(۳) وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۳۱/ ۳۳۲.

(۴) المصنف ج ۱۱ ص ۲۴۰، و ليراجع مجمع الزوائد ج ۹ ص ۲۹۷، و ج ۷ ص ۲۴۲ عن أحمد فى المسند و الطبرانى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۱۸

عبد اللّه بن عمرو بن العاص: لتطب نفس كل واحد منكما لصاحبه برأس عمّار، فإنى سمعت رسول اللّه (ص) يقول: تقتل عمّار الفئة الباغية. فقال معاوية لعمرو: ألا تغنى عنا مجنونك هذا؟ «۱».

و معلوم: أنها قضية واحدة فى مناسبة واحدة.

و ثانيا: لقد ورد فى الرواية نفسها ما يدل على أنها قد كانت فى البناء الثانى، و ذلك لأنها ذكرت: أنه (ص) كان- يستظلّ ببيت أم سلمة-. و معلوم أنه (ص) قد بنى المسجد أولا، ثم بنى بيوته «۲». كما أنه (ص) كان يبنى بيوته بالتدريج عند الحاجة إليها. و أول ما بنى بيت سودة و عائشة «۳»، فلا ريب فى أنه (ص) قد بنى بيت أم سلمة بعد بنائه المسجد بمدة طويلة. و ذلك بعد موت أبى سلمة كما سيأتى.

سرّ انتصار النبى (ص) لعمّار:

و يلاحظ هنا: أن المسلمين قد كانوا على درجة من الوعى، بحيث كانوا يدركون: أن عملهم هذا ليس لأجل الدنيا، و إنما هو للآخرة، و أن الآخرة هى التى يجب أن يكون لها المقام الأول و الأخير فى تفكيرهم، و أعمالهم و مواقفهم، فإن العيش الحقيقى هو عيش الآخرة، بل لا عيش سواه، و الخسران المبين هو الخسران فيها.

---

(۱) أنساب الأشراف بتحقيق المحمودى ج ۲ ص ۳۱۳، و مسند أحمد فى مسند عبد اللّه بن عمرو، و فى هامش الأنساب عن مصنف ابن أبى شيبة، و عن فتح البارى، و عن مصادر كثيرة.

(۲) زاد المعاد ج ۱ ص ۲۵ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۸۷.

(۳) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۴۶، و وفاء الوفاء ج ۲ ص ۴۵۸ و ۴۶۲: استظهر الشمس الذهبى أنه بنى أولا بيت سودة، ثم لما احتاج إلى منزل عائشة بناه، و هكذا سائر بيوته (ص) بناها فى أوقات مختلفة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۱۹ اللهم لاـ عيش إلا عيش الآخرةاللهم ارحم الأنصار و المهاجرة و كان انتصار النبى (ص) لعمّار، الذى ملىء إيمانا إلى مشاشه- كما جاءت به الرواية عنه (ص) «۱»- و عذّب فى سبيل اللّه، و لم يزل و لا يزال يعمل من أجل دينه و عقيدته بإخلاص و وعى، كان انتصار النبى (ص) له من هذا المنطلق بالذات، حينما تهدده بعض من كان يدلّ عمله و تصرفاته، و تجافيه عن الغبار و التراب على أنه ليس بالمستوى المطلوب، بل ربما كان للدنيا بالنسبة إليه المقام الأول، كما ربما يستفاد من أفعاله اللاحقة. فانتصر النبى (ص) لعمّار، ليدلّ على أنه منسجم مع جهاده، و مع وعيه و إخلاصه لدينه و عقيدته.

هذا، و لابدّ من التنبيه أخيرا، إلى أن عثمان قد حاول تعيير و تحقير عمّار بنسبته إلى أمه، حيث قال له: «يا ابن سميّة بمن تعرض؟ إلخ» مع أن أم عمّار كانت أول شهيد فى الاسلام، حيث قتلت بفعل التعذيب من أجل دينها و عقيدتها.

و قد أشار النبى (ص) فى انتصاره لعمّار و محاماته عنه إلى المقام الشامخ لأمه الصابرة المجاهدة سميّة (رحمها اللّه) فينسبه إليها، و

يقول:

«يا ابن سميّة لا يقتلك أصحابى إلخ».

لماذا المسجد أولا:

إن من الملاحظ: أن أول عمل بدأ به (ص) فى المدينة هو بناء المسجد. و هو عمل له دلالته و أهميته البالغة.

---

(۱) البداية و النهاية ج ۷ ص ۳۱۲، و سنن النسائى ج ۸ ص ۱۱۱، و الإصابة ج ۲ ص ۵۱۲، و تهذيب التهذيب ج ۷ ص ۴۰۹، و حلية الأولياء ج ۱ ص ۱۳۹، و سنن ابن ماجة ج ۱ ص ۵۲، و الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ۲ ص ۴۷۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۲۰

و ذلك لأن المسلمين كانوا فئتين: مهاجرين و أنصارا. و تختلف ظروف كل من الفئتين، و أوضاعها النفسية، و المعنوية، و المعيشية، و غير ذلك عن الفئة الأخرى.

و المهاجرون أيضا كانوا من قبائل شتّى، و مستويات مختلفة:

فكريا، و إجتماعيا، ماديا، و معنويا، كما و يختلفون فى طموحاتهم، و تطلعاتهم، و فى مشاعرهم، و فى علاقاتهم، ثم فى نظرة الناس إليهم، و مواقفهم منهم، و تعاملهم معهم، إلى غير ذلك من وجوه التباين و الإختلاف. و قد ترك الجميع أوطانهم و أصبحوا بلا أموال، و بلا مسكن، إلى غير ذلك مما هو معلوم. و كذلك الأنصار؛ فإنهم أيضا كانوا فئتين متنافستين، لم تزل الحرب بينهما قائمة على ساق و قدم إلى عهد قريب.

و قد أراد الإسلام أن ينصهر الجميع فى بوتقة الإسلام ليصبحوا كالجسد الواحد، فى توادهم و فى تراحمهم و تعاونهم، و غير ذلك، و أن تتوحّد جهودهم و أهدافهم، و حركتهم، و مواقفهم، الأمر الذى يؤكد الحاجة إلى إعداد و تربية نفسية، و خلقية، و فكرية لكل هذه الفئات، لتستطيع أن تتعايش مع بعضها البعض، و لتكون فى مستوى المسؤولية، التى يؤهلها لها فى عملية بناء للمجتمع المتكافل المتماسك الذى هو نواة الأمة الواحدة التى لها ربّ واحد و هدف واحد، و مصير واحد.

و ليصبح هذا المجتمع قادرا على تحمل مسؤولية حماية الرسالة، و الدفاع عنها، حينما يفرض عليه أن يواجه تحدى اليهود فى المدينة، و العرب و المشركين، بل و العالم بأسره، لا بدّ أن تنصهر كل الطاقات و القدرات الفكرية و المادية و غيرها لهذا المجتمع فى سبيل خدمة الهدف:

الرسالة فقط.

و المسجد هو الذى يمكن فيه تحقيق كل ذلك، إذ لم يكن مجرد محل للعبادة فقط و لا غير. بل كان هو الوسيلة الفضلى للتثقيف الفكرى،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۲۱

إن لم نقل: إنه لا يزال حتى الآن أفضل وسيلة لوحدة الثقافة و الفكر و الرأى، حينما يفترض فيها أن تكون من مصدر واحد، و تخدم هدفا واحدا فى جميع مراحل الحياة، مع الشعور بالقدسيّة، و الإرتباط باللّه تعالى.

و هكذا فإن ذلك من شأنه أن يبعد المجتمع المسلم عن الصراعات الفكرية، التى تنشأ عن عدم وجود وحدة موضوعية للثقافة التى يتلقاها أفراده كل على حدة، فتتخالف المفاهيم و الأفكار و المستويات، و تزيد الفجوات إتساعا باستمرار، حتى يظهر نتيجة لذلك عدم الإنسجام فى وضوح الهدف، و فى المشاعر، و فى الإندفاع نحوه، مما يؤثر تأثيرا كبيرا على مسيرة الوصول إليه، و الحصول عليه.

و بهذا يتّضح: أن المدرسة التى نعرفها اليوم إذا كانت لا تعطى إلا المفاهيم الجافة، و الأفكار البعيدة عن واقع الإنسان، و التى لا

تنسجم مع إحتياجاته، و لا مع تكوينه النفسى و الفكرى و غير ذلك، بالإضافة إلى عدم الشعور فيها باللّه سبحانه و تعالى، أو الخضوع له. فإن هذه المدرسة لن تكون هى الوسيلة المنشودة، بل يكون المسجد هو الأفضل و الأمثل حسبما أوضحناه، لا سيما و أنها لن تكون قادرة على ملء الفراغ العقائدى و الفكرى له، حيث يبقى عرضة للتيارات و الأهواء، و فى متناول أيدى المتاجرين بالشعوب عن طريق وسائل الإعلام الهدّامة التى يملكونها.

و أما استعمال وسائل الإعلام فى عملية الإعداد و التربية، فإنها بالإضافة إلى ما تقدم، تجعل الإنسان إنطوائيا و محدودا يفكر تفكيرا شخصيا بشكل عام، و تقلل فيه إحساسه بالحاجة إلى الآخرين، و إلى الإرتباط بهم، و لا تسهل عليه محبتهم و مودتهم.

و خلاصة الأمر: إن العمل الاجتماعى عبادة، و الجهاد عبادة، و العمل السياسى حتى استقبال الوفود، و تدبير أمور المسلمين عبادة أيضا.

و هكذا يقال فى علاقات المؤمنين بعضهم ببعض، و تزاورهم و حضورهم

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۲۲

مجلس الرسول (ص) و تعلمهم الأحكام، فإن كل ذلك و سواه عبادة أيضا.

و المسجد هو أجلى و أفضل موضع تتجلّى فيه هذه العبادة، كما أن المسجد هو الوسيلة الفضلى للتثقيف، و للتربية النفسية، و الخلقية، و العقائدية.

و هو من الجهة الأخرى وسيلة لشيوع الصداقات، و بثّ روح المحبة و المودة بين المسلمين، فإنه حينما يلتقى المسلمون ببعضهم البعض عدّة مرات يوميا فى جو من الشعور- عملا- بالمساواة و العدل، و حينما تتساقط كل فوارق الجاه و المال، و غيرها، و يبتعد شبح الأنانية و الغرور عن أفق هذا الإنسان، فإنه لابدّ أن تترسخ حينئذ فيما بين أفراد هذا المجتمع أواصر المحبة و التآخى و التآلف، و يشعر كل من أفراده بأنه فى مجتمع يبادله الحب و الحنان، و أن له إخوانا يهتمون به، و يعيشون قضاياه و مشاكله، و يمكنه أن يستند إليهم، و يعتمد عليهم، الأمر الذى يجعل هذا المسلم يثق بنفسه و بدينه، و بأمته، و ليكون المثال الحى للمؤمن الصادق الواعى و الواثق، و لتكون الأمة من ثم خير أمّة أخرجت للناس.

ثم إن المسجد يساعد على تبسيط العلاقات بين أفراد المجتمع الواحد، و يقلل من مشاكل التعامل الرسمى، و التكلفات البغيضة، التى توحى بوجود فوارق و مميزات، بل و حدود تفصل هذا عن ذاك، و بالعكس.

و بعد .. فإن اهتمام الإسلام بالمسجد و تأسيسه، حتى إن ذلك كان أول أعماله (ص) فى قباء، ثم فى المدينة، ليدلّنا دلالة واضحة على أنه يريد منا أن نتعامل مع هذه الدنيا، و نستفيد منها من منطلق دينى، فإنما هى مزرعة الآخرة، فلا بدّ و أن تقاد قيادة إلهيّة و يستفاد منها من خلال الإرتباط به تعالى.

و بعد ما تقدم، فإننا نعرف: أن النبى (ص) قد أسس المسجد

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۲۳

ليكون بمثابة مركز للقيادة و الريادة، ففيه كان (ص) يستقبل الوفود، و يبتّ فى أمور الحرب و السلم، و يفصل الخصومات. و فيه كان يتمّ البحث عن كل ما يهم الدولة و شؤونها، و الناس، و معاملاتهم و ارتباطاتهم، و ليهب المسجد الناس نفحة روحية، و ارتباطا باللّه جلّ و علا، و ببعضهم البعض فى كل مجالات الحياة، و منطلقاتها، بعيدا عن النوازع الذاتية، و عن الحساسيات القبلية و العرقية، و عن تأثيرات الفوارق الإجتماعية، و فيه كان يجد الضعيف قوته، و المهموم المغموم سلوته، و الذى لا عشيرة له ينسى بل يجد فيه عشيرته، و المحروم من العطف و الحنان يجد فيه من ذلك بغيته.

و الخلاصة، لقد كان المسجد موضع عبادة و تعلم و تفهم لما يفيد فى أمور الدين و الدنيا، و تربية نفسية و خلقية، و محلا للبحث فى كل المشاكل التى تهم الفرد و المجتمع، و مكانا مناسبا للتعارف و التآلف بين المسلمين .. إلى غير ذلك مما تقدم.

مشاركة النساء فى بناء المسجد:

و بعد فقد ورد فى بعض النصوص: أن النساء قد شاركن فى بناء المسجد، فكنّ يحملن الحجارة لبناء المسجد ليلا، و الرجال نهارا «۱».

و نشير هنا إلى أمرين:

أحدهما: إن مشاركة المرأة فى أمر كهذا، له مساس بالحالة السياسية و الإجتماعية و العبادية، يعتبر أمرا مهما جدا، إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن المرأة لم يكن لها أى دور فى الحياة و كان العربى يحتقرها، و يمارس ضدّها أبشع أنواع المعاملة، كما تقدمت الإلماحة إلى ذلك فى

---

(۱) راجع: كشف الأستار عن زوائد البزار ج ۱ ص ۲۰۶ و ۲۲۲ و ۲۴۹ و مجمع الزوائد.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۲۴

الجزء الثانى من هذا الكتاب.

الثانى: إن هذه المشاركة قد روعى فيها عنصر الحفاظ على الجوّ الخاص بالمرأة، بعيدا عن أجواء الإثارة التى لابدّ و أن تترك آثارها السلبية على المجتمع، نتيجه للإختلاط، و عدم التحفظ، الذى ينشأ عن عملهنّ نهارا فى مرأى و مسمع من الرجال الأجانب.

مشاركة النبى (ص) فى بناء المسجد:

و لقد كان المسلمون قادرين على القيام بمهمة بناء المسجد، و لم تكن ثمّة حاجة مادية لمشاركته (ص)، و لكنه (ص) قد آثر المشاركة فى عملية البناء، الأمر الذى أثار الحماس لدى المسلمين، فاندفعوا يعملون بجدّ و نشاط، و كان نشيدهم:

لئن قعدنا و النبى يعمل لذاك منّا العمل المضلّل كما أن هذه المشاركة قد أعطت قيمة خاصة للعمل، و عبرت عن مدى إرتباط النبى (ص) به وحبه له. و فوق ذلك، فإنه قد بيّن بذلك الخط العام لشخصية القائد فى الإسلام، و أنه يجب أن يكون شعوره بالمسؤولية تجاه العمل يتعدّى حدود إصدار الأوامر إلى الآخرين، و لا سيما إذا كان ذلك يرتبط بالهدف الأقصى، و المصلحة العليا للإسلام و للمسلمين.

ثم إنه كان يريد أن يكون ذلك الإنسان المتواضع المحبّب للناس، الألوف لهم، و يكون معهم كأحدهم، فلا يستعلى عليهم، و لا يحتجب عنهم، و ليكون ذلك هو الدرس العملى لمن يعاصره (ص) من أصحاب النفوذ، و تأديبا لمن يأتى بعده من حكام و خلفاء و غيرهم.

جماعة خاصة بالنساء:

و يقولون: إنه كان للنساء جماعة خاصة بهم، فكان الرجال يصلون

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۲۵

فى المسجد و النساء يصلّين فى رحبة المسجد بإمامة سليمان بن أبى حثمة، و حين تسلّم عثمان الخلافة جمع بين الرجال و النساء «۱».

و الظاهر: أن الفصل بين النساء و الرجال قد جاء بعد وفاة النبى (ص) و أصل هذا الفصل قد كان فى زمن عمر بن الخطاب، و فى صلاة التراويح التى ابتدعها «۲» ثم عاد عثمان فجمع بين النساء و الرجال.

فلمّا كانت خلافة أمير المؤمنين «عليه السلام» عاد ففصل بين الرجال و النساء، و صار يصلّى بالنساء رجل إسمه عرفجة «۳».

و لكن هناك إشكال فى هذه الروايات و هو أنها تذكر: أن عليّا «عليه السلام» قد فعل ذلك فى قيام شهر رمضان، أى فى الصلاة

المعروفة بصلاة التراويح.

و من المعلوم: أن عليا «عليه السلام» كان يعتبر ذلك بدعة، و كان يمنع عنه «۴» فكيف يفعله؟ فالصحيح هو أن ما فعله «عليه السلام» إنما كان فى الصلوات اليومية لا فى صلاة التراويح.

كانت تلك بعض المعانى التى نستفيدها من عملية بناء المسجد، و لربما نجد الفرصة للتحدث عن ذلك فى فرصة أخرى إن شاء اللّه تعالى.

المؤاخاة على التوارث موضع شك:

و نحن نشك فى أن يكون (ص) قد آخى بينهم على التوارث:

أولا- لأن رفع هذا الحكم إن كان نسخا، فلا معنى للنسخ قبل حضور وقت العمل. كما أنه يلزم أن يكون تشريع التوارث للمتآخيين عبثا، و بلا فائدة.

إلا أن يقال: إن نفس جعل الحكم، و أن يعيش المسلمون هذه الأجواء الأخوية، و الشديدة التلاحم إلى هذا الحد، كان ضروريا فى تلك الفترة من الزمن.

و لكن الذى تطمئن إليه النفس هو أن نفس المسلمين، أو بعضهم،

ص ۱۵۲، و عن المقريزى، عن المنتقى فى مولود المصطفى، و المواهب اللدنية ج ۲ ص ۷۱، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۵، عن أسد الغابة، و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۶۷، و فتح البارى ج ۷ ص ۲۱۰، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۹۲.

(۱) طبقات ابن سعد ط ليدن ج ۱ قسم ۲ ص ۱.

(۲) راجع بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمه اللّه ج ۱۹ هامش ص ۱۳۰، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۹۲/ ۹۳.

(۳) الإصابة ج ۲ ص ۴۶۴، و الكامل لابن الأثير ط صادر ج ۲ ص ۱۴۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۲۷

هم الذين تخيلوا أن هذه الأخوة ربما تمتد إلى حد توريث بعضهم من بعض.

و ثانيا: لماذا لم يورث النبى «صلى اللّه عليه و آله» ممن استشهدوا فى بدر من المهاجرين أو الأنصار، مع أن ذلك قد كان قبل نزول آية وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ. حيث إن قولهم: إنه لم يمت أحد من المؤمنين قبل عثمان بن مظعون، الذى مات بعد بدر، لا يصح، إذ قد استشهد فى بدر نفسها عدد منهم. نعم يمكن أن يكون عثمان بن مظعون أول مسلم مات حتف أنفه، أو لعله أول مسلم مات من المهاجرين.

و ثالثا: إن كون عثمان بن مظعون مات بعد نزول الآية الرافعة للحكم السابق غير معلوم. و إنما ذلك محض اجتهاد من المؤرخين و المؤلفين.

عدد الذين كانت المؤاخاة بينهم:

و يقولون: كان المسلمون حين المؤاخاة تسعين رجلا، منهم خمسة و أربعون رجلا من الأنصار، و مثلهم من المهاجرين. و يدعى ابن الجوزى: أنه أحصاهم فكانوا جميعا ستة و ثمانين رجلا. و قيل: مئة رجل «۱».

و لربما يكون هذا هو العدد الذى وقعت المؤاخاة بين أفراده حسبما توفر من عدد المهاجرين. لا أن عدد المسلمين كان هو ذلك؛ و إلا فإنها تكون صدفة نادرة أن يكون عدد من أسلم من المهاجرين مساويا لعدد من

(۱) راجع: طبقات ابن سعد ج ۱ قسم ۲ ص ۱، و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۷۱، و فتح البارى ج ۷ ص ۲۱۰، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۹۰، و البحار ج ۱۹ ص ۱۳۰ عن المنتقى، و المقريزى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۲۸

أسلم من الأنصار بلا زيادة و لا نقيصة!!

و مهما يكن من أمر، فإن النبى الأكرم (ص) استمر يجدد المؤاخاة، بحسب من يدخل فى الإسلام، أو يحضر إلى المدينة من المسلمين «۱» و يدل على ذلك، أنهم يذكرون: أنه (ص) قد آخى بين أبى ذر و المنذر بن عمرو أو سلمان الفارسى، و أبوذر إنما قدم المدينة بعد أحد، كما أنه قد آخى بين الزبير و ابن مسعود، و قد وصل ابن مسعود إلى المدينة و النبى (ص) يتجهز إلى بدر «۲».

و لكن، ربما يشكل على العدد المذكور فى قضية المؤاخاة: بأن المسلمين كانوا أكثر من ذلك بكثير، فقد بايعه من أهل المدينة فى العقبة الثانية أكثر من ثمانين، كما أنه جهز جيشا بعد عشرة أو ثلاثة عشر شهرا إلى بدر قوامه ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلا.

و يمكن الجواب أولا: بما ذكره البعض من أن المؤاخاة كانت بين مئة و خمسين من الأنصار، و مئة و خمسين من المهاجرين «۳».

و ثانيا: لو قلنا بعدم صحة ذلك؛ لأن الذين خرجوا من المهاجرين إلى بدر كانوا ما بين الستين و الثمانين- على اختلاف النقل- فإننا نقول:

إن المذكور فى النص هو العدد المهاجرى الذى وقعت المؤاخاة بينه و بين نظيره من الأنصار. و قد كان الأنصار أكثر بكثير من المهاجرين، و المهاجرون هم الذين كانوا خمسة و أربعين، على ما يظهر، فكانت المؤاخاة بين هؤلاء و بين مثلهم من الأنصار، ثم استمرت المؤاخاة كلما ازداد عدد المهاجرين، حتى بلغوا مئة و خمسين رجلا، كما فى النص الآنف الذكر.

(۱) فتح البارى ج ۷ ص ۲۱۱.

(۲) فتح البارى ج ۷ ص ۱۴۵.

(۳) راجع: البحار ج ۱۹ ص ۱۳۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۲۹

و ذلك لا يعنى أن يبقى الآخرون من مسلمى الأنصار من دون مؤاخاة فيما بينهم.

المؤاخاة بين كل و نظيره:

و لقد كان «صلى اللّه عليه و آله» يؤاخى بين الرجل و نظيره، كما يظهر من ملاحظة المؤاخاة قبل الهجرة، و بعدها، فقد آخى قبل الهجرة- على الظاهر- بين أبى بكر و عمر، و بين طلحة و الزبير، و بين عثمان و عبد الرحمان بن عوف، و بين نفسه و على «۱». و لكن ابن حبان يذكر: أن ذلك كان فى المؤاخاة الثانية فى المدينة، و زاد فيهم: سعد بن أبى وقاص، و عمار بن ياسر «۲» و هؤلاء كلهم من المهاجرين.

و فى المدينة آخى بين أبى بكر و خارجة بن زهير، و بين عمر و عتبان بن مالك، و هكذا ... ثم أخذ بيد على فقال: هذا أخى. و آخى أيضا بين حمزة و زيد بن حارثة، و بين جعفر بن أبى طالب و معاذ بن جبل.

و قد أورد على هذا الأخير بأن جعفرا كان حينئذ فى الحبشة «۳».

و الجواب عنه: هو ما تقدم، من أنه (ص) قد استمر يؤاخى بين المسلمين كلما قدم المدينة منهم أحد.

و قد أجاب البعض: بأنه أرصده لأخوته حين يقدم «۴».

(۱) مستدرک الحاکم ج ۳ ص ۱۴، و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۶۷ و ۲۶۸، و السیرة الحلبیة ج ۲ ص ۲۰، و السیرة النبویة لدحلان ج ۱ ص ۱۵۵، و فتح الباری ج ۷ ص ۲۱۱، و الإستیعاب.

(۲) الثقات ج ۱ ص ۱۳۸- ۱۴۲.

(۳) سیرة ابن هشام ج ۲ ص ۱۵۱، و السیرة الحلبیة، و غیر ذلک.

(۴) البدایة و النهایة ج ۳ ص ۲۲۷، و السیرة الحلبیة ج ۲ ص ۹۱.

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۴،ص:۲۳۰

فیرد سؤال: ما هو السبب فی تخصیص جعفر بهذا الأمر؟! إلا أن یقال: إن المقصود هو إظهار الإهتمام بشأن جعفر، و التنبیه علی فضله.

مؤاخاة النبی (ص) لعلی:

و روی أحمد بن حنبل و غیره: أنه (ص) آخی بین الناس، و ترک علیا حتی الأخیر، حتی لا یری له أخا؛ فقال: یا رسول اللّه، آخیت بین أصحابک و ترکتنی؟

فقال: إنما ترکتک لنفسی، أنت أخی، و أنا أخوک، فإن ذکرک أحد، فقل: أنا عبد اللّه و أخو رسوله، لا یدعیها بعدک إلا کذاب. و الذی بعثنی بالحق، ما أخرتک إلا لنفسی، و أنت منی بمنزلة هارون من موسی، إلا أنه لا نبی بعدی، و أنت أخی و وارثی «۱».

و من طریف الأمر: أنه «علیه السلام»، قد قال هذه الکلمة بعد وفاة النبی «صلی اللّه علیه و آله»: أنا عبد اللّه و أخو رسوله، و ذلک فی خضم الأحداث التی انتهت بغصب الخلافة من وارث النبی «صلی اللّه علیه و آله»، فکذبوه؟! و قالوا له: أما عبد اللّه فنعم، و أما أخو رسوله فلا «۲».

فاعجب بعد هذا ما بدا لک!!

(۱) راجع: نهج الحق فی ضمن دلائل الصدق ص ۲۶۷، و ینابیع المودة ص ۵۶، و تذکرة الخواص ص ۲۳ عن أحمد فی الفضائل، و صححه، و ابن الجوزی، و نقل عن کنز العمال ج ۶ ص ۳۹۰، و الریاض النضرة ج ۲ ص ۲۰۹، و تاریخ ابن عساکر ج ۶ ص ۲۱، و کفایة الشنقیطی ص ۳۵ و ۴۴ و الثقات ج ۱ ص ۱۴۱/ ۱۴۲.

(۲) الإمامة و السیاسة ج ۱ ص ۱۳، و أعلام النساء ج ۴ ص ۱۱۵، و تفسیر البرهان ج ۲ ص ۹۳.

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۴،ص:۲۳۱

و قوله (ص): و أنت أخی و وارثی یطرح علینا سؤالا، و هو أنه إذا کان المراد: أنه وارث لعلم النبی (ص) دون غیره، فمن أولی بمقام النبی «صلی اللّه علیه و آله» منه؟! و إن کان المراد: أنه وارثه بقول مطلق، حتی المال، فیرد علیه: أن المال کان حقا لفاطمة علیها السلام «۱». و قد استولی الذین جاؤوا بعد النبی (ص) علی أموالها، و منها فدک و غیرها کما سنذکره حین الکلام حول غزوة بنی النضیر فی هذا الکتاب إن شاء اللّه تعالی.

و مهما یکن من أمر، فإن التأمل فی عملیة المؤاخاة یعطینا: أنه قد لوحظ فیها المسانخة بین الأشخاص، و تشابه و تلاؤم نفسیاتهم، و إلی ذلک أشار الأزری رحمه اللّه حینما قال مخاطبا علیا «علیه السلام»:

لک ذات کذاته حیث لولاأنها مثلها لما آخاها

تواتر حدیث المؤاخاة:

و على كل حال، فإن حديث المؤاخاة متواتر لا يمكن إنكاره، و لا التشكيك فيه، و لا سيما مؤاخاة النبى (ص) لعلى (ع)، سواء فى المؤاخاة الأولى فى مكة، أم فى الثانية فى المدينة، و هو مروى عن عشرات من الصحابة و التابعين كما يتضح للمراجع «۲».

---

(۱) راجع: الكافى ج ۱ ص ۴۵۸ بتحقيق الغفارى، و البحار ط حجرية ج ۸ ص ۲۳۱ وط جديد ج ۱۰۰ ص ۱۹۷، و كشف الغمة ج ۲ ص ۱۳۲، و الأمالى للطوسى ج ۱ ص ۱۰۸، و العوالم ج ۱۱ ص ۵۱۸، و الأمالى للمفيد ص ۲۸۳ ط جماعة المدرسين، و راجع: مرآة العقول ج ۵ ص ۳۳۱، و غير ذلك.

(۲) راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۵۳، و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۶۷ و ۲۶۸، و ينابيع المودة ص ۵۶ و ۵۷ عن مسند أحمد، و تذكرة الخواص ص ۲۲- ۲۴، و حكى عن الترمذى أنه صححه، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۰ و ۹۰، و مستدرك

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۳۲

و قد روى: أن النبى (ص) قال لعلى (ع): إذا كان يوم القيامة نوديت من بطنان العرش، نعم الأب أبوك إبراهيم، و نعم الأخ أخوك على بن أبى طالب «۱».

و عليه فلا يصغى لدعوى أن النبى قد آخى بين على و عثمان «۲»، أو

الحاكم ج ۳ ص ۱۴، و الثقات لإبن حبان ج ۱ ص ۱۳۸، و فرائد السمطين ج ۱ الباب العشرون، و الفصول المهمة لابن الصباغ ص ۲۲ و ۲۹، و البداية و النهاية ج ۳ ص ۲۲۶ و ج ۷ ص ۳۵، و تاريخ الخلفاء ص ۱۷۰، و دلائل الصدق ج ۲ ص ۲۶۸- ۲۷۰ عن كنز العمال، و عن البيهقى فى سننه، و الضياء فى المختارة، و عبد اللّه بن أحمد فى زيادات المسند ثمانية أحاديث، و أبيه فى المسند و فى الفضائل، و أبى يعلى و الطبرانى، و ابن عدى، و الجمع بين الصحاح الستة، و أخرج الخوارزمى إثنى عشر حديثا، و ابن المغازلى ثمانية أحاديث، و سيرة ابن هشام ج ۲ ص ۱۵۰.

و الغدير ج ۳ ص ۱۱۲ حتى ص ۱۲۵ عن بعض من تقدم و عن المصادر التالية:

جامع الترمذى ج ۲ ص ۱۳، و مصابيح البغوى ج ۲ ص ۱۹۹، و الإستيعاب ج ۲ ص ۴۶۰، ترجمة أمير المؤمنين، وعد حديث المؤاخاة من الآثار الثابتة، و تيسير الوصول ج ۳ ص ۲۷۱، و مشكاة المصابيح هامش المرقاة ج ۵ ص ۵۶۹، و المرقاة ص ۷۳- ۷۵، و الإصابة ج ۲ ص ۵۰۷، و المواقف ج ۳ ص ۲۷۶، و شرح المواهب ج ۱ ص ۳۷۳، و طبقات الشعرانى ج ۲ ص ۵۵، و تاريخ القرمانى هامش الكامل ج ۱ ص ۲۱۶، و سيرة دحلان هامش الحلبية ج ۱ ص ۳۲۵، و كفاية الشنقيطى ص ۳۴، و الإمام على تأليف محمد رضا ص ۲۱، و الإمام على لعبد الفتاح عبد المقصود ص ۷۳، و الفتاوى الحديثية ص ۴۲، و شرح النهج ج ۲ ص ۶۲، و صححه وعده مما استفاض من الروايات، و كنز العمال ج ۶ ص ۲۹۴ و ۲۹۹ و ۳۹۰ و ۳۹۹ و ۴۰۰ و ۵۴.

(۱) ربيع الأبرار ج ۱ ص ۸۰۷ و ۸۰۸.

(۲) تاريخ ابن خلدون ج ۲ ص ۳۹۷، و الغدير ج ۹ ص ۹۴ ۹۵ و ۳۱۸ عن الرياض النضرة ج ۱ ص ۱۷، و عن الطبرى ج ۶ ص ۱۵۴، و عن كامل ابن الأثير ج ۳ ص ۷۰، و عن المعتزلى ج ۱ ص ۱۶۵، و لكنه فى ج ۲ ص ۵۰۶ ذكر نفس الحديث عن الطبرى من دون ذكر المؤاخاة!!!.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۳۳

بين النبى (ص) و عثمان؛ فإن ذلك لا ريب فى بطلانه «۱»؛ فإن المقصود من ذلك هو الرفع من شأن عثمان، و تكذيب فضيلة لعلى «عليه السلام»، بل و جعل عثمان و على (ع) فى مستوى واحد، و كيف؟! و أنّى؟!

تكنية على بأبى تراب:

و يـذكر البعض هنـا: أن عليا (ع) لما رأى أنه (ص) لم يؤاخ بينه و بين أحـد، خرج كئيبا إلى المسـجد، فنام على التراب؛ فجاءه (ص)، فجعل ينفض التراب عن ظهره، و يقول: قم يا أبا تراب، ثم آخى بينه و بين نفسه «۲».

و لكن الظـاهر هو أن هـذه التسـمية قـد كـانت فى مناسـبة أخرى غير هـذه، و لسوف نتعرض لهـا حين الحـديث عن السـرايا فى الآتى القريب إن شاء اللّه تعالى.

مع المنكرين لمؤاخاة النبى (ص) لعلى (ع):

و بعـد كل تلك المصادر المتقدمـة، و التى هى غيض من فيض، نجد ابن حزم و ابن كثير ينكران صـحة سـند حديث المؤاخاة «۳». و أنكره أيضـا ابن تيميـة، و اعتبره باطلا موضوعـا، بحجـة أن المؤاخـاة بين المهـاجرين و الأنصار إنما كانت لإرفاق بعضـهم ببعض، و لتأليف قلوب بعضهم على بعض، فلا معنى لمؤاخاة النبى (ص) لأحد منهم، و لا لمؤاخاة مهاجرى

---

(۱) طبقات ابن سعد ط ليدن ج ۳ ص ۴۷، و الغدير ج ۹ ص ۱۶ عنه.

(۲) الفصول المهمة لإبن الصباغ ص ۲۲، و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۱۱۱ عن الطبرانى فى الكبير و الأوسط، و مناقب الخوارزمى ص ۷، و كفاية الطالب ص ۱۹۳ عن ابن عساكر.

(۳) راجع: البداية و النهاية ج ۷ ص ۲۲۳ و ۳۳۶.

لمهاجرى «۱».

و نقول:

إن إنكـار سـند حـديث مؤاخـاة النـبى (ص) لعلى (ع) لا معنى له، بعـد أن صـححه كثير من الأعلام، و بعـد أن تواتر فى كتب سـائر المسـلمين عن عشـرات الصحابة و التابعين و غيرهم، و لا سيما إذا كان هذا الإنكار من الأبناء الثلاثة: كثير، و حزم، و تيمية، المعروفين بالنصب، و التعصب ضد فضائل على، و أهل بيته الطاهرين.

و أما ما ذكره ابن تيمية تعليلا لإنكاره؛ فنحن نذكر:

أولا: ما أجاب به غير واحد: «من أن هذا ردّ للنص بالقياس، و غفلة عن حقيقة الحكمة فى ذلك.

و بعض المهاجرين كان أقوى من بعض بالمال و العشـيرة، و الإرتفاق ممكن، فآخى بينهم ليعين بعضهم بعضا، ثم طبقوا هذا الإحتمال على على (ع) و النبى، لأنه (ص) كان يقوم بأمر على (ع) قبل البعثة» «۲».

فمرادهم أن التـآلف و المحبـة مطلوبان أيضا بين المهاجرين؛ لأنهم كانوا من فئات مختلفـة، و مسـتويات متفاوتـة: عقائـديا و فكريا، و إجتماعيا إلخ ...

بل لقد صرح نص المؤاخاة بأنها كانت على الحق و المواساة،

---

(۱) راجع: منهاج السنة ج ۲ ص ۱۱۹، و البداية و النهاية ج ۳ ص ۲۲۷، و فتح البارى ج ۷ ص ۲۱۱، و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۱۵۵، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۰، و دلائل الصدق ج ۲ ص ۲۷۲.

(۲) راجع: وفـاء الوفاء ج ۱ ص ۲۶۸، و فتـح البارى ج ۷ ص ۲۱۱، و السـيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۰، و السـيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۱۵۵، و الغدير ج ۳ ص ۱۷۴- ۱۷۵ عن الفتح و عن الزرقانى فى المواهب ج ۱ ص ۳۷۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۳۵

و يحتاج المهاجرون إلى أن يواسى بعضهم بعضا.

كما أنه قد هاجر من قبيلة رجل واحد، و من أخرى عشرة مثلا، فالواحد يحتاج إلى العشرة فى معونتهم و رعايتهم. ثم إنهم يدّعون: أن بعض المهاجرين قد حمل ماله معه؛ فيمكن أن يعين بعضهم بعضا حتى بالمال إن صحت دعواهم تلك.

و لكننا لا نوافق على قولهم الأخير بالنسبة لعلى (ع) و النبى (ص)، لأن عليا (ع) قد بلغ منزلة يستطيع معها أن يعول نفسه بالعمل، و الحصول على ما يحتاج إليه، أو بالزراعة، أو التجارة بل و الغنائم أيضا.

و إنما الغرض من مؤاخاة الرسول (ص) له، هو تعريف الناس بمنزلته، و إظهار فضله على غيره، لأنه كان يؤاخى بين الرجل و نظيره، كما يظهر من دراسة عملية المؤاخاة نفسها، لأن ذلك أقرب إلى التعاضد و التعاون، و أوجب للتآلف و المحبة «۱».

و ثانيا: قد أخرج الحاكم، و ابن عبد البر، بسند حسن: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» «آخى بين الزبير و ابن مسعود» و هما من المهاجرين.

و أخرجه الضياء فى المختارة من المعجم الكبير للطبرانى. و يصرح ابن تيمية بأن أحاديث المختارة أصح و أقوى من أحاديث المستدرك «۲».

و لكن لابد أن يكون ذلك بعد قدوم ابن مسعود إلى المدينة، لأنه كان من مهاجرى الحبشة، و إنما قدم المدينة بعد قضية المؤاخاة العامة، و ذلك حين كان (ص) يتجهز إلى بدر «۳».

---

(۱) راجع: دلائل الصدق ج ۲ ص ۲۷۲/ ۲۷۳.

(۲) فتح البارى، و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۶۸، و الغدير ج ۳ ص ۱۷۴ و ۱۷۵ عن الفتح، و عن شرح المواهب للزرقانى ج ۱ ص ۳۷۳.

(۳) فتح البارى ج ۷ ص ۱۴۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۳۶

و آخى أيضا- على ما ذكره البعض- بعد الهجرة بين أبى بكر و عمر، و عثمان و عبد الرحمان بن عوف، و طلحة و الزبير، و سعد بن أبى وقاص و عمار بن ياسر، و بينه (ص) و بين على (ع) «۱».

كما و ثبتت أيضا مؤاخاة زيد بن حارثة لحمزة، و هما مهاجريان، و لذا- يقولون- إنه قد تنازع زيد و على و جعفر فى ابنة حمزة، و كانت حجة زيد: أنها ابنة أخيه «۲».

و نحن نشك فى هذه القضية، لأن جعفرا لم يكن حين قتل حمزة حاضرا، فما معنى أن تبقى ابنة حمزة عدة سنوات بلا كفيل. و إن كانت عند على فلماذا لم ينازعه زيد؟ و إن كان العكس فلماذا لم ينازعه على (ع)؟ و مهما يكن من أمر فإن قضية الخلاف حول من يكفل ابنة حمزة تحتاج إلى تحقيق و تمحيص، نسأل اللّه أن يوفقنا لذلك فى فرصة أخرى إن شاء اللّه تعالى.

مع قضية المؤاخاة:

ألف: البديل الأنسب:

إن من الواضح: أن هؤلاء الذين أسلموا قد انفصلوا عن قومهم، و عن إخوانهم، و عن عشائرهم بصورة حقيقية و عميقة. و قد واجههم حتى

---

(۱) الثقات لإبن حبان ج ۱ ص ۱۳۸- ۱۴۲. و راجع: الغدير ج ۱۰ ص ۱۰۳- ۱۰۷ فإنه ذكره عن غير واحد. و راجع: مستدرك

الحاكم ج ۳ ص ۱۴، و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۶۸، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۰، و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۱۵۵، و فتح البارى ج ۷ ص ۲۱۱، و الإستيعاب. و ذكر عثمان، و قد كان فى الحبشة، و كذا عبد الرحمان بن عوف، يؤيد: أن ذلك كان فى المؤاخاة الثانية بعد الهجرة إلى المدينة.

(۲) صحيح البخارى ج ۳ ص ۳۷ ط الميمنية، و مستدرك الحاكم ج ۲ ص ۱۲۰، و تلخيصه للذهبى هامش نفس الصفحة، و غير ذلك من المصادر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۳۷

أحب الناس اليهم بأنواع التحدى و الأذى؛ فأصبحوا و قد انقطعت علائقهم بذوى رحمهم و صاروا كأنهم لا عصبة لهم. و قد يشعر بعضهم أنه قد أصبح وحيدا فريدا، و بلا نصير و لا عشيرة، فجاءت الأخوّة الإسلامية لتسدّ هذا الفراغ بالنسبة إليهم، و لتبعد عنهم الشعور بالوحدة، و تبعث فى نفوسهم الأمل و الثقة بالمستقبل. و قد بلغ عمق تأثير هذه المؤاخاة فيهم أن توهموا: عموم المنزلة حتى فى الإرث كما ألمحنا إليه.

ب: السمو بالعلاقات الإنسانية:

لقد أريد للمسلمين المؤمنين أن يكونوا إخوة، و ذلك بهدف السمو بعلاقات هذا الإنسان عن المستوى المصلحى و جعلها علاقة إلهية خالصة تصل إلى درجة الأخوة، و ليكون أثرها فى التعامل بين المسلمين أكثر طبيعية و إنسجاما، و بعيدا عن النوازع النفسية، التى ربما توحى للأخوين المتعاونين بأمور من شأنها أن تعقّد العلاقات بينهما و لو نفسيا على أقل تقدير.

و رغم أن الإسلام قد قرر ذلك، و أكد على أن المؤمن أخو المؤمن أحب أم كره، و حمّله مسؤولية العمل بمقتضيات هذه الأخوة، إلا أنه قد كان ثمة حاجة إلى إظهار ذلك عمليا، بهدف توثيق عرى المحبة و ترسيخ أواصر الصداقة و المودة كما هو معلوم، و ليكون الهدف السامى قد انطلق من العمل السامى أيضا.

ج: دور المؤاخاة فى بناء المجتمع الجديد:

لقد كان الرسول الأعظم (ص) بصدد بناء مجتمع جديد، يكون المثل الأعلى للصلاح و الفلاح، قادرا على القيام بأعباء الدعوة إلى اللّه، و نصرة دينه، فى أى من الظروف و الأحوال.

و قد تقدمت- عند البحث عن عملية بناء المسجد- الإشارة إلى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۳۸

واقع وجود الفوارق الكبيرة بين المهاجرين أنفسهم، و الأنصار أنفسهم، و المهاجرين و الأنصار معا- الفوارق- الإجتماعية، و القبلية، و الثقافية، و النفسية، و العاطفية، و حتى العمق العقيدى و مستوى الإلتزام، فضلا عما سوى ذلك، هذا بالإضافة إلى الظروف النفسية و المعيشية التى كان يعانى منها المهاجرون بالخصوص.

و مع ملاحظة حجم التحدى، الذى كان يواجه هذا المجتمع الناشىء الجديد، سواء فى الداخل: من الخلافات بين الأوس و الخزرج، الذين كان الكثيرون منهم لا- يزالون على شركهم، ثم من المنافقين، و من يهود المدينة. و من الخارج: من اليهود، و المشركين فى جزيرة العرب، بل و العالم بأسره.

و مع الأخذ بنظر الإعتبار عظم المسؤولية التى يتحملها هذا المجتمع فى صراعه من أجل إقامة هذا الدين الجديد و الدفاع عنه.

مع ملاحظة كل ذلك، و حيث أصبح من المفترض بهذا المجتمع أن يكون بمثابة كتلة واحدة متعاضدة، و مترابطة، بعد أن كانوا أحزابا و جماعات و أفرادا. كان لابد من إيجاد روابط وثيقة تشد هذا المجتمع بعضه إلى بعض، و بناء عواطف راسخة، قائمة على

أساس عقيدى، تمنع من الإهمال و من الحيف على أى فرد من أفراد هذا المجتمع الجديد بحيث يكون الكل مشمولين للرعاية التامة، التى تجعلهم يعيشون الحب و الحنان بأسمى و أجلّ معانيه. كما أنها تمنع من ظهور تلك الرواسب النفسية، و العقد التاريخية- بل و تقضى عليها تدريجا- بين أفراد هذا المجتمع، الذى أصبح أفراده مأخوذين بالتعامل مع بعضهم البعض، الأمر الذى يجعل خطر ظهورها- لأتفه الأسباب- أشدّ، و تدميرها أعظم و أوسع.

و كانت تلك الرابطة الوثيقة هى: «المؤاخاة» التى روعيت فيها

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۳۹

الدقة، إلى الحد الذى يضمن معه أن يحفظ فى هذا المجتمع الجديد معها التماسك و التعاضد إلى أبعد مدى ممكن و أقصى غاية تستطاع؛ لا سيما و أنه كان يؤاخى بين الرجل و نظيره، كما أشرنا إليه.

و سر ذلك يرجع إلى أن هذه المؤاخاة قد أقيمت على أساسين اثنين:

الأول: الحق:

فالحق هو القاسم المشترك بين الجميع، عليه يبنون علاقاتهم، و هو الذى يحكم تعاملهم مع بعضهم البعض فى مختلف مجالات الحياة.

نعم، الحق هو الأساس، و ليس الشعور الشخصى النفسى، و لا المصلحة الشخصية أو القبلية، أو الحزبية!!

و بديهى: أن الحق إذا جاء عن طريق الأخوة و الحنان و العطف، فإن ذلك يكون ضمانة لبقائه و استمراره، و التعلق به، و الدفاع عنه.

أما إذا فرض هذا الحق فرضا عن طريق القوة و السلطة، فبمجرد أن تغيب السلطة، و القوة، فلنا أن نتوقع غياب الحق، لأن ضمانة بقائه ذهبت، فأى مبرر يبقى لوجوده، و بقائه؟!. بل ربما يكون وجوده و بقاؤه مثارا للأحقاد و الإحن التى ربما يتولد عنها الظلم و الطغيان فى أبشع صوره و أخزاها، و أسوأ حالاته و أقصاها.

الثانى: المؤاساة:

فهذه الأخوة إذن ليست مجرد توهج عاطفة، أو شعور نفسى، و إنما هى أخوة مسؤولة و منتجة، تترتب عليها آثار عملية بالفعل، يحس الإنسان فعلا- بجدواها و بفعاليتها، تماما كالأخوة التى فى قوله تعالى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ «۱» حيث جعل مسؤولية الصلح

---

(۱) الحجرات آية/ ۱۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۴۰

بين المؤمنين متفرعة و ناشئة عن الأخوة الإيمانية. و إذا كانت أخوة خيرة و منتجة، فمن الطبيعى أن تبقى، و أن تستمر. و من الطبيعى أيضا أن يستمر الإحتفاظ بها، و الحفاظ عليها إلى أبعد مدى ممكن.

و قد كانت لهذه المؤاخاة نتائج هامة فى تاريخ النضال و الجهاد. و قد امتنّ اللّه على نبيه فى بدر بقوله:

وَ إِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ؛ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِينَ وَ أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ «۱».

خلة أبى بكر:

و يروون: أنه (ص) قال: لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا «۲».

و لكن كيف يصح هذا و هم يروون:

۱- إن خليلى من أمتى أبو بكر «۳».

۲- و يروون: لكل نبى خليل، و خليلى سعد بن معاذ «۴» أو عثمان

---

(۱) الأنفال آية/ ۶۲.

(۲) مصنف عبد الرزاق ج ۱۰ عن ابن الزبير، و فى هامشه عن سعيد بن منصور، و الغدير ج ۹ ص ۳۴۷ عن صحيح البخارى ج ۵ ص ۲۴۳ باب المناقب، و باب الهجرة ج ۶ ص ۴۴، و الطب النبوى لإبن القيم ص ۲۰۷.

(۳) إرشاد السارى ج ۶ ص ۸۳ و ۸۴، و الغدير عنه و عن كنز العمال ج ۶ ص ۱۳۸ و ۱۴۰، و الرياض النضرة ج ۱ ص ۸۳.

(۴) الغدير ج ۹ ص ۳۴۷ عن كنز العمال ج ۶ ص ۸۳، و منتخب كنز العمال هامش المسند ج ۵ ص ۲۳۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۴۱

بن عفان «۱».

و الحقيقة هى: أن حديث خلة عثمان قد وضعه إسحاق بن نجيح الملطى «۲».

و حديث خلة أبى بكر موضوع فى مقابل حديث إخاء النبى (ص) لعلى (ع)، كما نص عليه المعتزلى «۳».

مؤاخاة سلمان مع من؟!:

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۴ ۲۴۱ مؤاخاة سلمان مع من؟!: ..... ص : ۲۴۱

و بعد فإنهم يقولون: إن النبى (ص) قد آخى بين سلمان و بين أبى الدرداء «۴».

و فى نص آخر: إنه آخى بينه و بين حذيفة «۵».

و فى رواية ثالثة: إنه (ص) آخى بينه و بين المقداد. «۶»

---

(۱) تاريخ بغداد للخطيب ج ۶ ص ۳۲۱، و الغدير ج ۹ ص ۳۴۶/ ۳۴۷.

(۲) راجع: الغدير ج ۹ ص ۳۴۷.

(۳) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۱ ص ۴۹.

(۴) الإصابة ج ۲ ص ۶۲، و الإستيعاب بهامشة ج ۲ ص ۶۰ و ج ۴ ص ۵۹، و الغدير ج ۱۰ ص ۱۰۳/ ۱۰۴ و ج ۳ ص ۱۷۴ و قد ناقش فى هذه الرواية. و السيرة النبوية لابن هشام ج ۲ ص ۱۵۲، و أسد الغابة ج ۲ ص ۳۳۰ و ۳۳۱، و طبقات ابن سعد ط ليدن ج ۴ قسم ۱ ص ۶۰، و تهذيب تاريخ دمشق ج ۶ ص ۲۰۳، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۸ ص ۳۷، و تهذيب الأسماء ج ۱ ص ۲۲۷، و قاموس الرجال ج ۷ ص ۲۵۶، و نفس الرحمان ص ۹۱ و ۸۵ عن أبى عمر، و عن المناقب للخوارزمى، الفصل ۱۴ و تهذيب التهذيب ج ۴ ص ۱۳۸

(۵) طبقات ابن سعد ط ليدن ج ۴ قسم ۱ ص ۶۰.

(۶) نفس الرحمان ص ۸۵ عن الحسين بن حمدان.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۴۲

انكار حديث المؤاخاة، و الاجابة عن ذلك:

أما ابن سعد، فقد قال:

«أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنى موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن أبيه قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: أخبرنا محمد بن عبد اللّه، عن الزهرى:

أنهما كانا ينكران كل مؤاخاة كانت بعد بدر، و يقولان: قطعت بدر المواريث.

و سلمان يومئذ فى رق و إنما عتق بعد ذلك. و أول غزوة غزاها:

الخندق، سنة خمس من الهجرة» «۱».

و لأجل ذلك؛ فقد عبّر البلاذرى هنا بقوله: «... و قوم يقولون:

آخى بين أبى الدرداء، و سلمان.

و إنما أسلم سلمان فيها بين أحد و الخندق.

قال الواقدى: و العلماء ينكرون المؤاخاة بعد بدر، و يقولون: قطعت بدر المواريث» «۲».

«... و قال ابن أبى الحديد: قال أبو عمر: آخى رسول اللّه (ص) بينه و بين أبى الدرداء، لما آخى بين المسلمين.

و لا يخفى ضعفه و غرابته» «۳».

و نقول:

---

(۱) طبقات ابن سعد ط ليدن ج ۴ قسم ۱ ص ۶۰.

(۲) أنساب الأشراف (قسم حياة النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم) ج ۱ ص ۲۷۱.

(۳) نفس الرحمان ص ۸۵ عنه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۴۳

إن لنا على ما تقدم ملاحظات نجملها فيما يلى:

أولا: قولهم: إن المؤاخاة قد انقطعت بعد بدر، لا يصح، كما تقدم، فلا داعى لاستغراب هؤلاء و لا لإنكار ذلك.

و ثانيا: قولهم: إن انقطاع المؤاخاة بعد بدر يلزمه عدم صحة مؤاخاة سلمان مع أحد من الناس، لا يصح كذلك؛ إذ لماذا لا يؤاخى قبل بدر بين سلمان و إن كان عبدا، و بين رجل آخر حر؟!.

هذا بالإضافة إلى ما سيأتى من أن سلمان قد أسلم و تحرر فى أول سنى الهجرة.

و ثالثا: دعوى البلاذرى: أن سلمان قد أسلم بين أحد و الخندق، لا تصح أيضا، لأنه إنما أسلم فى أول الهجرة كما قلنا. نعم .. هم يقولون:

إن تحرره قد كان قبل الخندق.

فإذا كان مسلما حين المؤاخاة؛ فيمكن أن يؤاخى بينه و بين أحد المسلمين، و لو كان الطرف الآخر حرا؛ لعدم الفرق بين الحر و العبد، فى الإيمان و الإنسانية، و غير ذلك، بنظر الإسلام ..

هذا .. لو سلم أن كان لا يزال عبدا ..

و رابعا: إن الذى انقطع بعد بدر إنما هو التوارث بين الإخوة، و ليس نفس المؤاخاة ..

مع أننا نقول أيضا: إن التوارث لم يكن موجودا حتى قبل ذلك، و لعل بعض المسلمين قد توهم التوارث بين المتآخيين، فجاء الردع عنه، و تصحيح اشتباهه فى ذلك، فصادف ذلك زمان حرب بدر ..

فنشأ عن ذلك توهمان آخران: هما: أن التوارث كان ثابتا .. و أن المؤاخاة تنقطع بانقطاع التوارث، و كلاهما باطل، و لا يصح ..

و خامسا: قولهم: إن المؤاخاة قد كانت بين سلمان و بين أبى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۴۴

الدرداء.

يقابله:

۱- ما روى عن إمامنا السجاد (ع)، أنه قال: «لو علم أبو ذر ما فى قلب سلمان لقتله، و لقد آخى رسول اللّه (ص) بينهما، فما ظنكم بسائر الخلق» «۱».

۲- عن أبى عبد اللّه (ع)، أنه قال: «آخى رسول اللّه (ص) بين سلمان و أبى ذر، و اشترط على أبى ذر: أن لا يعصى سلمان» «۲».

۳- إننا نعتقد: أن مؤاخاة سلمان مع أبى ذر هى الأصح، و الأوفق بما يذكرونه من أن النبى (ص) كان يؤاخى بين كل رجل و نظيره كما تقدم.

و كان أبو ذر أكثر مشاكلة لسلمان من أبى الدرداء له؛ فإن سلمان يؤكد على أنه لابد من الوقوف إلى جانب القرآن، إذا اقتتل القرآن و السلطان، كما أن أباذر قد كان له موقف عنيف من السلطة، حينما وجد أنها تسير فى خط إنحرافى خطير، فكان أن اتخذ جانب الحق، و أعلن إدانته للإنحراف بصورة قاطعة، كما أنه هو و سلمان قد كان لهما موقف منسجم من أحداث السقيفة و نتائجها .. «۳».

أما أبو الدرداء .. فقد أصبح من وعّاظ السلاطين، و أعوان الحكام المتسلطين، حتى لنجد معاوية- كرد للجميل- يهتم بمدحه و تقريظه و الثناء عليه «۴»

---

(۱) بصائر الدرجات ص ۲۵، و الكافى ج ۱ ص ۳۳۱، و الغدير ج ۷ ص ۳۵ عنهما، و اختيار معرفة الرجال ص ۱۷، و البحار ج ۲۲ ص ۳۴۳، و مصابيح الأنوار ج ۱ ص ۳۴۸، و قاموس الرجال ج ۴ ص ۴۱۸/ ۴۱۹ و الظاهر: أن الرواية معتبرة.

(۲) الكافى ج ۸ ص ۱۶۲، و البحار ج ۲۲ ص ۳۴۵ عنه، و نفس الرحمان ص ۹۱.

(۳) راجع كتابنا: سلمان الفارسى فى مواجهة التحدى.

(۴) طبقات ابن سعد ط ليدن ج ۲ قسم ۲ ص ۱۱۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۴۵

كما أن أبا الدرداء- حسبما تقدم- يكتب لسلمان يدعوه إلى الأرض المقدسة، و هى الشام بزعمه، و ليس مكة، و المدينة! فاقرأ و اعجب؛ فإنك ما عشت أراك الدهر عجبا.

و يكفى أن نذكر: أن يزيد بن معاوية قد مدح أبا الدرداء، و أثنى عليه «۱». كما أن معاوية قد ولّاه دمشق «۲».

بالإضافة إلى أن رسول اللّه (ص)- حسبما يروى- قد ذم أبا الدرداء، و قال له: إن فيك جاهلية.

قال: جاهلية كفر، أم جاهلية إسلام؟

قال: جاهلية كفر «۳».

۴- و إذا كان سلمان قد أسلم فى أول سنى الهجرة، كما سيأتى الحديث عنه فى فصل مستقل، و إذا كان أبو الدرداء قد تأخر إسلامه إلى ما بعد أحد «۴» .. فلماذا ترك النبى (ص) سلمان من دون أن يؤاخى بينه و بين أحد من الناس، فى هذه المدة الطويلة كلها؟!.

۵- و إذا أخذنا بقول الواقدى: إن «العلماء ينكرون المؤاخاة بعد بدر، و يقولون: قطعت بدر المواريث» «۵».

---

(۱) تذكرة الحفاظ ج ۱ ص ۲۵.

(۲) الإستيعاب بهامش الإصابة ج ۳ ص ۱۷ و ج ۴ ص ۶۰، و الإصابة ج ۳ ص ۴۶، و التراتيب الإدارية ج ۲ ص ۴۲۶/ ۴۲۷.

(۳) الكشاف ج ۳ ص ۵۳۷، و قاموس الرجال ج ۱۰ ص ۶۹ عنه.

(۴) الإستيعاب بهامش الإصابة ج ۳ ص ۱۶، و راجع ج ۴ ص ۶۰.

(۵) قاموس الرجال ج ۷ ص ۲۵۶، و ج ۱۰ ص ۶۹ و أنساب الأشراف (قسم حياة النبى صلى اللّه عليه و آله) ج ۱ ص ۲۷۱، و راجع: طبقات ابن سعد ج ۴ قسم ۱ ص ۶۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۴۶

فإن النتيجة تكون: أن العلماء ينكرون المؤاخاة بين سلمان و أبى الدرداء، لأن أبا الدرداء قد تأخر إسلامه عن بدر كثيرا ..

۶- و أخيرا .. فقد جاء فى بعض النصوص: أنه (ص) قد آخى بين أبى الدرداء و عوف بن مالك الأشجعى «۱». و لعل هذا هو الأصح و الأولى بالقبول ..

و قد روى الكلينى عن أبى عبد اللّه (ع) قال: آخى رسول اللّه (ص) بين سلمان و أبى ذر، و اشترط على أبى ذر: أن لا يعصى سلمان «۲».

و واضح أن ذلك يعنى: أن طاعة أبى ذر لسلمان لم تكن: إلا لأنها توصل إلى الحق، و تؤدى إلى الإحتفاظ به، و الحفاظ عليه، و لأنه يمثّل الوعى الرسالى الرائد فى أعلى مستوياته، و يدعم هذا الوعى و يحميه، و يرفده إيمان ثر، و عقيدة راسخة، توجّه الفكر و الرأى و الوعى، و كل الحركات نحو الهدف الأسمى، و المبدأ الأعلى، لتعيش فى ظلاله، و تفنى كلها فيه بكل ما لهذه الكلمة من معنى.

فإن الإيمان عشر درجات، و سلمان كان فى العاشرة، و أبوذر فى التاسعة، و المقداد فى الثامنة «۳».

و إن إطاعة أبى ذر لسلمان لتعطينا: أن الميزان و المقياس فى الطاعة ليس إلا- ذلك الذى أشرنا إليه، و اعتبره القرآن وسيلة لنيل التقوى و اليقين:

حين قال تعالى: هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ «۴»

---

(۱) طبقات ابن سعد ج ۴ قسم ۱ ص ۲۲.

(۲) روضة الكافى ص ۱۶۲.

(۳) قاموس الرجال ج ۴ ص ۴۲۳ عن الخصال للصدوق.

(۴) الزمر/ ۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۴۷

و: إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ «۱» و: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ «۲».

إذن، فليس للعرق، و لا- للون، و لا- للجاه، و لا للمال، و لا غير ذلك،- أى دور فى التفاضل و إعطاء الإمتيازات- من أى نوع كانت و لأى كان، و إنما الميزان و المقياس فى كل ذلك هو التقوى و التقوى فقط، التى يدعمها الإيمان الراسخ، و الفكر النّير، و الوعى الرسالى الرائد، و لأجل ذلك كان على أبى ذر: أن لا يعصى سلمان، الذى بلغ من العلم و المعرفة بحيث لو اطلع أبوذر على ما فى قلب سلمان لقتله «۳». و عن الفضل: ما نشأ فى الإسلام رجل من كافة الناس كان أفقه من سلمان الفارسى «۴».

و لأجل ذلك بالذات، كان لابد من إطاعة أئمة الهدى، الذين هم القمة فى العلم و المعرفة، و من ثم فى التقوى، دون غيرهم من المتغلبين الجهلة و الطواغيت و الجبارين.

المؤاخاة بين المهاجرين و الانصار:

اشارة

و بعد خمسة أو ثمانية أشهر أو أقل، أو أكثر «۵» من مقدمه (ص)

---

(۱) حياة الصحابة ج ۲ ص ۱۷۱ و طبقات ابن سعد ج ۵ ص ۲۶.

(۲) راجع: التراتيب الإدارية ج ۱ ص ۷۳ عن الطبقات.

(۳) حياة الصحابة ج ۳ ص ۱۷۱ عن كنز العمال ج ۴ ص ۲۸۲ عن البيهقى.

(۴) دلائل الصدق ج ۳ القسم الثانى ص ۷۹. و لكنهم لم يستجيبوا لمنعه (ع).

(۵) راجع البحار ج ۱۹ ص ۱۲۲، و هامش ص ۱۳۰ عن مناقب ابن شهر آشوب ج ۱

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۲۶

المدينة، آخى بين أصحابه من المهاجرين و الأنصار. و زاد ابن سعد: أنه (ص) آخى فى نفس الوقت بين المهاجرين و المهاجرين «۱».

آخى بينهم على الحق و المواساة (و قيل: و التوارث) فنزلت سورة الأنفال التى تجعل الإرث لأولى الأرحام قبل أن يموت أحد من المتآخيين «۲»؛ لأن أول من مات من المهاجرين- كما يقولون- هو عثمان بن مظعون، مات بعد بدر «۳».

۴- أسس العلاقات فى المجتمع الجديد:

اشارة

و يذكر المؤرخون أنه بعد مدة و جيزة من قدومه (ص) المدينة، و على رأى البعض: بعد خمسة أشهر «۵» كتب «صلى اللّه عليه و آله» كتابا أو وثيقة بينه و بين اليهود، أقرّهم فيها على دينهم و أموالهم، و اشترط عليهم: أن لا يعينوا عليه أحدا، و إن دهم أمر فعليهم النصر، كما أن على المسلمين ذلك فى المقابل. و لكن سرعان ما نقض اليهود العهد، و عادوا

---

(۱) فاطر/ ۲۸.

(۲) الحجرات/ ۱۳.

(۳) راجع: قاموس الرجال ج ۴ ص ۴۱۸ و غيرها.

(۴) المصدر السابق.

(۵) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۵۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۴۸

إلى المكر و الغدر، و لا يحيق المكر السيء إلا بأهله.

و يلاحظ: أن الوثيقة المشار إليها لم تقتصر على تنظيم علاقات المسلمين مع غيرهم، و إنما تعرض جانب كبير- بل هو الجانب الأكبر- منها إلى تقرير قواعد كلية، و أسس عملية للعلاقات بين المسلمين أنفسهم، كان لابد منها لتلافى الأخطاء المحتملة قبل أن تقع.

فهذه الوثيقة بمثابة دستور عمل، يتضمن أسس العلاقات فى الدولة الناشئة، سواء فى الداخل أو فى الخارج.

و هذه الوثيقة هى بحق من أهم الوثائق القانونية، التى لابد أن يدرسها علماء القانون و التشريع بدقة متناهية، لإستخلاص الدلائل و

الأحكام منها، و أيضا لمعرفة الغايات التى يرمى إليها الإسلام، و الضوابط التى يرتضيها، و مقارنتها بغيرها مما يتهالك المستضعفون- فكريا- من هذه الأمة عليه، من القوانين القاصرة عن تلبية الحاجات الفطرية و غيرها للإنسان. و إليك نص الوثيقة كما هو:

نص الوثيقة:

قال ابن إسحاق:

و كتب رسول اللّه (ص) كتابا بين المهاجرين و الأنصار، و ادع فيه يهود و عاهدهم، و أقرّهم على دينهم و أموالهم، و شرط لهم، و اشترط عليهم.

بسم اللّه الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبى (ص) بين المؤمنين و المسلمين من قريش و يثرب، و من تبعهم؛ فلحق بهم، و جاهد معهم؛ إنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم «۱» يتعاقلون بينهم،

---

(۱) الربعة: الحال التى جاء الإسلام و هم عليها. و العانى: الأسير. و المعاقل: الديات.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۴۹

و هم يفدون عانيهم بالمعروف و القسط بين المؤمنين.

و بنو عوف على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، كل طائفة تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين.

و بنو ساعدة على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، و كل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين.

و بنو الحارث على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، و كل طائفة تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين.

و بنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، و كل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين.

و بنو النجار على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، و كل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين.

و بنو عمرو بن عوف على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، و كل طائفة تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين.

و بنو النبيت على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، و كل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين.

و بنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، كل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين.

و إن المؤمنين لا يتركون مفرحا «۱» بينهم، أن يعطوه بالمعروف فى فداء أو عقل.

و إن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة «۲» ظلم،

---

(۱) المفرح: المثقل بالدين و الكثير العيال.

(۲) الدسيعة: العظيمة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۵۰

أو إثم، أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين. و إن أيديهم عليه جميعا، و لو كان ولد أحدهم.

و لا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر، و لا ينصر كافرا على مؤمن.

و إن ذمة اللّه واحدة، يجير عليهم أدناهم.

و إن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس.

و إن من تبعنا من يهود؛ فإن له النصر و الأسوة، غير مظلومين، و لا متناصرين عليهم.

و أن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل اللّه إلا على سواء و عدل بينهم. و أن كل غازية غزت معنا

يعقب بعضها بعضا. و إن المؤمنين يبيء بعضهم على بعض بما نال دماءهم فى سبيل اللّه.

و إن المؤمنين المتقين على أحسن هدى و أقومه.

و إنه لا يجير مشرك مالا لقريش، و لا نفسا، و لا يحول دونه على مؤمن.

و إنه من اعتبط «۱» مؤمنا قتلا عن بينة، فإنه قود به، إلا أن يرضى وليّ المقتول، و إن المؤمنين عليه كافة، و لا يحل لهم إلا قيام عليه.

و إنه لا يحل لمؤمن أقرّ بما فى هذه الصحيفة، و آمن باللّه و اليوم الآخر: أن ينصر محدثا، و لا يؤويه، و إن من نصره أو آواه؛ فإن عليه لعنة اللّه و غضبه يوم القيامة، و لا يؤخذ منه صرف و لا عدل.

و إنكم مهما اختلفتم فى شيء؛ فإن مردّه إلى اللّه عز و جل، و إلى محمد (ص).

---

(۱) اعتبطه: قتله بلا جناية منه توجب قتله.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۵۱

و إن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

و إن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، و للمسلمين دينهم، مواليهم و أنفسهم إلا- من ظلم و أثم؛ فإنه لا- يوتغ «۱» إلا نفسه، و أهل بيته.

و إن ليهود بنى النجار مثل ما ليهود بن عوف.

و إن ليهود بنى الحارث مثل ما ليهود بنى عوف.

و إن ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف.

و إن ليهود بنى الأوس مثل ما ليهود بنى عوف.

و إن ليهود بنى ثعلبة مثل ما ليهود بنى عوف، إلا من ظلم و أثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه، و أهل بيته.

و إن جفنة- بطن من ثعلبة- كأنفسهم.

و إن لبنى الشطيبة مثل ما ليهود بنى عوف. و إن البرّ دون الإثم.

و إن موالى ثعلبة كأنفسهم.

و إن بطانة «۲» يهود كأنفسهم.

و إنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد (ص).

و إنه لا ينحجز على ثار جرح. و إنه من فتك فبنفسه فتك، و أهل بيته، إلا من ظلم. و إن اللّه على أبرّ هذا «۳».

و إن على اليهود نفقتهم، و على المسلمين نفقتهم.

---

(۱) يوتغ: يهلك.

(۲) بطانة الرجل: خاصته و أهل بيته.

(۳) أى على الرضا به.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۵۲

و إن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.

و إن بينهم النصح و النصيحة و البر دون الإثم.

و إنه لم يأثم امرؤ بحليفه. و إن النصر للمظلوم.

و إن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

و إن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة.

و إن الجار كالنفس، غير مضار و لا آثم. و إنه لا تجار حرمة إلا بأذن أهلها.

و إن ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى اللّه عز و جل، و إلى محمد (ص).

و إن اللّه على اتقى ما فى هذا الصحيفة و أبرّه.

و إنه لا- تجار قريش، و لا- من نصرها. و إن بينهم النصر على من دهم يثرب، و إذا دعوا «۱» إلى صلح يصالحونه و يلبسونه، فإنهم يصالحونه و يلبسونه، و إنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلا من حارب فى الدين، على كل أناس حصتهم «۲»، من جانبهم الذى قبلهم.

و إن يهود الأوس، مواليهم و أنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة، مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة.

و إن البر دون الإثم، لا- يكسب كاسب إلا على نفسه، و إن اللّه على أصدق ما فى هذه الصحيفة و أبرّه. و إنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم و آثم.

---

(۱) فى رواية أبى عبيد فى الأموال: و إذا دعوا اليهود إلى صلح حليف لهم، فإنهم يصالحونه و إن دعونا إلى مثل ذلك، فإن لهم ما على المؤمنين إلا من حارب الدين.

(۲) فى الأموال: و على كل أناس حصتهم من النفقة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۵۳

و إنه من خرج آمن، و من قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم و أثم.

و إن اللّه جار لمن بر واتقى، و محمد رسول اللّه (ص) «۱».

كانت تلك هى الوثيقة الهامة التى لم يهتم بشأنها المؤرخون، و أهمل دراستها و تمحيصها الكتاب و الباحثون، نوجه إليها أنظار الطامحين إلى البحث و التدقيق و التمحيص. و نأمل أن تحظى منهم بما يليق بها من اهتمام و اللّه هو الموفق و المسدد. و نحن بدورنا نسجل هنا بعض النقاط، على أمل التوفيق لدراسة هذه الوثيقة بصورة أعمق و أدق و أشمل، فنقول:

وثيقة أم وثائق؟!:

قد أورد المؤرخون هذه الوثيقة بعنوان أنها عقد ينظّم العلاقة فيما بين المهاجرين و الأنصار من جهة، و بينهم و بين اليهود من جهة أخرى.

و قد حاول البعض أن يدعى: أنها ليست وثيقة واحدة، و إنما هى عبارة عن سلسلة وثائق و معاهدات منفصلة، و قد ضمّ بعضها إلى بعض، و إن ذلك جرى على مرحلتين:

إحداهما: تم بموجبها توحيد و تجميع العناصر المختلفة من القبائل العربية تحت قيادة الرسول فى المدينة.

و الثانية: قد استغلّت قوة هذا التجمع القبلى و تكاتفه للضغط على يهود المدينة لكسب تعاونهم فى مواجهة أى ضغط خارجى.

و ليس من الضرورى أن يكون قد تم تنظيم الإتفاقيات فى لحظة واحدة، فقد كانت هناك أطوار مختلفة فى المرحلتين، اقتضت إضافة مواد

---

(۱) سيرة ابن هشام ج ۲ ص ۱۴۷- ۱۵۰، و البداية و النهاية ج ۳ ص ۲۲۴- ۲۲۶، و الأموال ص ۲۰۲- ۲۰۷، و مجموعة الوثائق

السياسية و أشار إليه فى مسند أحمد ج ۱ ص ۲۷۱، و أشار إليه أيضا فى مسند أبى يعلى ج ۴ ص ۳۶۶/ ۳۶۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۵۴

و فقرات باستمرار، حسب الظروف الطارئة، و الأحداث المستجدة، التى تستلزم تجديد الإلتزامات، و فرض الشروط لمجابهتها؛ فتكتب المواد، و تضاف الفقرات، التى تحمل آثار ذلك التطور فى العلاقات فيما بين عناصر الأمة فى المدينة.

أما دليلهم على هذا الذى ذكروه، فهو تكرّر بعض الفقرات فى الوثيقة، حيث لوحظ: أن هذه الفقرات تنص على التزامات و شروط واحدة، كالعبارتين اللتين تنصّان على أن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، و كالعبارتين اللتين تنصان على ردّ أى خلاف ينجم بين المتعاهدين إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم». و كذلك التكرار الحاصل لعبارة: إن البر دون الإثم. و عبارة: كل طائفة تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين، حيث تكررت بالنسبة لعدد من قبائل الأوس و الخزرج «۱».

و نقول:

إن من الواضح: أن هذا الدليل لا يكفى لإثبات ما زعموه، فإن هذا التكرار قد جاء ليؤكد و يثبت هذا الأمر بالنسبة إلى كل قبيلة على حدة، حيث يطلب فى المواثيق و المعاهدات التنصيص، و الدقة و الصراحة، حتى لا يبقى عذر لمعتذر، و لا حيلة لمتطلب حيلة، و يكون التصريح بذلك بالنسبة لكل طائفة و فئة، و قبيلة، قد أريد به أن تعرف تلك الفئة أو القبيلة بصراحة و دقة كل ما تطلبه هى، و كل ما يطلب منها.

فهذه المعاهدة هى مجموعة التزامات تصدر من كل قبيلة تجاه غيرها من الفئات أو القبائل، أو تجاه عناصر القبيلة أنفسهم. فلابد من التنصيص على هذه الإلتزامات.

---

(۱) راجع فى الذى ذكرناه كتاب نشأة الدولة الإسلامية ص ۲۵- ۲۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۵۵

و على هذا يصبح للمعاهدة الواحدة خصوصية المعاهدات المتعددة أيضا.

و أما بالنسبة لليهود المقصودين فى هذه الوثيقة، فإن من الجلى: أن المقصود بهم ليس اليهود الذين هم من أصل إسرائيلى، و هم: قينقاع، و النضير، و قريظة.

بل المقصود اليهود الذين هم من قبائل الأنصار، فقد كان ثمة جماعة من قبائل الأنصار قد تهوّدوا. و قد جاء ذكرهم فى الوثيقة منسوبين إلى قبائلهم.

و قد قال ابن واضح: «و تهوّد قوم من الأوس و الخزرج، بعد خروجهم من اليمن، لمجاورتهم يهود خيبر، و قريظة، و النضير. و تهوّد قوم من بنى الحارث بن كعب، و قوم من غسّان، و قوم من جذام» «۱».

كما أن بعض الروايات تذكر: جماعة من أولاد الأنصار قد تهوّدوا بسبب: أن المرأة من الأنصار كانت إذا لم يعش لها ولد تجعل على نفسها: إن عاش لها ولد أن تهوّده، فلما أجليت بنو النضير قال آباء أولئك: لا ندع أبناءنا، و أنزل اللّه: لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ، قالوا: هى مخصوصة بهؤلاء الذين تهودوا قبل الإسلام «۲».

---

(۱) تاريخ اليعقوبى ج ۱ ص ۲۵۷.

(۲) راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۷، و الجامع لأحكام القرآن ج ۳ ص ۲۸۰ عن أبى داود، و لباب التأويل ج ۱ ص ۱۸۵، و فتح القدير ج ۵ ص ۲۷۵ عن أبى داود، و النسائى، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و ابن حبان، و ابن مردويه، و البيهقى فى السنن، و الضياء فى المختارة؛ و الدر المنثور ج ۱ ص ۳۲۸ عنهم و عن ابن مندة فى غرائب شعبة، و عن النحاس فى ناسخه، و عبد بن

حميد، و سعيد بن منصور.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۵۶

ملاحظات سريعة على الوثيقة:

و مهما يكن من أمر، فإن هـذه الوثيقـة، أو الوثائق، قـد تضـمنت أمورا كثيرة هامة، و أساسـية فى مجال بناء العلاقات فى هذا المجتمع الجديد.

و كمثال على ذلك نشير هنا إلى ما يلى:

۱- إنها قد قررت: أن المسلمين أمة واحدة، رغم اختلاف قبائلهم و انتماءاتهم، و تفاوت مستوياتهم، و حجم و نوع طموحاتهم، و رغم اختلاف حالاتهم المعيشية، و الإجتماعية، و غير ذلك.

و لهذا القرار أبعاده السياسية، و له آثاره الحقوقية، و غيرها. ثم له آثار و انعكاسات على التكوين السياسى، و الإجتماعى، و على الحالة النفسية، و العاطفية، و الفكرية، و المعيشية، و الحياتية بصورة عامة. و لسنا هنا بصدد الخوض فى تفاصيلها و جزئياتها.

۲- قد تضمنت إقرار المهاجرين من قريش على عاداتهم و سننهم فى الديّات و الدماء. و يقولون: إن ذلك قد نسخ فيما بعد، و إن كنا نرى:

أن النسـخ لم يطـل هـذه الموارد، و هى ممـا كـان قـد قرره عبـد المطلب، أو مما كان وصل إليهم أو بلغهم من دين الحنيفية. و لهـذا انحصر الإستثناء فيها، و لم يشمل الحالات التجارية، أو الأحوال الشخصية مثلا.

و حتى لو كان ثمـة بعض الموارد التى لم تكن كذلك، فإن بالإمكان أن يستفاد منها موضوع التدرج فى مجال تشـريع الأحكام، وفق الحالات و المعطيات القائمة فى الواقع المعاش.

۳- إن مسؤولية المهاجرين عن فداء أسراهم، ثم مسؤولية جميع القبائل عن فداء أسراها أيضا بالقسط و المعروف، إنما تعنى أن تعيش كل قبيلة حالة التكافل، و الإحساس الجماعى، بالإضافة إلى أن ذلك يضمن نوعا من الترابط بين هؤلاء الناس، و الذّب عن بعضهم، و المعونة فى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۵۷

مواقع الخطر و فى ساحات النزال.

أضف إلى ذلك: أن شعور المحارب بأن هناك من يهتم بأمره، و من هو ملزم ببذل المال لإطلاق سراحه فى صورة وقوعه فى الأسر، لسوف يزيده نشاطا، وثقة بنفسه، و إقداما فى منازلة العدو.

هذا كله: عدا أن العبء الإقتصادى إذا تحملته الجماعة الكثيرة، فإنه يصبح أخف و أيسر، و أبعد عن الإضرار بحال الناس الذين هم فى متن المشكلة.

و يلاحظ هنا: التعبير بكلمة القسط و المعروف، فإن كلمة القسط تدل على رفض أى حيف أو تجن فى مجال تعديل و توزيع الحصص على أفراد القبيلة.

أما كلمة المعروف، فإنها تدل ما هو أبعد من ذلك، حيث لاحظت أنه لابد من التزام سبيل المعروف فى مجال تطبيق القرار، أو الحكم الشرعى الذى يمس الآخرين، و يعنيهم فى شؤونهم المالية، أو غيرها؛ فلا يجوز الشذوذ عن هذا السبيل بحجة التمسك بحرفية الأوامر الصادرة، أو القانون السارى.

۴- لقد قررت الوثيقة أيضا: أن من كان عليه دين، و لم يكن له عشيرة تعينه فى فداء أسيره، فعلى المسلمين إعانته فى فداء ذلك الأسير.

و هذا قرار يهدف إلى سدّ الثغرة الحاصلة من تشريع الفداء على القبائل حسبما تقدم، و لا يفوتنا هنا التنبيه إلى أن الفقرتين المتقدمتين قد عالجتا المشكلة فى وقت لم يكن ثمة بيت مال للمسلمين يمكن الإعتماد عليه فى حالات كهذه، حيث كان ذلك فى وقت لم يكن المسلمون قادرين فيه حتى على سدّ احتياجاتهم الشخصية فضلا عن غيرها. مع عدم وجود موارد أخرى يمكن الإستفادة منها فى هذا المجال.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۵۸

۵- و جاء فى الوثيقة أيضا: أن مسؤولية دفع الظلم تقع على عاتق الجميع، و لا تختص بمن وقع عليه الظلم.

و لعل هذا من أهم القرارات التى تضمنتها الوثيقة، سواء من حيث آثار قرار كهذا على البنية الإجتماعية، ثم علاقة ذلك بالقرار و الموقف السياسى، و تعاطى الحكام مع مسألة الظلم، و تفاعلهم معها، ثم مع المردود الإيجابى أو السلبى لقرار يجعل مقاومة الظلم مسؤولية إجتماعية، لا تنحصر بالحاكم، و إن كانت قد تمس حاكميته و موقعه بصورة أو بأخرى فى أحيان كثيرة.

أما التأثير الروحى أو النفسى أو غير ذلك لقرار كهذا على الأمة، فهو أيضا كبير و خطير و لا مجال للدخول فى التفاصيل، فإن ذلك يحتاج إلى دراسة مستوعبة لطبيعة التشريع الإسلامى، و أسسه و منطلقاته بصورة أدق و أعمق.

۶- و هناك القرار الذى ينص على عدم قود المسلم بالكافر، و فى هذا تأكيد على أن شرف الإنسان إنما هو بالإسلام.

و ذلك إنما ينطلق من مقولة: أن القيم و المثل التى يؤمن بها الفرد أو المجتمع، هى التى تمنحه القيمة، أو تسلبها عنه، فإذا كان الإنسان المسلم هو الذى يحمل فى داخله من تلك القيم، ما تسمو به نفسه، و يؤكد و يعمق فيه إنسانيته، بما لها من معان سامية و نبيلة، ثم هو يمارس إنسانيته هذه على صعيد الواقع و الحركة، فإنه لا يمكن أن يقاس به من لا يمارس إنسانيته، أو لا يحمل فى داخله منها إلا القليل أو لا يحمل شيئا من معانيها النبيلة على الإطلاق.

هذا فضلا عما إذا كان لا يعترف بها و لا يوليها أية قيمة، فضلا عن أن يدافع عنها، و يضحى فى سبيلها بالغالى و بالنفيس إن اقتضى الأمر ذلك.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۵۹

۷- قد ذكرت الوثيقة: أنه يجير على المسلمين أدناهم، و لا يجير كافر على مسلم.

و هذا يؤكد ما ذكرناه آنفا، فالإسلام لا يرى الشرف بالمال، و لا بالقبيلة، و لا بغير ذلك من أمور، و إنما إنسانيته هى التى تعطيه القيمة.

و نزيد هنا: أن قرارا كهذا يرسخ الشعور بالمساواة فيما بين المسلمين؛ فلا يمتاز غنى على فقير، و لا قوى على ضعيف ما دام الجميع قد حملوا فى داخلهم معين القيم، و المثل، و ما عليهم بعد ذلك إلا الإستفادة من هذا المعين الثرّ لينشر الخير و الصلاح و الفضل و التقى فى جميع ربوع حياتهم، و فى مختلف شؤونها.

۸- و قد تقرر أيضا: أن لا ينصر المسلمون من أحدث و ابتدع، بل يجب عليهم مقاومته و التصدى له و لبدعته بكل صلابة و حزم.

و فى هذا تتجلى الأهمية البالغة التى يوليها الإسلام للسلامة الفكرية، و يؤكد أهمية الصيانة فى المجال الثقافى و العقيدى و الفكرى.

ثم هو يعطى للجماعة أو فقل للأمة دورا فى تحقيق هذه الصيانة، و يؤكد على دور الناس جماعات و أفرادا فى التصدى للإنحراف و مقاومته، قبل أن تعصف بهم رياحه أو يجرفهم تياره، حيث إنه يستهدفهم أفرادا أولا، ليعبث بقدراتهم جماعات، ثم يسخرهم و يستغل كل طاقاتهم فى ترسيخ دعائمه، و تثبيت عزائمه، و ليكونوا من ثم اليد التى يبطش بها، و المعول الذى يهدم به كل فضيلة و يشيع كل رذيلة.

۹- فى هذه الوثيقة أيضا تكريس للسلطة الإسلامية و اعتراف مسجل بها من قبل ألدّ أعدائها و هم اليهود- أعنى الذين تهودوا من الأنصار و قد كان اليهود يعتبرون أنفسهم وحدهم دون كل من عداهم، أصحاب كل الإمتيازات، و إن كل قرار يجب أن يكون

صادرا عنهم، و منهم، و اليهم، فهم الحكام على الناس، و الناس كلهم يجب أن يكونوا تحت سلطتهم،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۶۰

و قد خلقوا ليكونوا لهم خدما كما يزعمون.

فقد قررت الوثيقة: أن لا يخرج أحد من اليهود إلا بإذن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم». و أن الحاكمية إنما هى لدين اللّه و لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لا لأحد سواه.

و لعل هذا القرار قد اتّخذ أيضا من أجل أن لا يفسح المجال أمام اليهود لممارسة دور الإفساد و الجاسوسية من الداخل لصالح الأعداء المتربصين بالإسلام و بالمسلمين شرا من الخارج. و من أجل أن يؤكد لكل الناس الذين يعيشون معهم و حولهم: أن ثمة قوة لابد من الإعتراف بها، و التعامل معها بواقعية و موضوعية و صدق.

۱۰- و قد أكد ما ذكرناه آنفا و عمقه ذلك القرار الذى اعترف به اليهود و سجلوه على أنفسهم، و الذى ينص على أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» هو المرجع الذى يتولى حلّ المشكلات، التى تنشأ فيما بينهم و بين المسلمين.

و لسنا بحاجة إلى التذكير بما لهذه المادة من مدلول سياسى، و من أثر نفسى و إجتماعى عليهم و على غيرهم ممن يعيشون فى المدينة، و كذا ما لهذا القرار من أثر كذلك على المنطقة بأسرها.

هذا، و قد حفظ بذلك المضمون العقائدى، و روعيت فيه الجهات الفقهية، كما يظهر بأدنى تأمل فى ذلك. و يمكن بحث هذه النقطة بصورة مستقلة فى مجال آخر.

۱۱- هذا كله، عدا عن أن هذه الوثيقة قد ضمنت لمن تهود من الأنصار حقوقهم العامة، و ذلك من قبيل حق «الأمن» و «الحرية» بشرط ألا يفسدوا.

و هذان الحقان و لا سيما حق الحرية، يؤكد على أن الإسلام لا يخشى شيئا إذا كان منطلقا من الواقع و قائما على أساس الحق و الصدق.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۶۱

و لكنه يخشى من الإفساد، و من الإفساد فقط.

و هذا يصب فى اتجاه الإسلام إلى التأكيد على المعرفة، و الدعوة إلى العلم، لأنه يرى أنه أول من يستفيد من العلم و من المعرفة، و من إطلاق الحريات، فى خط البناء، لا فى خط الهدم و الإفساد.

۱۲- ثم تضمنت الوثيقة: اعترافا من المنافقين و المشركين، و من اليهود أيضا بأن المؤمنين على أحسن هدى و أقومه. مع أن ما كان يشيعه هؤلاء الأعداء إنما هو: أن هذا النبى قد جاء ليفرق جماعاتهم، و يسفّه أحلامهم، و و إلخ. كما ذكره عمرو بن العاص للنجاشى ملك الحبشة.

۱۳- و جاء فيها أيضا قرار بإلغاء القبلية التى توجب على القبيلة الإنتصار لأبنائها، حتى و لو كانوا المعتدين على غيرهم، و الظالمين لهم.

حيث تقرر أن على جميع المؤمنين أن يلاحقوا القاتل، من كان، و مهما كان.

كما أن ذلك إنما يعنى إلغاء سائر الإعتبارات التى تؤثر فى هذا المجال، من قبيل الرئاسات، و الزعامات، أو نوع القبيلة، التى يكون المجرم منها، كما كان الحال فيما بين بنى قريظة و النضير، حيث كان الإمتياز فى ذلك لبنى النضير على بنى قريظة.

۱۴- ثم إن هذه الوثيقة قد أعطت للمسلمين الحق فى التصدى لأخذ أموال قريش (و ليس المشركين)؛ لأن قريشا هى التى سلبتهم أموالهم، و أخرجتهم من ديارهم، ليكون ذلك عوضا عما أخذ منهم.

و قد اعترف لهم بهذا الحق حتى المشركون، الذين هم طرف فى هذه المعاهدة. الأمر الذى جعل المشركين يشعرون: أنهم غير معنيين

بما تتعرض له قريش فى هذا السياق، و جعل القضية تصب فى الإتجاه الآخر بالنسبة إليهم، ثم هو قد أعطى الجانب الإنسانى قيمة، و فاعلية، فى ضمير و وجدان الناس، الذين فقدوا إحساسهم بهذه القيمة أو كادوا.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۶۲

۱۵- و نلاحظ: أن هذه الوثيقة قد اعتمدت التعبير ب «المؤمنين» بدل «المسلمين».

و لهذا دلالاته على صعيد التعامل، كما أن له إيحاءاته بالنسبة للمخلصين، ليزدادوا خلوصا و إخلاصا و بالنسبة للمنافقين الذين يخادعون اللّه و الذين آمنوا، و ما يخدعون إلا أنفسهم. كما أن له تأثيراته السياسية فى مجال التمايز بين الفرق، كى لا يكون ذلك من منطلق التعصب للدين و المذهب.

۱۶- و فى الوثيقة أيضا: إظهار شرف الإيمان الذى اعطيت الإمتيازات على أساسه، و اعتبار الكفر فى درجة منحطة حينما قال: «أن لا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر، و لا ينصر كافرا على مؤمن».

۱۷- هذا إلى جانب التمايز الواضح فيما بين معسكرى الكفر و الإيمان، و تكريس حالته.

۱۸- و يلاحظ: أن الوثيقة قد نصت على أن كل من يعترف بما فى هذه الصحيفة لا يحق له نصر محدث، و لا إيواؤه. و هذا من شأنه أن يشيع الأمن العام، و يجعل الناس يطمئنون نوعا ما، و يخفف من الخوف الذى كان سائدا بين الأوس و الخزرج. كما أن فيه إنذارا مبطنا للآخرين من اليهود و المشركين الذين يعيشون مع المسلمين فى بلد واحد.

۱۹- كما أن إظهار المسلمين أمام أعدائهم على أنهم قوة واحدة و متماسكة و متناصرة، له أثر كبير فى تكريس الهيبة لهم فى النفوس، و إبعاد الأطماع فى أن ينفذ نافذ إلى المسلمين من خلال التلاعب بالعواطف القبلية أو سواها.

۲۰- و يلاحظ أخيرا: أن الوثيقة لم تعط للمشركين حقوقا، و لكنها فرضت عليهم قيودا، فليس للمشرك أن يجير مالا لقريش، و لا نفسا، و لا

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۶۳

يحول دونه على مؤمن.

هذا ما أحببنا الإلماح إليه فى هذه العجالة، و ثمة أمور كثيرة أخرى نأمل أن نوفق لدراستها فى فرصة أخرى.

موادعة اليهود:

و جاءت يهود قريظة، و النضير، و قينقاع، و طلبوا الهدنة من رسول اللّه (ص)، فكتب لهم بذلك، على أن لا يعينوا عليه أحدا، و لا يتعرضوا لأحد من أصحابه بلسان، و لا يد، و لا بسلاح، و لا بكراع، فى السر، و لا فى العلانية، لا بليل و لا بنهار، فإن فعلوا فرسول اللّه (ص) فى حل من سفك دمائهم، و سبى ذراريهم و نسائهم، و أخذ أموالهم. و كتب لكل قبيلة كتابا على حدة «۱».

و لكن اليهود عادوا بعد ذلك إلى الغدر و المكر، كما سيأتى إن شاء اللّه، مع علمهم بأنه النبى الحق، كما تدل عليه تصريحاتهم المختلفة.

---

(۱) إعلام الورى ص ۶۹، و البحار ج ۱۹ ص ۱۱۰/ ۱۱۱ عنه، و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۱۷۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۶۵

الفصل الرابع: تشريعات و أحكام

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۶۷

تشريع الأذان:

و يذكرون هنا: أن الأذان قد شرع فى السنة الأولى من الهجرة، و قيل: فى الثانية، و لا يهمنا تحقيق ذلك كثيرا.

أما كيفية تشريعه فتحكى على النحو التالى: إن النبى (ص) اهتم للصلاة، كيف يجمع الناس لها. فقيل له: انصب راية؛ فإذا رأوها آذن بعضهم بعضا، فلم يعجبه ذلك. فذكروا له القبع- يعنى الشبور، شبور اليهود- فلم يعجبه ذلك، و قال: هو من أمر اليهود. فذكروا له الناقوس.

فقال: هو من أمر النصارى. و كأنه كرهه أولا، ثم أمر به، فعمل من خشب.

فانصرف عبد اللّه بن زيد، و هو مهتم لهمّ رسول اللّه (ص)، فأرى الأذان فى منامه.

قال: فغدا على رسول اللّه (ص) فأخبره فقال له: يا رسول اللّه، إنى لبين نائم و يقظان إذ أتانى آت، فأرانى الأذان.

قال: و كان عمر بن الخطاب قد رآه قبل ذلك؛ فكتمه عشرين يوما، ثم أخبر به النبى (ص) فقال: ما منعك أن تخبرنى؟ قال: سبقنى عبد اللّه بن زيد، فاستحييت، فقال رسول اللّه (ص): يا بلال، قم فانظر ما يأمرك به عبد اللّه بن زيد، فافعله. قال: فأذن بلال (الحديث).

كان هذا أحد نصوص رواية كيفية تشريع الأذان. و للرواية نصوص

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۶۸

كثيرة و مختلفة جدا، فراجع «۱».

مناقشة روايات الأذان:

و نحن نعتقد عدم صحة ذلك؛ و ذلك استنادا إلى ما يلى:

أولا: تناقض الروايات الشديد، كما يظهر بالمراجعة و المقارنة و ذلك يوهن الرواية، و يثير حولها أكثر من سؤال. فمثلا:

الرواية المتقدمة تذكر أن ابن زيد رأى الأذان بين المنام و اليقظة، و أخرى تقول: رآه فى المنام، و ثالثة تقول: إن ابن زيد قال: «لولا أن يقول الناس لقلت: إنى كنت يقظان غير نائم».

و رواية تقول: إن ابن زيد رآه، فأخبر به النبى (ص). و أخرى.

تقول: إن جبرئيل أذن فى سماء الدنيا؛ فسمعه عمر و بلال، فسبق عمر بلالا، فأخبر النبى (ص)، ثم جاء بلال، فقال له: سبقك بها عمر.

---

(۱) راجع فى نصوص الحديث المختلفة المصادر التالية:

سنن أبى داود ج ۱ ص ۳۳۵- ۳۳۸، و المصنف لعبد الرزاق ج ۱ ص ۴۵۵- ۴۶۵، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۹۳- ۹۷، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۵۹، و الموطأ ج ۱ و شرحه للزرقانى ج ۱ ص ۱۲۰- ۱۲۵، و الجامع الصحيح للترمذى ج ۱ ص ۳۵۸- ۳۶۱، و مسند أحمد ج ۴ ص ۴۲، و سنن ابن ماجة ج ۱ ص ۱۲۴، و سنن البيهقى ج ۱ ص ۳۹۰/ ۳۹۱، و سيرة ابن هشام ج ۲ ص ۱۵۴/ ۱۵۵ و ۱۲۵، و نصب الراية ج ۱ ص ۲۵۹- ۲۶۱، و فتح البارى ج ۲ ص ۶۳- ۶۶، و طبقات ابن سعد ج ۱ قسم ۲ ص ۸، و البداية و النهاية ج ۳ ص ۲۳۲/ ۲۳۳، و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۷۱، و منتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج ۳ ص ۲۷۳ و ۲۷۵، و تبيين الحقائق للزيلعى ج ۱ ص ۹۰، و الروض الأنف ج ۲ ص ۲۸۵/ ۲۸۶، و حياة الصحابة ج ۳ ص ۱۳۱ عن كنز العمال ج ۴ ص ۲۶۳/ ۲۴۶، و نقل أيضا عن أبى الشيخ، و ابن حبان، و ابن خزيمة، و سنن الدارقطنى ج ۱ ص ۲۴۱/ ۲۴۲ و ۲۴۵.

و غير ذلك من المصادر الكثيرة التى لا مجال لتتبعها و استقصائها.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۶۹

و رواية تقول: إن ابن زيد رآه. و أخرى تقول: إن سبعة من الأنصار رأوه، و قيل: أربعة عشر، و رواية تزيد عبد اللّه بن أبى بكر. و رواية تقول:

إن بلالا كان يقول: أشهد أن لا إله إلا اللّه، حى على الصلاة، فقال له عمر: أشهد أن محمدا رسول اللّه، فقال النبى (ص) لبلال: قل كما قال عمر.

و رواية تفرد فصول الإقامة، و رواية تثنيها.

إلى غير ذلك من وجوه الإختلاف التى لا مجال لذكرها؛ فراجع المصادر و قارن بين الروايات إن شئت.

و ثانيا: إن دعوى سماع عمر و بلال لجبرئيل، أو رؤية ابن زيد للأذان فى اليقظة، لا يمكن قبولها؛ لأن معنى ذلك هو أن يكون هؤلاء من الأنبياء، لأنهم قد رأوا جبرئيل عيانا، و سمعوا منه أمرا تشريعيا توقيفيا، و ذلك من مختصات الأنبياء.

أما بالنسبة لرواية الرؤية فى المنام، فقد قال العسقلانى:

«و قد استشكل فى إثبات حكم الأذان برؤيا عبد اللّه بن زيد، لأن رؤيا غير الأنبياء لا يبنى عليها حكم شرعى. أجيب باحتمال مقارنة الوحى لذلك!؟» «۱»

و لكنه جواب بارد؛ فإن مجرد الاحتمال لا يجدى، مع كون الرواية المعتمدة عندهم لم تذكر ذلك، و لم تشر اليه، بل اكتفت بمجرد أمره (ص) بلالا بالتعلم من ابن زيد.

ثم لماذا لم ينزل الوحى عليه (ص) من أول الأمر، و حينما كان متحيرا فى أمره، مهموما مغموما لا يدرى ما يفعل؟!.

و يبقى سؤال: لم اختص الأذان بأن شرع بهذه الكيفية، دون

---

(۱) فتح البارى ج ۲ ص ۶۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۷۰

سائر الأحكام؟!

و أجاب السهيلى بأن فى الأذان تنويها بشأنه، و رفعا لذكره، فلأن يكون على لسان غيره أنوه و أفخم لشأنه «۱».

و لكنه جواب بارد أيضا- و إن استحسنه العسقلانى و غيره- لأنه لو صحّ؛ لوجب أن يكون تشريع الصلاة و الزيارات و الأدعية، بل و كذا إيجاب الشهادتين، و غير ذلك أيضا على لسان غيره، لأنها كلها فيها تنويه بذكره، و تفخيم لأمره، و كذا بالنسبة للآيات القرآنية التى تمتدحه «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» و تثنى عليه كقوله تعالى: وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ، و غير ذلك.

و بعد كل ما تقدم فإننا نقول: إن حكم النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» بالعمل برؤيا ابن زيد، يكون من النطق عن الهوى، و عدم الإستناد إلى الوحى، و هو ينافى قوله تعالى: و ما ينطق عن الهوى.

و مشورة النبى «صلى اللّه عليه و آله» لأصحابه فى أمر دينى مستحيلة؛ لأنه مستغن عنهم بالوحى، نعم هو كان يستشيرهم فى أمور دنيوية، يطلب منهم هم القيام بها، لأسباب ستأتى إن شاء اللّه فى غزوة بدر و أحد.

و ثالثا: كيف كره (ص) موافقة اليهود و النصارى، ثم عاد فرضى بها، فهل كان ذلك قبيحا ثم صار حسنا؟!. أم أنه كان مضطرا إلى موافقتهم؛ حيث سدّت السبل فى وجهه؟! و لم لا- يجعل مناديا ينادى الناس للصلاة، كما كانوا يفعلون حينما كانوا ينادون: بالصلاة جامعة، فى كل مناسبة اقتضت ذلك؟ و لماذا يهتم رسول اللّه و عبد اللّه بن زيد و قد انحل المشكل برضاه (ص) بصنع الناقوس؛ و لم يبق ما يستدعى ذلك؟.

(۱) الروض الانف ج ۲ ص ۲۸۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۷۱

و الأهم من ذلك: أنهم يروون- و إن كنا نحن لا نصدق بل و نجزم بكذب ذلك-: أنه (ص) كان يحب موافقة أهل الكتاب فى كل ما لم ينزل فيه وحى «۱».

فلماذا كره ذلك هنا، و اهتم و اغتم لأجله؟!. فما هذا التناقض القبيح فيما ينسبونه إلى النبى الأكرم «صلى اللّه عليه و آله و سلّم»؟!.

و رابعا:

۱- عن الصباح المزنى، و سدير الصيرفى، و محمد بن النعمان الأحول، و عمر بن أذينة، أنهم حضروا عند أبى عبد اللّه «عليه السلام» فقال: يا عمر بن أذينة ما ترى هذه الناصبة فى أذانهم و صلاتهم؟

فقال: جعلت فداك، إنهم يقولون: إن أبى بن كعب الأنصارى رآه فى النوم.

فقال «عليه السلام»: كذبوا و اللّه، إن دين اللّه تعالى أعز من أن يرى فى النوم.

و على حسب نص آخر إنه «عليه السلام» قال: ينزل الوحى به على نبيكم فتزعمون: أنه أخذه عن عبد اللّه بن زيد؟! «۲».

۲- عن أبى العلاء، قال: قلت لمحمد بن الحنفية:

إنا لنتحدث: أن بدء هذا الأذان كان من رؤيا رآها رجل من الأنصار فى منامه.

(۱) لسوف تأتى الإشارة إلى ذلك حين الكلام على صوم يوم عاشوراء إن شاء اللّه تعالى.

(۲) البحار ج ۱۸ ص ۳۵۴ عن علل الشرائع ص ۱۱۲/ ۱۱۳، و النص و الإجتهاد ص ۲۰۵ عن الشهيد فى الذكرى، و وسائل الشيعة ج ۴ ص ۶۱۲ و ۶۱۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۷۲

قال: ففزع لذلك محمد بن الحنفية فزعا شديدا و قال:

عمدتم إلى ما هو الأصل فى شرايع الإسلام، و معالم دينكم؛ فزعمتم: أنه من رؤيا رآها رجل من الأنصار فى منامه، تحتمل الصدق و الكذب، و قد تكون أضغاث أحلام؟!.

قال: فقلت: هذا الحديث قد استفاض فى الناس؟!.

قال: هذا و اللّه هو الباطل، ثم قال: و إنما أخبرنى أبى: أن جبرئيل «عليه السلام» أذّن فى بينت المقدس ليلة الإسراء و أقام، ثم أعاد جبرئيل الأذان لما عرج بالنبى (ص) إلى السماء «۱».

۳- و الإمام الحسن «عليه السلام» قد أنكر ذلك أيضا، حيث تذاكروا عنده الأذان، و ذكروا رؤيا ابن زيد، فقال: إن شأن الأذان أعظم من ذلك. أذّن جبرئيل فى السماء مثنى مثنى، و علمه رسول اللّه (ص)، و أقام مرة مرة، فعلمه رسول اللّه (ص) «۲».

۴- عن الحسين بن على أنه سئل عن الأذان و ما يقول الناس، فقال:

«الوحى ينزل على نبيكم و تزعمون: أنه أخذ الأذان عن عبد اللّه بن زيد؟! بل سمعت أبى على بن أبى طالب (ع) يقول:

أهبط اللّه ملكا حين عرج برسول اللّه (ص)، فأذن مثنى مثنى، و أقام مثنى مثنى، ثم قال له جبرئيل: يا محمد، هكذا أذان الصلاة» «۳».

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۹۶، و النص و الإجتهاد ص ۲۰۵ و كتاب العلوم (أمالى أحمد بن عيسى بن زيد) ج ۱ ص ۹۰.

(۲) النص و الإجتهاد ص ۲۰۵ عن مشكل الآثار، و ابن مردويه، و عن كنز العمال ج ۶ ص ۲۷۷ و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۱۷۱.

(۳) راجع ما تقدم و ما سيأتى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۷۳

و لكن كون الإقامة مرة مرة، مخالف لما هو ثابت قطعا عن أهل البيت (ع)، فإنه لا يرتاب أحد أنهم يروون و يرون أنها مثنى مثنى. و ذلك هو مذهب كثير من الصحابة، و التابعين، و فقهاء الإسلام.

و جعلها مرة مرة إنما كان على يد الأمراء، فإن ذلك أمر أستخفته الأمراء على حد تعبيرهم «۱». و إلا فإن الإقامة مرتين مرتين.

و خامسا: عن عبد اللّه بن زيد نفسه قال: سمعت أذان رسول اللّه (ص) فكان أذانه و إقامته مثنى مثنى «۲».

فلو كان هو الذى أرى الأذان، فلا بد أن يكون أعرف الناس به من كل أحد. فلماذا يرويه عن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلّم».

و سادسا: حكى الداودى، عن ابن إسحاق: أن جبرئيل أتى النبى (ص) بالأذان قبل أن يراه عبد اللّه بن زيد و عمر بثمانية أيام.

و يؤيد ذلك ما رووه أيضا: من أن عمر قد ذهب ليشترى ناقوسا، فأخبر: أن ابن زيد قد أرى الأذان فى المنام؛ فرجع ليخبر رسول اللّه (ص)، فقال له: «سبقك بذلك الوحى» «۳».

و سابعا: إننا نرجح أن تشريع الأذان كان فى مكة قبل الهجرة، و ذلك لما تقدم عن ابن الحنفية، و لما يلى:

۱- عن زيد بن على، عن آبائه (ع): أن رسول اللّه (ص) علّم الأذان ليلة أسرى به، و فرضت عليه الصلاة.

و كذا روى عن أمير المؤمنين «عليه السلام»، و عن ابن عمر،

---

(۱) المصنف لعبد الرزاق ج ۱ ص ۴۶۳، و سنن البيهقى ج ۱ ص ۴۲۵.

(۲) مسند أبى عوانة ج ۱ ص ۳۳۱، و راجع سنن الدارقطنى ج ۱ ص ۲۴۱.

(۳) المصنف لعبد الرزاق ج ۱ ص ۴۵۶، تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۶۰، و ليراجع:

البداية و النهاية ج ۳ ص ۲۳۳، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۹۶ و ۹۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۷۴

و الإمام الباقر «عليه السلام»، و عائشة «۱». و قد جاء بسند صحيح عن الإمام الباقر «عليه السلام» ما هو قريب من ذلك «۲».

۲- عن أنس: إن جبرئيل أمر النبى (ص) بالأذان حين فرضت الصلاة «۳». و الصلاة إنما فرضت فى مكة، كما هو معلوم.

و صحح السهيلى مفاد الرواية المروية عن الإمام الباقر «عليه السلام»، الدالة على تشريع الأذان حين الإسراء، و التى أشرنا إليها فيما سبق.

و لكنهم أوردوا عليه بأن فى سندها زياد بن المنذر، و فيه شيعية «۴».

و بأن النبى (ص) لم يأمر بالأذان حين الهجرة «۵».

و لكن إيرادهم الأول كما ترى، و إيرادهم الثانى أيضا لا وقع له، فإن

---

(۱) منتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج ۳ ص ۲۷۳ عن الطبرانى فى الأوسط، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۳۷۳ و ج ۲ ص ۹۳ و ۹۵، و مجمع الزوائد ج ۱ ص ۳۲۹ و ۳۲۸ و نصب الراية ج ۱ ص ۲۶۲ و ۲۶۰، و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۷۱ و ۷۲، و فتح البارى ج ۲ ص ۶۳، و الدر المنثور ج ۴ ص ۱۵۴ عن البزار، و ابن مردويه، و الطبرانى، و أبى نعيم فى دلائل النبوة، و الروض الأنف ج ۲ ص ۲۸۵- ۲۸۶، و البداية و النهاية ج ۳ ص ۲۳۳، و حاشية تبيين الحقائق، و البزار، و نقله فى النص و الإجتهاد ص ۲۰۵ عن مشكل الآثار، و عن الشهيد فى الذكرى، و كنز العمال ج ۱۴ ص ۴ عن ابن مردويه، و قصار الجمل ج ۱ ص ۱۳، و الوسائل ج ۴ ص ۶۶۰ و الكافى

ج ۳ ص ۳۰۲.

(۲) الكافى ج ۳ ص ۳۰۲.

(۳) المواهب اللدنية ج ۱ ص ۷۲، و فتح البارى ج ۲ ص ۶۳.

(۴) نصب الراية ج ۱ ص ۲۶۱.

(۵) البداية و النهاية ج ۳ ص ۲۳۳، و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۱۷۱، و نصب الراية ج ۱ ص ۲۶۱، و سكت عنه الحاكم، لكن الذهبى طعن فى نوح بن دراج، و لعله لأجل أنه كان يتشيع، كما هو دأبهم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۷۵

هذا هو محل النزاع.

و بالمناسبة نذكر: أنه قد ورد: أن جبرئيل نادى بالأذان لآدم حين أهبط من الجنة «۱».

و بعد ما تقدم، فإننا نعرف عدم صحة ما رووا عن ابن عباس، من أن فرض الأذان كان مع نزول آية: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ «۲». ليكون الأذان قد شرّع حين نزول سورة الجمعة، بعد السنة السابعة للهجرة و بعد وفاة عبد اللّه بن زيد، الذى قتل فى أحد، أو بعدها بقليل.

و لذلك قال الحاكم: «و إنما ترك الشيخان حديث عبد اللّه بن زيد فى الأذان و الرؤيا، التى قصّها على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» بهذا الإسناد، لتقدم موت عبد اللّه بن زيد، فقد قيل: إنه استشهد بأحد، و قيل: بعد ذلك بيسير» «۳».

و لكن عبارة الدر المنثور هكذا: «الأذان نزل على رسول اللّه (ص) مع فرض الصلاة: يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة إلخ» فيحتمل أن يكون مقصوده هو أن الأذان قد شرع فى مكة مع فرض الصلاة، ثم استشهد بالآية للإشارة إلى أن اللّه قد أومأ إلى الأذان فى القرآن أيضا؛ فإذا صح هذا فإن هذه الرواية لا تعارض ما تقدم.

و ثامنا: عن عائشة، و عكرمة، و قيس بن أبى حازم، و غيرهم، فى قوله تعالى: وَ مَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعا إِلَى اللَّهِ وَ عَمِلَ صالِحاً: ركعتان

---

(۱) فتح البارى ج ۲ ص ۶۴، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۹۳.

(۲) فتح البارى ج ۲ ص ۶۲، و الدر المنثور ج ۶ ص ۲۱۸ عن أبى الشيخ.

(۳) مستدرك الحاكم ج ۴ ص ۳۴۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۷۶

فيما بين الأذان و الأقامة «۱».

و واضح أن هذه الآية قد وردت فى سورة فصلت، و هى مكية، فيدل على أن الأذان و الإقامة قد شرعا فى مكة، و جاءت الآية لتبين حكما متعلقا بهما.

و دعوى: أن الآية مما تأخر حكمه عن نزوله، لا شاهد لها إلا رواية ابن زيد المتقدمة. و قد تقدم أنها لا تصلح للإعتماد عليها، بل الدليل قائم على كذبها.

و تاسعا: لقد ذكر المفسرون فى قوله تعالى: وَ رَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ أنه فى الأذان «۲». و روى عدد منهم ذلك عن ابن عباس و مجاهد «۳» و هذه الآية فى سورة الإنشراح، و هى مكية أيضا.

الكلمة الأخيرة:

و أخيرا فقد ورد بالسند الصحيح عن أبى عبد اللّه الصادق «عليه السلام»، قال: لما هبط جبرئيل على رسول اللّه (ص) بالأذان، أذّن جبرئيل و أقام. و عندها أمر رسول اللّه (ص) عليا (ع) أن يدعو له بلالا

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۹۳، و الدر المنثور ج ۵ ص ۳۶۴ عن عبد بن حميد، و الخطيب فى تاريخه، و سعيد بن منصور، و ابن أبى حاتم، و ابن مردويه، و ابن أبى شيبة، و ابن المنذر.

(۲) الكشاف ط دار الفكر ج ۴ ص ۲۶۶، و جوامع الجامع ص ۵۴۵، و البحر المحيط ج ۸ ص ۴۸۸، و مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۰۸، و التفسير الكبير ج ۳۲ ص ۵، و مدارك التنزيل (مطبوع بهامش الخازن) ج ۴ ص ۳۸۹.

(۳) راجع: تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۵۲۵، و راجع: الجامع لأحكام القرآن ج ۲۰ ص ۱۰۶، و لباب التأويل ج ۴ ص ۳۸۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۷۷

فدعاه، فعلمه رسول اللّه (ص) الأذان، و أمره به «۱».

و هذه الرواية لا تعارض ما سبق؛ إذ من الممكن أن يكون جبرئيل قد نزل بالأذان فى مكة، كما أن الأذان الذى شرّع حين الإسراء لعله الأذان الذى يمارسه كل فرد فرد، و أما أذان الإعلام فهو الذى نزل به جبرئيل و علّمه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» بلالا و أمره به.

و بالنسبة لما جرى بالمدينة، فلعل الأقرب هو الرواية التى تقول: إنه حين قدم المسلمون المدينة؛ كانوا يجتمعون يتحينون الصلاة، و ليس ينادى بها. و كلموه يوما فى ذلك، فقال بعضهم لبعض: اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى، و قال بعضهم: بوقا مثل بوق اليهود، فقال عمر (رض):

ألا تبعثوا رجالا ينادون بالصلاة. فقال رسول اللّه (ص): «قم يا بلال فأذن» «۲».

فهذه الرواية الأخيرة تفيد: أن المسلمين هم الذين اختلفوا فيما بينهم، و اقترحوا بعض الوسائل على بعضهم البعض؛ فحسم (ص) النزاع بأمره بلالا بالأذان. فيظهر منه أن الأذان كان قد شرّع قبل ذلك، حين الإسراء مثلا، و لكن هؤلاء المسلمين إما لم يطّلعوا على ذلك، لأنهم أسلموا حديثا، أو أنهم أو بعضهم قد عرفوا بالأمر لكن لم يعجبهم ذلك، فأحبوا التغيير.

هذا .. و قد بحث الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين هذا الموضوع؛ فليراجعه من أراد «۳».

---

(۱) الوسائل ج ۱ ص ۳۲۶، و الكافى ج ۳ ص ۳۰۲، و النص و الإجتهاد ص ۲۰۵، و نقله الصدوق و الشيخ رحمهما اللّه تعالى.

(۲) سنن الدار قطنى ج ۱ ص ۲۳۷.

(۳) النص و الإجتهاد ص ۱۹۷- ۲۰۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۷۸

حىّ على خير العمل فى الأذان:

و من الأمور التى وقع الخلاف فيها بين المسلمين، بين مثبت و ناف، هو قول: «حى على خير العمل» فى الأذان مرتين، بعد قول: حى على الفلاح.

فذهبت طائفة تبعا لأئمتهم إلى أن هذه الفقرة «حى على خير العمل» لا يصح ذكرها فى الأذان، و هؤلاء هم جمهور أهل السنة و الجماعة. و عبّر بعضهم بلفظ: يكره، معلّلا ذلك بأنه لم يثبت ذلك عن النبى، و الزيادة فى الأذان مكروهة «۱».

و قال القاسم بن محمد بن على نقلا عن توضيح المسائل لعماد الدين يحيى بن محمد بن حسن بن حميد المقرى: «قد ذكر الرويانى؛

أن للشافعى قولا مشهورا بالقول به. و قد قال كثير من علماء المالكية و غيرهم من الحنفية و الشافعية: أنه كان حى على خير العمل من ألفاظ الأذان.

قال الزركشى فى كتابه المسمى بالبحر ما لفظه: و منها ما الخلاف فيه موجود فى المدينة كوجوده فى غيرها، و كان ابن عمر، و هو عميد أهل المدينة، يرى إفراد الأذان، و يقول فيه: «حى على خير العمل» .. إلى أن قال المقرى: «فصحّ ما رواه الروياني: أن للشافعى قولا مشهورا فى إثبات حى على خير العمل» «۲».

و ذهب أهل البيت و شيعتهم إلى أن هذه الفقرة جزء من الأذان و الإقامة، لا يصحان بدونها، و هذا الحكم إجماعى عندهم «۳» و نسبه

---

(۱) سنن البيهقى ج ۱ ص ۴۲۵، و البحر الرائق ج ۱ ص ۲۷۵ عن شرح المهذب.

(۲) الإعتصام بحبل اللّه المتين ج ۱ ص ۳۰۷.

(۳) الإنتصار للسيد المرتضى ص ۳۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۷۹

الشوكانى إلى «العترة» «۱» و قال: نسبه المهدى فى البحر إلى أحد قولى الشافعى» «۲».

قال الشوكانى: «و هو خلاف ما فى كتب الشافعية» «۳».

و يستدل شيعة أهل البيت على أن كلمة: حى على خير العمل، ثابتة فى الأذان بالإجماع، و بالروايات الكثيرة و المتواترة عن أهل بيت النبوة «عليهم السلام» فى ذلك، كرواية أبى الربيع، و زرارة، و الفضيل بن يسار، و محمد بن مهران عن أبى جعفر (ع).

و رواية فقه الرضا عن الرضا (ع).

و رواية ابن سنان، و معلّى بن خنيس، و أبى بكر الحضرمى، و كليب الأسدى عن أبى عبد اللّه (ع).

و رواية أبى بصير عن أحد هما.

و رواية محمد ابن أبى عمير عن أبى الحسن.

و رواية على، و محمد بن الحنفية عن النبى (ص).

و رواية عكرمة عن ابن عباس «۴».

و نحن إزاء هذا الإختلاف؛ لا نجد مناصا من الأخذ بمذهب أهل البيت (ع) و شيعتهم، و لا نستند فى ذلك فقط إلى الإجماع المذكور، و لا إلى خصوص ما ورد عن أهل البيت الذين هم أحد الثقلين، و الذين أذهب

---

(۱) نيل الأوطار ج ۲ ص ۱۸.

(۲) نيل الأوطار ج ۲ ص ۱۸/ ۱۹، و البحر الزخار ج ۲ ص ۱۹۱ و فيه: أخير بدل أحد، و كذا فى الإعتصام بحبل اللّه المتين ج ۱ ص ۳۰۷ و ۳۰۸.

(۳) نيل الأوطار ج ۲ ص ۱۹.

(۴) راجع الوسائل و جامع أحاديث الشيعة و البحار، و مستدرك الوسائل أبواب الأذان.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۸۰

اللّه عنهم الرجس، و طهرهم تطهيرا.

و إنما إلى العديد من الأدلة و الشواهد الأخرى التى نجدها عند غيرهم أيضا. فقد روى ذلك- و بعضه بالأسانيد الصحيحة- عن كل من:

۱- عبد اللّه بن عمر.

۲- الإمام على بن الحسين، زين العابدين «عليه السلام».

۳- سهل بن حنيف.

۴- بلال.

۵- على أمير المؤمنين «عليه السلام».

۶- أبى محذورة.

۷- ابن أبى محذورة.

۸- زيد بن أرقم.

۹- الباقر «عليه السلام».

۱۰- الصادق «عليه السلام».

۱۱- الإمام الحسن بن على «عليه السلام».

۱۲- الإمام الحسين «عليه السلام».

و غيرهم كثير. فأما ما روى عن عبد اللّه بن عمر، فقد رواه:

۱- مالك بن أنس، عن نافع، قال: كان ابن عمر أحيانا إذا قال:

حى على الفلاح، قال على إثرها: حى على خير العمل «۱».

۲- عن الليث بن سعد، عن نافع قال: كان ابن عمر لا يؤذّن فى

---

(۱) سنن البيهقى ج ۱ ص ۴۲۴، و الإعتصام بحبل اللّه المتين ج ۱ ص ۲۹۷ و ۳۰۸ و ۳۱۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۸۱

سفره، و كان يقول: حى على الفلاح، و أحيانا يقول: حى على خير العمل «۱».

۳- و عن الليث بن سعد عن نافع، قال: كان ابن عمر ربما زاد فى أذانه: حى على خير العمل.

و رواه أنس بن مالك، عن نافع، عن ابن عمر «۲».

و رواه أيضا: عطاء، عن ابن عمر «۳».

۴- عن محمد بن سيرين عن ابن عمر: أنه كان يقول ذلك فى أذانه «۴».

۵- و كذلك رواه نسير بن ذعلوق، عن ابن عمر، و قال: فى السفر «۵».

۶- عبد الرزاق، عن ابن جريح، عن نافع، عن ابن عمر: أنه كان يقيم الصلاة فى السفر، يقولها مرتين أو ثلاثا، يقول: حى على الصلاة، حى على الصلاة، حى على خير العمل «۶».

---

(۱) سنن البيهقى ج ۱ ص ۴۲۴، و راجع: نيل الأوطار ج ۲ ص ۱۹.

(۲) راجع: سنن البيهقى ج ۱ ص ۴۲۴، و راجع: دلائل الصدق ج ۳ قسم ۲ ص ۱۰۰ عن مبادىء الفقه الإسلامى للعرفى ص ۳۸ عن شرح التجريد. و قد رواه ابن أبى شيبة و نقله فى الشفاء كما ورد فى جواهر الأخبار و الآثار المستخرجة من لجة البحر الزخار للصعدى ج ۲ ص ۱۹۲، و الإعتصام بحبل اللّه المتين ج ۱ ص ۳۰۸.

(۳) الإعتصام بحبل اللّه المتين ج ۱ ص ۲۹۹ و راجع ص ۳۱۰.

(۴) سنن البيهقى ج ۱ ص ۴۲۵، و الإعتصام بحبل اللّه المتين ج ۱ ص ۳۰۸ عنه.

(۵) المصدران السابقان.

(۶) مصنف عبد الرزاق ج ۱ ص ۴۶۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۸۲

۷- عبد الرزاق، عن معمر، عن يحيى بن أبى كثير، عن رجل: أن ابن عمر كان إذا قال فى الأذان: حى على الفلاح، قال: حى على خير العمل، ثم يقول: اللّه أكبر اللّه أكبر، لا إله إلا اللّه «۱».

و رواه ابن أبى شيبة «۲» من طريق ابن عجلان، و عبيد اللّه، عن نافع، عن ابن عمر.

۸- عن زيد بن محمد، عن نافع؛ أن ابن عمر كان إذا أذّن قال:

حى على خير العمل «۳».

و ذكر صاحب الإعتصام رواية ابن عون عن نافع، و ابن جريج عن نافع، و عثمان بن مقسم عن نافع، و عبد اللّه بن عمر عن نافع، و جويرية بن أسماء عن نافع «۴» فراجع.

و نقل رواية ذلك عن ابن عمر الحلبى الشافعى و غيره أيضا، فراجع «۵».

و قال ابن حزم: «و لقد كان يلزم يقول بمثل هذا عن الصاحب؛ مثل هذا لا يقال بالرأى: أن يأخذ بقول ابن عمر هذا؛ فهو عنه ثابت بأصح إسناد» «۶».

---

(۱) سنن البيهقى ج ۱ ص ۴۶۰، و الإعتصام بحبل اللّه المتين ج ۱ ص ۲۹۹.

(۲) عن مصنف ابن أبى شيبة ج ۱ ص ۱۴۵، و هامش مصنف عبد الرزاق ج ۱ ص ۴۶۰ عنه، و راجع: الإعتصام بحبل اللّه المتين ج ۱ ص ۲۹۶.

(۳) الإعتصام بحبل اللّه المتين ج ۱ ص ۲۹۵.

(۴) الإعتصام ج ۱ ص ۲۹۶- ۲۹۹.

(۵) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۹۸، و الإعتصام بحبل اللّه المتين ج ۱ ص ۳۱۱ و ۳۱۲ عن ابن حزم فى كتاب الإجماع.

(۶) المحلى ج ۳ ص ۱۶۰/ ۱۶۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۸۳

و أما ما ورد عن على بن الحسين «عليه السلام».

۹- فعن حاتم بن إسماعيل، عن جعفر بن محمد، عن أبيه: أن على بن الحسين كان يقول فى أذانه، إذا قال: حى على الفلاح، قال: حى على خير العمل، و يقول: هو الأذان الأول «۱».

و ليس يجوز أن يحمل قوله هو الأذان الأول إلا على أنه أذان رسول اللّه (ص) «۲».

۱۰- و نقل ذلك عن على بن الحسين، الحلبى، و ابن حزم و غيرهما كما سيأتى.

و أما سهل بن حنيف فقد:

۱۱- روى البيهقى: أن ذكر حى على خير العمل فى الأذان قد روى عن أبى أمامة: سهل بن حنيف «۳».

۱۲- و نقل ابن الوزير، عن المحب الطبرى الشافعى فى كتابه إحكام الأحكام، ما لفظه «ذكر الحيعلة، بحى على خير العمل، عن صدقة بن يسار، عن أبى أمامة سهل بن حنيف: أنه كان إذا أذن قال: حى على خير العمل. أخرجه سعيد بن منصور» «۴».

---

(۱) سنن البيهقى ج ۱ ص ۴۲۵، و دلائل الصدق ج ۳ قسم ۲ ص ۱۰۰ عن مبادىء الفقه الإسلامى ص ۳۸ عن مصنف ابن أبى شيبة؛ و جواهر الأخبار و الآثار ج ۲ ص ۱۹۲، و الإعتصام بحبل اللّه المتين ج ۱ ص ۲۹۹ و ۳۰۸ و ۳۱۰، و نيل الأوطار ج ۲ ص ۱۹، و راجع: كتاب العلوم ج ۱ ص ۹۲.

(۲) دلائل الصدق ج ۳ قسم ۲ ص ۱۰۰ عن مبادىء الفقه الإسلامى ص ۳۸.

(۳) سنن البيهقى ج ۱ ص ۴۲۵.

(۴) دلائل الصدق ج ۳ قسم ۲ ص ۱۰۰ عن مبادىء الفقه الإسلامى ص ۳۸.

و راجع: الإعتصام بحبل اللّه المتين ج ۱ ص ۳۰۹، و راجع: ص ۳۱۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۸۴

و عن بلال أيضا:

۱۳- عن عبد اللّه بن محمد بن عمار، عن عمار و عمر ابنى حفص بن عمر، عن آبائهم، عن أجدادهم، عن بلال: أنه كان ينادى بالصبح، و يقول: حى على خير العمل، فأمره النبى (ص) أن يجعل مكانها:

الصلاة خير من النوم، و ترك حى على خير العمل «۱».

أما ذيل الرواية فالظاهر أنه من تزيّد الرواة؛ لأن عبارة: «الصلاة خير من النوم» قد أضيفت إلى الأذان بعد زمان النبى (ص)، و بالذات من قبل عمر بن الخطاب، كما صرحت به العديد من الروايات «۲».

۱۴- كان بلال يؤذن بالصبح، فيقول: حى على خير العمل «۳».

يضاف إلى كل ذلك:

۱۵- قول القوشجى و غيره: إن عمر خطب الناس، و قال: أيها الناس، ثلاث كن على عهد رسول اللّه (ص)، أنا أنهى عنهن، و أحرمهن، و أعاقب عليهن، و هى: متعة النساء، و متعة الحج، وحى على خير

---

(۱) مجمع الزوائد ج ۱ ص ۳۳۰ عن الطبرانى فى الكبير، و مصنف عبد الرزاق ج ۱ ص ۴۶۰، و سنن البيهقى ج ۱ ص ۴۲۵، و كنز العمال ج ۴ رقم ۵۵۰۴، و منتخب الكنز هامش المسند ج ۳ ص ۲۷۶ عن أبى الشيخ فى كتاب الأذان، و دلائل الصدق ج ۳ قسم ۲ ص ۹۹.

(۲) راجع: موطأ مالك ج ۱ ص ۹۳، و سنن الدارقطنى، و مصنف عبد الرزاق ج ۱ رقم ۱۸۲۷ و ۱۸۲۹ و ۱۸۳۲ ص ۴۷۴ و ۴۷۵، و كنز العمال ج ۴ رقم ۵۵۶۷ و ۵۵۶۸، و منتخبه هامش المسند ج ۳ ص ۲۷۸، و فيه: أنه قال إنها بدعة، و الترمذى و أبا داود، و غير ذلك.

(۳) منتخب كنز العمال هامش المسند ج ۳ ص ۲۷۶، و دلائل الصدق ج ۳ قسم ۲ ص ۹۹ عن كنز العمال ج ۴ ص ۲۶۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۸۵

العمل «۱».

و قد اعتذر القوشجى متكلم الأشاعرة عن ذلك بقوله: «إن مخالفة المجتهد لغيره فى المسائل الإجتهادية ليس ببدع» «۲».

و هذا اعتذار غير وجيه، فإن النبى (ص) لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى، كما صرحت به الآيات.

و وجه العذر الحق عنه هو: أن الخليفة الثانى قد رأى- فى نظره-:

أن الناس إذا سمعوا: أن الصلاة هى خير العمل، فإنهم سوف يتكلون على الصلاة و يتركون الجهاد، كما سيصرح به الخليفة نفسه فيما يأتى.

و معنى ذلك هو أن هذا كان منه نهيا مصلحيا وقتيا، و لم يكن نهيا تشريعيا تحريميا، حيث إنه كان يعلم: أنه ليس له حق التشريع.

۱۶- و قال الحلبی: «و نقل عن ابن عمر، و عن علی بن الحسین (رض): أنهما کانا یقولان فی أذانیهما، بعد حی علی الفلاح: حی علی خیر العمل» «۳».

۱۷- و قال علاء الدین الحنفی، فی کتاب التلویح فی شرح الجامع الصحیح: «و أما حی علی خیر العمل، فذکر ابن حزم: أنه صح عن ابن عمر، و أبی أمامة بن سهل بن حنیف «۴»: أنهم کانوا یقولون فی أذانهم:

---

(۱) شرح التجرید للقوشجی مبحث الإمامة ص ۴۸۴، و کنز العرفان ج ۲ ص ۱۵۸ عن الطبری فی المستنیر، و الغدیر ج ۶ ص ۲۱۳ و قال: أخرجه الطبری فی المستبین عن عمر، و حکاه عن الطبری الشیخ علی البیاضی فی کتابه: الصراط المستقیم و جواهر الأخبار و الآثار ج ۲ ص ۱۹۲ عن التفتازانی فی حاشیته علی شرح العضد.

(۲) شرح التجرید للقوشجی ص ۴۸۴.

(۳) السیرة الحلبیة ط سنة ۱۳۸۲، باب الأذان ج ۲ ص ۹۸.

(۴) کذا فی الأصل و الصحیح: أبو امامة، سهل بن حنیف.

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۴،ص:۲۸۶

حی علی خیر العمل» «۱».

و أضاف صاحب التلویح علی هذا قوله: «و کان علی بن الحسین یفعله» «۲»

۱۸- و قال السید المرتضی: «و قد روت العامة: أن ذلک مما کان یقال فی بعض أیام النبی «صلی اللّه علیه و آله و سلّم»، و إنما ادّعی: أن ذلک نسخ ورفع، و علی من ادعی النسخ الدلالة، و ما یجدها» «۳».

۱۹- عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن حماد، عن أبیه، عن جده، عن النبی (ص) فی حدیث المعراج، قال: ثم قال جبرئیل فوضع سبابته الیمنی فی أذنه، فأذن مثنی مثنی یقول فی آخرها: حی علی خیر العمل، مثنی مثنی «۴».

۲۰- و کان ابن النباح یقول فی أذانه: حی علی خیر العمل «۵».

و قال القاسم بن محمد: «ذکر فی کتاب السنام ما لفظه: الصحیح أن الأذان شرّع بحی علی خیر العمل؛ لأنه اتفق علی الأذان به یوم الخندق؛ و لأنه دعاء إلی الصلاة، و قد قال (ص): خیر أعمالکم الصلاة.

و قد اتفق أیضا علی أن ابن عمر و الحسن و الحسین «علیهما السلام» و بلال، و جماعة من الصحابة، أذنوا به» حکاه فی شرح الموطأ و غیره من کتبهم.

---

(۱) المحلی ج ۳ ص ۱۶۰، و راجع: دلائل الصدق ج ۳ قسم ۲ ص ۱۰۰ عن مبادیء الفقه الإسلامی للعرفی ص ۳۸، و الإعتصام بحبل اللّه المتین ج ۱ ص ۳۱۱.

(۲) دلائل الصدق ج ۳ قسم ۲ ص ۱۰۰ عن مبادئ الفقه الإسلامی للعرفی ص ۳۸ و الاعتصام بحبل اللّه المتین ج ۱ ص ۳۱۱.

(۳) الإنتصار ص ۳۹.

(۴) سعد السعود ص ۱۰۰، و البحار ج ۴ ص ۱۰۷، و جامع أحادیث الشیعة ج ۲ ص ۲۲۱.

(۵) راجع: الوسائل، و جامع أحادیث الشیعة، و قاموس الرجال.

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۴،ص:۲۸۷

قال صاحب فتوح مکة و هو من مشایخ الصوفیة: «أجمع أهل المذاهب علی التعصب فی ترک الأذان بحی علی خیر العمل. إنتهی إلی قوله: و قد ذکر السید العلامة عز الدین أبو إبراهیم، محمد بن إبراهیم ما لفظه: «بحثت عن هذین الاسنادین فی حی علی خیر العمل،

فوجدتهما صحيحين إلى ابن عمر، و إلى زين العابدين» «۱».

و روى الإمام السروجى فى شرح الهداية للحنفية؛ أحاديث حى على خير العمل بطرق كثيرة «۲».

۲۱- روى عن على «عليه السلام»، أنه قال: سمعت رسول اللّه (ص) يقول: إعلموا: أن خير أعمالكم الصلاة، و أمر بلالا أن يؤذن: حى على خير العمل. حكاه فى الشفاء «۳» ..

۲۲- روى محمد بن منصور فى كتابه الجامع، بإسناده عن رجال مرضيين، عن أبى محذورة، أحد مؤذنى رسول اللّه (ص)، أنه قال: أمرنى رسول اللّه (ص) أن أقول فى الأذان: حى على خير العمل «۴».

۲۳- روى عن محمد بن منصور: أن [أبا] القاسم (ع) أمره أن يؤذن، و يذكر ذلك (يعنى: حى على خير العمل) فى أذانه قال: إن رسول اللّه (ص) أمر به. هكذا فى الشفاء «۵».

---

(۱) الإعتصام بحبل اللّه المتين ج ۱ ص ۳۱۰، و راجع ص ۳۱۲.

(۲) المصدر السابق ج ۱ ص ۳۱۱.

(۳) جواهر الأخبار و الآثار المستخرجة من لجة البحر الزخار ج ۲ ص ۱۹۱، و الإمام الصادق (ع) و المذاهب الأربعة ج ۵ ص ۲۸۴، و الإعتصام بحبل اللّه المتين ج ۱ ص ۳۰۹.

(۴) البحر الزخار ج ۲ ص ۱۹۲، و جواهر الأخبار و الآثار هامش نفس الصفحة، و كتاب العلوم ج ۱ ص ۹۲.

(۵) جواهر الأخبار و الآثار ج ۲ ص ۱۹۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۸۸

۲۴- عن أبى بكر أحمد بن محمد السرى: أنه سمع موسى بن هارون، عن الحمانى، عن أبى بكر بن عياش، عن عبد العزيز بن رفيع، عن أبى محذورة، قال: كنت غلاما، فقال لى النبى (ص): اجعل فى آخر أذانك: حى على خير العمل «۱».

۲۵- و فى الشفاء، عن هذيل بن بلال المدائنى، قال: سمعت ابن أبى محذورة يقول: حى على الفلاح، حى على خير العمل «۲».

۲۶- عن زيد بن أرقم: أنه أذن فى حى على خير العمل «۳».

۲۷- و قال الشوكنى نقلا عن كتاب الأحكام: و قد صح لنا: أن حى على خير العمل كانت على عهد رسول اللّه (ص) يؤذن بها، و لم تطرح إلا فى زمن عمر «۴».

۲۸- و هكذا قال الحسن بن يحيى. روى ذلك عنه فى جامع آل محمد «۵».

و به قال محمد: سألت أحمد بن عيسى، قلت: تقول إذا أذنت:

حى على خير العمل، حى على خير العمل؟!

قال: نعم.

قلت: فى الأذان و الإقامة؟

قال: نعم، و لكنى أخفيها.

---

(۱) ميزان الإعتدال للذهبى ج ۱ ص ۱۳۹، و لسان الميزان للعسقلانى ج ۱ ص ۲۶۸.

(۲) المصدران السابقان ص ۱۹۲، و جواهر الأخبار و البحر الزخار.

(۳) الإمام الصادق (ع) و المذاهب الأربعة ج ۵ ص ۲۸۳. و راجع: نيل الأوطار ج ۲ ص ۱۹ عن المحب الطبرى فى أحكامه.

(۴) و (۵) نيل الأوطار ج ۲ ص ۱۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۸۹

و به قال: حدثنى محمد بن جميل، عن نصر بن مزاحم، عن أبى الجارود، و عن أبى جعفر: أنه كان يقول: حى على خير العمل، فى الأذان و الإقامة.

و عن أبى الجارود، عن حسان، قال: أذنت ليحيى بن زيد بخراسان، فأمرنى أن أقول: حى على خير العمل، حى على خير العمل «۱».

۲۹- روينا عن على بن الحسين «عليه السلام»: أن رسول اللّه (ص) كان إذا سمع المؤذن قال كما يقول، فإذا قال: حى على الصلاة، حى على الفلاح، حى على خير العمل، قال: لا حول و لا قوة إلا باللّه إلخ «۲».

۳۰- عن محمد بن على، عن أبيه على بن الحسين (ع): أنه كان إذا قال: حى على الفلاح، قال: حى على خير العمل «۳».

۳۱- قال الزركشى فى البحر المحيط: و منها ما الخلاف فيه موجود، كوجوده فى غيرها، و كان ابن عمر، و هو عميد أهل المدينة، يرى إفراد الأذان و القول فيه: حى على خير العمل «۴».

۳۲- و فى كتاب السنام ما لفظه: الصحيح أن الأذان شرّع بحى على خير العمل «۵».

۳۳- و روى عن على «عليه السلام»، أنه كان يقول: حى على خير

---

(۱) كتاب العلوم المعروف بأمالى أحمد بن عيسى ج ۱ ص ۹۲.

(۲) دعائم الإسلام ج ۱ ص ۱۴۵، و البحار ج ۸۴ ص ۱۷۹ عنه.

(۳) جواهر الأخبار و الآثار للصعدى ج ۲ ص ۱۹۲.

(۴) الروض النضير ج ۱ ص ۵۴۲. و الاعتصام بحبل اللّه المتين ج ۱ ص ۳۰۷.

(۵) نفس المصدر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۹۰

العمل، و به أخذت الشيعة «۱».

۳۴- و فى الروض النضير: و قد قال كثير من علماء المالكية، و غيرهم من الحنفية و الشافعية: أنه كان (حى على خير العمل) من ألفاظ الأذان «۲».

اشكالات غير واردة:

۱- و أما دعوى: أن عدم ورود ذلك فى الصحيحين و غير هما من دواوين الحديث يدل على عدم اعتباره فى الأذان، و حتى لو صح ما روى من أنه الأذان الأول، فهو منسوخ بأحاديث الأذان لعدم ذكره منها «۳».

فلا تصح:

أولا: لأن الصحيحين لم يجمعا جميع الأحاديث التى تدل على الأحكام.

و ثانيا: لو كان منسوخا لعلم بذلك ابن عمر، و زين العابدين، و زيد بن أرقم، و غيرهم، فلماذا استمروا على ذلك حتى بعد وفاة رسول اللّه (ص)؟.

و ثالثا: قد صرحت بعض الروايات التى ذكرناها فى هذا البحث، أن أول من ألغى هذه العبارة من الأذان هو الخليفة الثانى عمر بن الخطاب لمصلحة تخيل أنها تقتضى ذلك. فبعد إنتفاء تلك المصلحة- لو سلّم صحة الإستناد إليها و الإعتماد عليها- لا يبقى مبرر للإستمرار على ترك ما شرعه رسول اللّه (ص) قبل ذلك.

---

(۱) الإعتصام بحبل اللّه المتين ج ۱ ص ۳۰۸.

(۲) الروض النضير ج ۱ ص ۵۴۲.

(۳) راجع: نيل الأوطار ج ۲ ص ۱۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۹۱

و لعل التزام عدد من الصحابة و التابعين و غيرهم و أهل البيت و شيعتهم بهذه الفقرة، يشير إلى أنهم لم يوافقوا عمر على ما ذهب إليه من الاجتهاد و لم يقبلوه منه.

۲- و بعد هذا، فلا يصح قول البعض: إن ذلك مكروه؛ لأنه لم يثبت عن النبى «۱». فقد عرفت أنه قد وردت الروايات الصحيحة عمن ذكرنا، أنهم كانوا يقولونها، و أنه مذهب أهل بيت النبوة، و معدن الرسالة، الذين هم أحد الثقلين. و قد بقى قول حى على خير العمل شعار العلويين، و أهل البيت و شيعتهم على مدى الأعصار، حتى إن ابتداء ثورة الحسين بن على صاحب فخ، كان لأجل ذلك، و لتلاحظ النصوص التالية: الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۴ ۲۹۱ حى على خير العمل موقف و شعار: ..... ص : ۲۹۱

حى على خير العمل موقف و شعار:

ألف: «صعد عبد اللّه بن الحسن الأفطس المنارة التى عند رأس النبى «صلى اللّه عليه و آله»، عند موضع الجنائز، فقال للمؤذن: أذن بحى على خير العمل، فلما نظر إلى السيف بيده أذّن بها، و سمع العمرى (يعنى والى المدينة من قبل المنصور) فأحسّ بالشر، و دهش، و صاح:

أغلقوا البغلة- الباب- و أطعمونى حبتى- ماء» «۲».

ب: و ذكر التنوخى: أن أبا الفرج أخبره: أنه سمعهم فى زمانه يقولون فى أذانهم بالقطيعة: حى على خير العمل «۳».

ج: و قال ابن كثير فى حوادث سنة ۴۴۳ عن الروافض: «و أذّنوا

---

(۱) البحر الرائق ج ۱ ص ۲۷۵ عن شرح المهذب، و سنن البيهقى ج ۱ ص ۴۲۵.

(۲) مقاتل الطالبين ص ۴۴۶.

(۳) نشوار المحاضرات ج ۲ ص ۱۳۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۹۲

بحى على خير العمل» «۱».

د: و قال الحلبى: «و ذكر بعضهم: أن فى دولة بنى بويه كانت الرافضة تقول، بعد الحيعلتين: حى على خير العمل، فلما كانت السلجوقية، منعوا المؤذنين من ذلك، و أمروا أن يقولوا فى أذان الصبح بدل ذلك: الصلاة خير من النوم، مرتين. و ذلك فى سنة ثمان و أربعين و أربعمائة» «۲».

ه: و تحدث ابن فرحون: أنه كان ثمة مقصورة قد زيدت على الحجرة النبوية الشريفة، عملت وقاية من الشمس إذا غربت قال: «و كانت بدعة و ضلالة تصلى فيها الشيعة» إلى أن قال: «و لقد كنت أسمع بعض من يقف على بابها، و يؤذن بأعلى صوته: «حى على خير العمل، و كانت مواطن تدريسهم، و خلوة علمائهم، حتى قيض اللّه لها من سعى فيها، فأصبحت ليلة منخلعة أبوابها إلخ» «۳».

- و قال ابن قاسم النويرى الإسكندرانى: «فحين وصل المعز إلى مصر، أمر بأن يؤذن على جامع عمرو بن العاص، و جامع ابن طولون بحى على خير العمل؛ فاستدام ذلك فى الأذان، إلى حين انقضاء دولة العبيديين فى سنة سبع و ستين و خمسمائة، فانقرض حينئذ ذكر

حى على خير العمل بانقراض دولتهم. أبطل ذلك السلطان صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب» «۴».

---

(۱) راجع: البداية و النهاية ج ۱۲ ص ۶۳.

(۲) السيرة الحلبية ط سنة ۱۳۸۲ باب الأذان ج ۲ ص ۱۰۵، و راجع: البداية و النهاية ج ۱۲ ص ۶۸، حوادث سنة ۴۴۸ ه.

(۳) وفاء الوفاء ج ۲ ص ۶۱۲.

(۴) الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام ج ۴ ص ۲۴ و راجع: تاريخ الإسلام للذهبى حوادث سنة ۳۸۱ ه. ص ۳۲، و تاريخ الخلفاء ص ۴۰۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۹۳

و: و فى سنة ۳۵۰ ه أعلن المؤذنون بحى على خير العمل بأمر جعفر بن فلاح نائب دمشق للمعز «۱»، و فى نفس السنة أيضا قدم البساسيرى إلى بغداد، و زيد فى الأذان حى على خير العمل «۲».

ز: و قال: «إن العبيديين الزاعمين أنهم فاطميون، كانوا شيعة، يقولون فى أذانهم بعد الحيعلتين: حى على خير العمل، يقولونها مرتين كما تقولها الزيدية فى أذانهم بمكة و المدينة فى غير أيام الحج، و كذلك بصعدة أيضا و غيرها من أرض اليمن» «۳».

ح: و قال ابن كثير، و هو يتحدث عن شروط الشيعة على والى حلب لإعانتهم إياه على صلاح الدين: «إن الروافض شرطوا عليه إعادة حى على خير العمل فى الأذان، و أن ينادى فى جميع الجوامع و الأسواق، و يستخلص لهم الجامع وحدهم، و ينادى بأسامى الأئمة الإثنى عشر سلام اللّه عليهم، و يكبّر على الجنائز خمس تكبيرات، و أن يفوّض أمر العقود و الأنكحة إلى الشريف الطاهر أبى المكارم حمزة إبن زهرة الحسينى، مقتدى شيعة حلب، فقبل الوالى ذلك كله» «۴».

سبب حذف هذه العبارة:

و أما لماذا حذفت هذه العبارة من الأذان؟! فقد صرح الخليفة الثانى نفسه بسر ذلك، فقد قال ابن شاذان، مخاطبا أهل السنة و الجماعة:

۳۵- «و رويتم عن أبى يوسف القاضى، رواه محمد بن الحسن،

---

(۱) تاريخ الإسلام حوادث سنة ۳۵۰ ص ۴۸، و البداية و النهاية ج ۱۱ ص ۲۷۰ و راجع: تاريخ ابن الوردى ج ۱ ص ۴۰۸ و مآثر الإنافة ج ۱ ص ۳۰۷.

(۲) تاريخ الخلفاء ص ۴۱۸.

(۳) الإلمام ج ۴ ص ۳۲، و ليراجع ص ۴۰ و ۴۱ منه.

(۴) الكنى و الألقاب ج ۲ ص ۱۸۹، و البداية و النهاية ج ۱۲ ص ۲۸۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۹۴

و أصحابه، و عن أبى حنيفة، قالوا: كان الأذان على عهد رسول اللّه (ص)، و على عهد أبى بكر، و صدرا من خلافة عمر ينادى فيه: حى على خير العمل.

فقال عمر بن الخطاب: إنى أخاف أن يتكل الناس على الصلاة، إذا قيل: حى على خير العمل، و يدعوا الجهاد، فأمر أن يطرح من الأذان:

حى على خير العمل» «۱».

۳۶ و ۳۷ و ۳۸- و روى مثل ذلك عن أبى عبد اللّه الصادق، و أبى جعفر الباقر، و ابن عباس «۲».

كلمة حول هذا الرأى:

و نحن و إن كنا نرى: أن أمر الجهاد فى زمن الرسول (ص) كان أعظم و أشد، و الناس إليه أحوج منهم على عهد عمر، و لم يحذف النبى (ص) هذه العبارة من الأذان مما يعنى: أننا نستطيع أن نجزم بأن اجتهاد الخليفة الثانى لم يكن على درجة مقبولة من القوة و الكفاية.

حيث لم تلحظ فيه جميع جوانب و خلفيات هذه القضية بالشكل الكافى و المقبول.

إلا أن تعليل عمر الآنف الذكر، يدل على أن ترك هذه الفقرة من

---

(۱) الإيضاح لإبن شاذان ص ۲۰۱/ ۲۰۲، و راجع: الإعتصام بحبل اللّه المتين ج ۱ ص ۲۹۶ و ۲۹۹ و ۳۰۴ و ۳۰۵ و ۳۰۶ و ۳۰۷، و كتاب العلوم ج ۱ ص ۹۲.

(۲) راجع: دعائم الإسلام ج ۱ ص ۱۴۲، و البحار ج ۸۴ ص ۱۵۶ و ۱۳۰، و علل الشرايع ج ۲ ص ۵۶، و البحر الزخار، و جواهر الأخبار و الآثار بهامشه كلاهما ج ۲ ص ۱۹۲، و دلائل الصدق ج ۳ قسم ۲ ص ۱۰۰ عن مبادىء الفقه الإسلامى لمحمد سعيد العرفى ص ۳۸ عن سعد الدين التفتازانى فى حاشيته على شرح العضد، على مختصر الأصول لابن الحاجب، و سيرة المصطفى للسيد هاشم معروف الحسنى ص ۲۷۴ عن: الروض النضير ج ۲ ص ۴۲، و نقله فى الإعتصام بحبل اللّه المتين ج ۱ ص ۳۱۰ عن التفتازانى فى حاشيته على شرح العضد أيضا.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۹۵

الأذان إنما كان لأسباب وقتية و آنية إقتضت ذلك بنظره. و ربما لم يكن يفكر فى استبعاد هذه الفقرة من الأذان إلى الأبد، و إنما فقط إلى فترة محدودة، رآها تتطلب هذا الإجراء.

و إذا كان ذلك هو ما حدث بالفعل، فإننا لا نستطيع أن نفهم المبرر للإستمرار على ترك هذه الفقرة فى هذا الزمان الذى لم يعد فيه ذلك المبرر قائما.

و لماذا لا نعود جميعا إلى سنّة الرسول الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلّم»، و أهل بيته الطاهرين؟!.

و حتى لو كان عمر قد أراد- كما فعله فى موارد مشابهة- أن يستبعد ذلك من الأذان مطلقا و أن يسقطه من التشريع الإسلامى، فإن المعيار هو قول اللّه و رسوله لا قول عمر. و ذلك أمر واضح و لا يحتاج إلى مزيد بيان.

الزيادة فى الصلاة:

و قد ورد فى بعض الروايات المعتبرة «۱»: أن الصلاة كانت فى أول الأمر ركعتين ركعتين، فرضها اللّه تعالى على العباد مباشرة، و فوض لرسوله زيادة معينة يزيدها عليها فى الوقت المناسب، من دون حاجة إلى وحى جديد، فزاد (ص) فى المغرب ركعة واحدة، و فى الظهر و العصر و العشاء ركعتين ركعتين.

و قيل: إن هذه الزيادة كانت فى السنة الأولى من الهجرة، و قيل:

بعد ولادة الحسنين «عليهما السلام».

و قد يقال: أن الأول هو الأصح، لورود ذلك فى حديث تحويل

(۱) الوسائل ج ۳ فى أبواب أعداد الفرائض و نوافلها. باب عدد الفرائض اليومية، و جملة من أحكامها.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۹۶

القبلة- الذى سيأتى الكلام فيه هو و فرض الزكاة بعد بدر- و ذلك كان قبل ولادتهما «عليهما السلام».

إلا أن يقال: إن هذه الرواية موضع شك، فقد تعودنا من هؤلاء الناس التلاعب فى النصوص و الآثار إذا كانت تثبت فضلا و كرامة لعلى (ع) و أهل بيته.

و على كل حال، فإن هذه الزيادة غير مستهجنة، فإن تشريع الأحكام كان تدريجيا؛ و على الأخص تلك الأحكام التى ربما يصعب الإلتزام بها على العربى؛ لمخالفتها لما اعتاد عليه، و ركن و سكن إليه.

قول آخر فى فرض الصلاة:

و بعد ما تقدم، فهناك روايات يظهر منها: أن الصلاة قد فرضت تامة من أول الأمر، أو على الأقل كانت تامة فى مكة فقد قالوا:

۱- كان أول صلاة صلاها رسول اللّه (ص) الظهر، فأتاه جبرئيل فقال: إنا لنحن الصافون، و إنا لنحن المسبحون «۱». قال: فقام جبرئيل بين يدى رسول اللّه (ص)، و النبى (ص) خلفه، ثم الناس خلف رسول اللّه، و النساء خلف الرجال، قال: فصلى بهم الظهر أربعا، حتى إذا كان العصر، قام جبرئيل ففعل مثلها. ثم تذكر الرواية صلاة المغرب ثلاثا و العشاء أربعا «۲».

و واضح: أن سورة الصافات مكية، فالرواية تدل على أن الصلاة فرضت تماما فى مكة.

(۱) سورة الصافات: ۱۶۵.

(۲) المصنف للحافظ عبد الرزاق ج ۱ ص ۴۵۳، و سنن البيهقى ج ۱ ص ۲۶۲، و عن أبى داود فى مراسيله، و الدر المنثور ج ۵ ص ۲۹۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۹۷

۲- و عن نافع بن جبير، و غيره: لما أصبح رسول اللّه (ص) ليلة أسرى به فيها، لم يرعه إلا جبرئيل يتدلى حين زاغت الشمس. ثم تذكر الرواية أنه صلى بهم الظهر أربعا، و العصر كذلك إلخ «۱».

۳- و عن الحسن البصرى: إن صلاة الحضر أول ما فرضت فرضت أربعا «۲».

و لكننا لا نستطيع قبول ذلك، لوجود الروايات الثابتة و الصحيحة عند الشيعة، و عند غيرهم، الدالة على أن صلاة الحضر قد فرضت أولا ركعتين، ثم زيد فيها.

إلا أن يكون المراد: أن الصلاة أبلغت إلى النبى (ص) أولا كاملة، و لكن المصلحة كانت تلزم أولا بركعتين، ثم صارت تلزم بالكل، و فوّض إلى النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» أمر تبليغ ذلك فى الوقت المناسب. و لذلك فقد اعتبرت الركعتان الأوليان فريضة، أى ما فرض من اللّه مباشرة على العبد، و الباقى سنّة، و هو ما أبلغ حكمه للنبى (ص) ليبلغه فى صورة تحقق موضوعه، و هو المصلحة المقتضية له.

فرض الزكاة:

و يقولون: إن فرض زكاة الأموال كان بعد بدر فى السنة الثانية، و ذلك بعد فرض زكاة الفطر. و قيل: بل فرضت الزكاة فى السنة

الثالثة.

و قيل: فى الرابعة «۳».

---

(۱) مصنف الحافظ عبد الرزاق ج ۱ ص ۴۵۵، و فى هامشه عن أبى داود.

(۲) البداية و النهاية ج ۳ ص ۳۳۱، و تفسير الطبرى فى سورة النساء الآية ۱۰۱.

(۳) راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۰۷، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۳۳۹، و غير ذلك.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۹۸

و لكن الصحيح هو ما ذهب إليه البعض «۱» من أن فرض الزكاة كان فى مكة. و ذلك بدليل:

۱- أن عدة آيات قرآنية نزلت فى مكة تأمر بإيتاء الزكاة، و نذكر من ذلك:

قوله تعالى: فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ، وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ و هى فى سورة مكية «۲».

و قوله: وَ الَّذِينَ هُمْ لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ و هى مكية «۳».

و قوله تعالى: الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ و هى مكية «۴».

و قوله تعالى: الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ و هى مكية أيضا «۵».

و لتراجع سورة الروم المكية الآية ۳۹.

ثم إن اللّه تعالى قال: عن إسحاق، و يعقوب، و لوط، و إبراهيم (ع): وَ أَوْحَيْنا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْراتِ وَ إِقامَ الصَّلاةِ وَ إِيتاءَ الزَّكاةِ «۶».

و قد حكى اللّه سبحانه على لسان عيسى قوله: وَ أَوْصانِي بِالصَّلاةِ وَ الزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيًّا.

---

(۱) وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۷۷.

(۲) الأعراف: ۱۵۶.

(۳) المؤمنون: ۴.

(۴) النحل: ۳، و سورة لقمان: ۴.

(۵) فصلت: ۷

(۶) الأنبياء: ۷۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۲۹۹

و قال تعالى عن إسماعيل: وَ كانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَ الزَّكاةِ «۱».

و كل ما تقدم إنما ورد فى سور مكية. و فى الآيات الأخيرة دلالة على تشريع الزكاة فى الأمم السالفة أيضا. و قد علمنا: أنها لم تنسخ.

۲- و روى عن أبى طالب: أنه حدث عن النبى (ص): إن ربه أرسله بصلة الأرحام، و إقام الصلاة، و إيتاء الزكاة «۲».

۳- عن جرير بن عبد اللّه البجلى، قال: لما بعث النبى (ص) أتيته لأبايعه فقال: لأى شىء جئت يا جرير؟ قلت: جئت لأسلم على يديك، فدعانى إلى شهادة أن لا إله إلا اللّه، و أنى رسول، و تقيم الصلاة المكتوبة، و تؤتى الزكاة المفروضة «۳».

۴- و قد روى الكلينى، عن على بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد، عن حريز، عن محمد بن مسلم، و أبى بصير، و بريد، و فضيل، كلهم عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه «عليهما السلام»، قال: فرض اللّه الزكاة مع الصلاة «۴».

و سند هذه الرواية جيد، كما ترى.

۵- و يؤيد ذلك أيضا: أن جعفر بن أبى طالب قد ذكر الزكاة لملك الحبشة، على أنها مما أمرهم اللّه به «۵».

(۱) هذه الآية و التى سبقتها فى سورة مريم: ۳۱ و ۵۵.

(۲) الإصابة ج ۴ ص ۱۱۹، و البحار ج ۳۵ ص ۱۵۱، و الطرائف ص ۳۰۴، و الغدير ج ۷ ص ۳۶۸ عن نهاية الطلب للشيخ إبراهيم الحنبلى.

(۳) تدريب الراوى ج ۲ ص ۲۱۲ عن الطبرانى فى الأوسط، و ذكر الشطر الأول من الحديث فى الإصابة ج ۱ ص ۲۳۲.

(۴) الوسائل ج ۴ ص ۵، و فروع الكافى ج ۳ ص ۴۹۸.

(۵) الثقات لإبن حبان ج ۱ ص ۶۵، و حلية الأولياء ج ۱ ص ۱۱۴/ ۱۱۶ عن ابن

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۰۰

رواية تعارض ما سبق:

و لكن ربما ينافى ما قدمناه، ما جاء فى رواية صحيحة السند:

أنه لما أنزلت آية الزكاة، التى فى سورة التوبة، و هى مدنية، و من أواخر ما نزل، أمر «صلى اللّه عليه و آله» مناديه فى الناس: إن اللّه فرض عليكم الزكاة. و بعد أن حال الحول أمر مناديه فنادى فى المسلمين: أيها المسلمون، زكوا أموالكم تقبل صلاتكم، قال: ثم وجه عمال الصدقة و عمال الطسوق «۱».

و لكن هناك عشرات الآيات التى نزلت قبل سورة التوبة، و التى ربما تصل إلى ثلاثين آية، كلها تدل على فرض الزكاة. و حملها كلها على الإستحباب، أو على خصوص زكاة الفطرة بعيد جدا.

فلا بد من حمل هذه الرواية على أن الزكاة، و إن كانت قد شرعت قبل هذا الوقت، إلا أن النبى (ص) لم يضع الجباة لها إلا بعد نزول هذه الآية. و يمكن أن يكون إيجابها قد حصل فى مكة، و لكن فرض أخذها، و الإلزام بدفعها قد كان فى المدينة.

فرض زكاة الفطرة:

و إذا كانت زكاة الفطرة فرضت قبل زكاة الأموال، فتكون هى أيضا قد فرضت فى مكة، و يدل على ذلك بالإضافة إلى ما تقدم.

إسحاق، البداية و النهاية ج ۳ ص ۷۰ و ۷۴ و ۶۹، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۹۰، و سنن البيهقى ج ۹ ص ۱۴۴، و سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۳۶۰، و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۲۷ و ۲۴ عن الطبرانى و أحمد، و رجاله رجال الصحيح، و حياة الصحابة ج ۱ ص ۳۵۴ و ۳۵۷، عن بعض من تقدم، و عن فتح البارى ج ۷ ص ۳۰ و حسّن اسناده.

(۱) راجع: الكافى ج ۳ ص ۴۹۷، و تفسير البرهان ج ۲ ص ۱۵۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۰۱

ما ورد فى سفر السعادة من أنه (ص) كان يرسل مناديا ينادى فى الأسواق، و المحلات، و الأزقة فى مكة: ألا إن صدقة الفطر واجبة على كل مسلم و مسلمة «۱».

و إن كنا نستبعد ذلك، بسبب حساسية الوضع فيما بين المسلمين و المشركين آنئذ.

فرض الصيام:

و يقولون: إن صيام شهر رمضان المبارك قد فرض فى المدينة فى السنة الثانية «۲»، حين نزول قوله تعالى: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ .. إلى قوله: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَ بَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى وَ الْفُرْقانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ «۳».

و كان الناس قبل فرض صوم شهر رمضان يصومون أياما، كما ذكره القمى «۴». و ذكر الحلبى: أنه (ص) كان قبل فرض شهر رمضان يصوم هو و أصحابه ثلاثة أيام، و هى الأيام البيض من كل شهر «۵».

و مما يدل على فرض الصيام فى مكة، كلام جعفر بن أبى طالب رحمه اللّه المتقدم مع ملك الحبشة، و فيه: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» أمرهم بالصلاة و الزكاة، و الصيام.

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۱۳۶.

(۲) البداية و النهاية ج ۳ ص ۲۵۴.

(۳) البقرة: ۱۸۳- ۱۸۵.

(۴) تفسير القمى ج ۱ ص ۶۵.

(۵) فجر الإسلام ص ۷۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۰۲

مناقشة وردها:

لكن البعض قد سجّل تحفظا هنا، فقال: إنه يغلب على ظنه أن تكون قصة جعفر، و ملك الحبشة موضوعة؛ بدليل ذكر الصيام فيها، و هو لم يشرع إلا بعد الهجرة إلى الحبشة «۱».

و لكن هذا التحفظ لا اعتبار به؛ إذ لماذا لا يكون نفس كلام جعفر هذا دليلا على تشريع الصيام فى مكة؟!.

يضاف إليه قول القمى، و الحلبى المتقدمين: إلا- أن يكون مراده بتحفّظه المسجّل خصوص صيام شهر رمضان، فلا- مجال حينئذ للإعتراض عليه بكلام الحلبى و القمى رحمه اللّه.

لكن مما يدل على أن شهر رمضان قد فرض فى مكة:

أنه لما أسلم عمرو بن مرة الجهنى، و أرسله (ص) إلى قومه، قال لهم: «إنى رسول من رسول اللّه إليكم: أدعوكم إلى الجنة، و أحذركم من النار، و آمركم بحقن الدماء، وصلة الأرحام، و عبادة اللّه، و رفض الأصنام، و حج البيت، و صيام شهر رمضان، شهر من اثنى عشر شهرا، فمن أجاب فله الجنة» و كان ذلك فى أول بعثة النبى «صلى اللّه عليه و آله» «۲».

هذا، و لابد من الإشارة هنا إلى أن الصوم كان مشرعا فى الأمم السالفة، فقد قال تعالى: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ، كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۱۳۲ و ۱۳۶، تفسير ابن كثير ج ۱ ص ۲۱۳ و راجع ص ۲۱۴.

(۲) البدآية و النهاية ج ۲ ص ۲۵۲ عن أبى نعيم، و مجمع الزوائد ج ۸ ص ۲۴۴ عن الطبرانى، و حياة الصحابة ج ۱ ص ۱۹۱ عنهما، و عن كنز العمال ج ۷ ص ۶۴ عن الروياني، و ابن عساكر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۰۳

قَبْلِكُمْ ... أَيّاماً مَعْدُوداتٍ و المراد بالأيام المعدودات هو شهر رمضان المبارك، كما فسرتها الآية نفسها.

صيام يوم عاشوراء:

و يذكرون هنا أيضا: أن الرسول الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» حينما قدم المدينة، وجد يهود المدينة يصومون يوم عاشوراء، و هو العاشر من المحرم «۱»؛ فسألهم عن ذلك، فقالوا- على ما فى الصحيحين- و غيرهما: «هذا يوم عظيم، أنجى اللّه فيه موسى و قومه، و غرق فرعون و قومه.

فقال (ص): فأنا أولى بموسى، و أحق بصيامه منكم، فصامه رسول اللّه (ص)، و أمر بصيامه» «۲».

و كان ذلك قبل أن يفرض صوم شهر رمضان.

و فى الصحيحين و غيرهما أيضا، عن عائشة، و غيرها: كانت قريش تصوم عاشوراء فى الجاهلية، و كان رسول اللّه (ص) يصومه، فلما هاجر إلى المدينة صامه، و أمر بصيامه، فلما فرض شهر رمضان قال: «من شاء صامه، و من شاء تركه» «۳».

---

(۱) أسد الغابة ج ۵ ص ۵۰۷.

(۲) المصنف ج ۴ ص ۲۸۹ و ۲۹۰، البخارى ط الميمنية ج ۱ ص ۲۴۴، و صحيح مسلم ط صبيح بمصر ج ۳ ص ۱۵۰، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۱۳۲ و ۱۳۳، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۶۰، و البداية و النهاية ج ۱ ص ۲۷۴ ج ۳ ص ۳۵۵، و راجع: تفسير ابن كثير ج ۱ فى آيات صيام شهر رمضان فى سورة البقرة، و مشكل الآثار ج ۳ ص ۸۵- ۹۰، و زاد المعاد ج ۱ ص ۱۶۴ و ۱۶۵.

(۳) المصادر المتقدمة، و الموطأ ج ۱ ص ۲۷۹، و البخارى ط مشكول ج ۵ ص ۵۱، و مشكل الآثار ج ۳ ص ۸۶ و ۸۷، و زاد المعاد ج ۱ ص ۱۶۴ و ۱۶۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۰۴

و يذكر مسلم و غيره: أن صيامه «صلى اللّه عليه و آله» ليوم عاشوراء كان قبل وفاته (ص) بسنة «۱»

كذب تلك الروايات:

و نحن نعتقد و نجزم: بأن ذلك كله من نسج الخيال.

فبعد غض النظر عن:

۱- المناقشة فى أسانيد تلك الروايات، و كون أكثر رواتها محل تهمة و ريب، كما أن فيهم من لم يأت إلى المدينة إلا بعد عدة سنين من الهجرة كأبى موسى الأشعرى، و فيهم من كان حين الهجرة طفلا صغيرا كابن الزبير، فضلا عن شهوده لما قبلها، و فيهم من لم يسلم إلا بعد سنوات من الهجرة كمعاوية.

۲- و عن تناقضها فيما بينها، يكفى أن نذكر: أن رواية تقول: إنه صام يوم عاشوراء فى المدينة، متابعة لليهود، و لم يكن يعلم به. و أخرى تقول: إنه كان يصومه هو و المشركون فى الجاهلية. و ثالثة: إنه ترك يوم عاشوراء بعد فرض شهر رمضان. و أخرى: إنه لما صامه قالوا له: إنه يوم تعظمه اليهود، فوعد أن يصوم اليوم التاسع فى العام المقبل؛ فلم يأت العام المقبل حتى توفى (ص) «۲».

و رواية أخرى عن معاوية، الذى لم يسلم إلا عام الفتح، تقول: إنه (ص) لم يأمر أصحابه بصيام عاشوراء، بل قال لهم: لم يكتب اللّه عليكم صيامه، و أنا صائم، فمن شاء فليصم و من شاء فليفطر.

إلى غير ذلك من وجوه الإختلاف التى تظهر بالتتبع و المقارنة.

---

(۱) صحيح مسلم ج ۳ ص ۱۵۱.

(۲) صحيح مسلم ج ۳ ص ۱۵۱، و راجع المصادر المتقدمة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۰۵

و قد ذكر شطرا منها ابن القيم. فراجع «۱».

فنحن بعد غض النظر عن ذلك، نشير إلى ما يلى:

أولا: إن الرواية الأولى تفيد: أن النبى (ص) كان يجهل بسنّة أخيه موسى، و أنه تعلمها و استفادها من اليهود، و قلدهم فيها. و لا ضير عند هؤلاء فى ذلك، فإنهم يروون- و نحن نستغفر اللّه من ذلك-: أنه (ص) كان يحب موافقة أهل الكتاب فى كل ما لم يؤمر به «۲». ثم يروون عنه (ص) ما يناقض ذلك- و كذلك هو يناقض نفسه دائما عندهم، حتى فى هذا المورد- فهو الذى يكره فى الأذان بوق اليهود و ناقوس النصارى، و يخالفهم فى معاملة الحائض. و يأمر بصبغ الشعر، مخالفة لليهود و النصارى، و ينهى عن تقليدهم فى الإسلام «۳». و كان (ص) يصوم يوم السبت و الأحد كثيرا، يقصد بذلك مخالفة اليهود و النصارى «۴».

بل لقد بلغ فى مخالفته لهم حدا جعل اليهود يقولون: «ما يريد هذا

---

(۱) راجع: زاد المعاد ج ۱ ص ۱۶۴ و ۱۶۵.

(۲) صحيح البخارى ط الميمنية ج ۴ ص ۶۷ باب فرق الشّعر فى اللباس، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۱۳۲، و زاد المعاد ج ۱ ص ۱۶۵.

(۳) راجع فى ذلك كله مفتاح كنوز السنة فقد نقل ذلك عن البخارى كتاب ۶۰ و ۷۷ باب ۵۰ و ۶۷، و صحيح مسلم كتاب ۳ حديث ۱۶، و كتاب ۳۷ باب ۸، و الترمذى كتاب ۴۴ حديث ۲۴، و كتاب ۲۲ باب ۱۰، و كتاب ۴۰ باب ۷، و النسائى كتاب ۳ و ۴۸ و ۸۳ على الترتيب، إلى غير ذلك من المصادر الكثيرة المختلفة فراجع: مفتاح كنوز السنة و غيره. و راجع: مسند أبى يعلى ج ۱۰ ص ۳۹۸ و ۳۹۹ و ۳۶۶ و فى هامشه عن مصادر كثيرة.

(۴) زاد المعاد ج ۱ ص ۱۶۸ عن مسند أحمد، و النسائى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۰۶

الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه» «۱».

و قال ابن الحاج: «و قد كان عليه الصلاة و السلام يكره موافقة أهل الكتاب فى كل أحوالهم، حتى قالت اليهود: إن محمدا يريد أن لا يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه» «۲».

و قد ورد فى الحديث: «من تشبّه بقوم فهو منهم» «۳».

و ثانيا: إن إطلاق كلمة عاشوراء على العاشر من محرم إنما حصل بعد إستشهاد الإمام الحسين «عليه السلام»، و أهل بيته و صحبه صلوات اللّه و سلامه عليهم أجمعين، ثم إقامة المآتم لهذه المناسبة من قبل أئمة أهل البيت (ع) و شيعتهم رضوان اللّه تعالى عليهم، و لم يكن معروفا قبل ذلك على الإطلاق. و قد نص أهل اللغة على ذلك، فقد قال ابن الأثير، «هو اسم إسلامى» «۴». و قال ابن دريد: إنه اسم إسلامى لا يعرف فى الجاهلية «۵».

و ثالثا: إننا لم نجد فى شريعة اليهود صوم يوم عاشوراء، و لا هم يصومونه الآن، و لا رأيناهم يعتبرونه عيدا أو مناسبة لهم «۶».

و رابعا: قد تقدم: أن صوم شهر رمضان قد فرض فى مكة قبل الهجرة، فراجع.

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۱۱۵، و سنن أبى داود ج ۲ ص ۲۵۰، و مسند أبى عوانة ج ۱ ص ۳۱۲.

(۲) المدخل لإبن الحاج ج ۲ ص ۴۸.

(۳) المصدر السابق.

(۴) نهاية ابن الأثير ج ۳ ص ۲۴۰.

(۵) الجمهرة فى لغة العرب ج ۴ ص ۲۱۲.

(۶) راجع: مقال حسن السقاف فى مجلة الهادى سنة ۷ عدد ۲ ص ۳۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۰۷

و بعد كل ما تقدم، و ثبوت كذب هذه الأحاديث؛ فلا يبقى مجال لجعل عدول النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» عن صوم يوم عاشوراء من أسباب حقد اليهود على المسلمين، كما زعمه البعض «۱».

من فضائل يوم عاشوراء أيضا:

و على كل حال، فإننا نجدهم يذكرون فى فضل عاشوراء فى أول شهر محرم؛ روايات أخرى أغرب و أعجب، حتى إن من يقرؤها يخرج بانطباع: أنه لا أفضل من ذلك اليوم على الإطلاق- حتى و لا ليلة القدر- ففيه كانت أهم الأحداث التى لا يمكن أن ينساها التاريخ البشرى أو يتجاهلها، حتى ولادة النبى (ص)، و هجرته، اللتين هما فى ربيع الأول بالإتفاق!!! «۲». و فيه أغرق اللّه فرعون، و نجا موسى و قومه، و استوت سفينة نوح على الجودى، و تاب اللّه على آدم إلخ «۳».

أيوم عزاء أم يوم عيد؟!:

و يقول أبو ريحان البيرونى فى الآثار الباقية، بعد ذكر ما جرى على الحسين «عليه السلام» فى يوم عاشوراء:

«فأما بنو أمية؛ فقد لبسوا فيه ما تجدّد، و تزينوا، و اكتحلوا، و عيّدوا، و أقاموا الولائم، و الضيافات، و أطعموا الحلاوات و الطيبات. و جرى الرسم

---

(۱) اليهود فى القرآن ص ۲۰ و ۲۶.

(۲) راجع فى بعض هذه الفضائل: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۶۰ و ۳۶۱، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۱۳۳ و ۱۳۴، و اللآلى المصنوعة ج ۱ ص ۱۰۸- ۱۱۶ و غير ذلك.

(۳) تقدمت بعض المصادر لذلك قبل حوالى ثلاث صفحات، و راجع: عجائب المخلوقات، مطبوع بهامش حياة الحيوان ج ۱ ص ۱۱۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۰۸

فى العامة على ذلك أيام ملكهم، و بقى فيهم بعد زواله عنهم. و أما الشيعة، فإنهم ينوحون، و يبكون، أسفا لقتل سيد الشهداء فيه إلخ» «۱».

و يقول المقريزى- بعد أن ذكر: أن العلويين المصريين كانوا يتخذون يوم عاشوراء يوم حزن، تتعطل فيه الأسواق-:

«فلما زالت الدولة اتخذ الملوك من بنى أيوب يوم عاشوراء يوم سرور، يوسعون فيه على عيالهم، و ينبسطون فى المطاعم، و يتخذون الأوانى الجديدة، و يكتحلون، و يدخلون الحمام جريا على عادة أهل الشام، التى سنها لهم الحجاج فى أيام عبد الملك بن مروان؛ ليرغموا به آناف شيعة على بن أبى طالب كرم اللّه وجهه؛ الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء و حزن على الحسين بن على (ع)؛ لأنه قتل فيه».

قال: «و قد أدركنا بقايا مما عمله بنو أيوب من اتخاذ عاشوراء يوم سرور و تبسط» «۲».

و فى زيارة عاشوراء المروية عن الإمام الباقر «عليه السلام»، قال:

«اللهم إن هذا يوم تبرّكت به بنو أمية، و ابن آكلة الأكباد» «۳».

ثم وضعوا على لسان ابن عباس فى قوله تعالى: مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ قال: يوم عاشوراء. «۴»

---

(۱) الكنى و الألقاب ج ۱ ص ۴۳۱، و راجع: الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ۱ ص ۱۳۷ عن الآثار الباقية ط أوربا ص ۳۲۹، و راجع: عجائب المخلوقات، مطبوع بهامش حياة الحيوان ج ۱ ص ۱۱۵، و نظم درر السمطين ص ۲۳۰.

(۲) الخطط و الآثار للمقريزى ج ۱ ص ۴۹۰، و راجع: الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ۱ ص ۱۳۸ عنه.

(۳) مصابيح الجنان ص ۲۹۱.

(۴) تاريخ واسط ص ۷۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۰۹

وضع الأحاديث:

و قد وجد أعداء أمير المؤمنين و ولده (ع)، و شيعته (رض)- وجدوا- من بين أولئك الذين باعوا آخرتهم بدنياهم من يضع لهم الأحاديث على لسان النبى (ص) فى فضل هذا اليوم، و استحباب إظهار الزينة، و الخضاب، و السرور، و التوسعة على العيال، و لبس الجديد فيه، و صومه، و طبخ الحبوب، و الأطعمة، و الإغتسال، و التطيب، و الإكتحال؛ إلى غير ذلك من مظهرات النصب و العداء لأهل البيت «عليهم السلام» «۱».

و لكن الذى يهوّن الخطب: أن العلماء و النقاد، حتى المنحرفين عن أهل البيت «عليهم السلام»- كابن تيمية و أضرابه- قد حكموا على هذه الأحاديث، إلا ما شذ منها بالوضع و الإختلاق من قبل الكذابين أخزاهم اللّه تعالى «۲».

لكن الجرح الذى لا يندمل، و الخزى الذى لا يمحى: تلك الفتاوى التى طلع البعض بها علينا، و التى تقول بحرمة لعن يزيد، و عدم

---

(۱) راجع: عجائب المخلوقات (مطبوع بهامش حياة الحيوان ج ۱ ص ۱۱۵ و ۱۴) و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۱۳۴، و نوادر الأصول للحكيم الترمذى ص ۲۴۶، و اللآلى المصنوعة ج ۱ ص ۱۰۸ و ۱۱۶، و نظم درر السمطين ص ۲۳۰ و اقتضاء الصراط المستقيم ص ۳۰۰، و تذكرة الموضوعات ص ۱۱۸، و الدر المنثور ج ۴ ص ۳۰۳، و الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ۱ ص ۱۳۸، و الصواعق المحرقة ص ۱۸۲، و المدخل لابن الحاج ج ۱ ص ۲۸۹.

(۲) راجع فى ذلك: تذكرة الموضوعات للفتنى ص ۱۱۸، و اللآلى المصنوعة ج ۱ ص ۱۰۸- ۱۱۶، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۱۳۴، و اقتضاء الصراط المستقيم ص ۳۰۱. و راجع: الصواعق المحرقة ص ۱۸۱ و ۱۸۲، و نظم درر السمطين ص ۲۲۸- ۲۳۰، و راجع: المدخل لابن الحاج ج ۱ ص ۲۹۱ و ۲۹۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۱۰

جواز تكفيره «۱» مهما كانت الشواهد و الدلائل متضافرة على ذلك.

ثم تحريمهم رواية مقتل الحسين «عليه السلام» «۲» و تحريمهم التحزّن و التفجّع فى يوم عاشوراء «۳».

و سيعلم الذين ظلموا حق آل محمد، و فرحوا فى يوم حزنهم، أى منقلب ينقلبون.

أساليب مقاومة عاشوراء:

لقد بقيت عاشوراء الشوكة الجارحة فى أعين أعداء أهل البيت (ع)، فحاولوا مقاومتها بكل ما لديهم، فعدا عما قدمناه، نشير إلى ما يلى:

۱- قال ابن العماد: «تمادت الشيعة فى هذه الأعصر فى غيّهم بعمل عاشوراء باللطم، و العويل، و الزينة، و شعار الأعياد يوم الغدير؛ فعمدت غالية السنة و أحدثوا فى مقابلة يوم الغدير» .. إلى أن قال:

«و جعلوا بازاء يوم عاشوراء بعده بثمانية أيام يوم مصعب بن الزبير، و زاروا قبره يومئذ بمسكن، و بكوا عليه، و نظّروه بالحسين؛ لكونه صبر و قاتل حتى قتل؛ لأن أباه ابن عمة النبى إلخ» «۴».

---

(۱) راجع: الصواعق المحرقة ص ۲۲۱، و إحياء علوم الدين ج ۳ ص ۱۲۵، و العواصم من القواصم و هوامشه، و الإتحاف بحب الأشراف ص ۶۲ و ۶۸.

(۲) الصواعق المحرقة ص ۲۲۱.

(۳) اقتضاء الصراط المستقيم ص ۲۹۹/ ۳۰۰، و نظم درر السمطين ص ۲۲۸.

(۴) شذرات الذهب ج ۳ ص ۱۳۰ عن العبر، و الإمام الصادق و المذاهب الأربعة ج ۱ ص ۹۵ عنه، و بحوث مع أهل السنة و السلفية ص ۱۴۵، و المنتظم لابن الجوزى ج ۷ ص ۲۰۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۱۱

و لكن، هيهات أن يكون مصعب، عبد الدنيا، و طالب السلطان، و المناوىء لأهل البيت (ع)، كأبى الشهداء، ريحانة رسول اللّه (ص) و سيد شباب أهل الجنة، و إمام الأمة، طالب الحق، و ناصر الدين، الإمام الحسين صلوات اللّه و سلامه عليه.

و لكنها الأحقاد الدفينة و الإحن القديمة، و النصب لأهل بيت النبوة، و معدن الرسالة، الذين أمر اللّه تعالى بمودتهم: قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبى «۱».

۲- قال ابن كثير فى حوادث سنة ۳۶۳: «فيها، فى عاشوراء عملت البدعة الشنعاء على عادة الروافض، و وقعت فتنة عظيمة ببغداد بين أهل السنة و الرافضة، وكلا الفريقين قليل عقل أو عديمه، بعيد عن السداد، و ذلك أن جماعة من أهل السنة أركبوا امرأة و سموها عائشة، و تسمّى بعضهم بطلحة، و بعضهم بالزبير، و قالوا: نقاتل أصحاب على، فقتل بسبب ذلك من الفريقين خلق كثير» «۲».

و لكن هذا القائل قد تجنى على الرافضة، حين ساواهم بالنواصب، أعداء أهل البيت، و شيعتهم، فإن فعل الشيعة الروافض هو عين الدين و العقل، و فعل غيرهم هو الدال على عدم العقل و الدين.

۳- إستعمال القوة و العنف، فإنك تجد فى كتب التاريخ، فى تاريخ مستهل كل عام قولهم: و فى هذا اليوم (أى عاشوراء) اقتتلت الروافض و السنة: فراجع المنتظم لإبن الجوزى و غيره «۳».

---

(۱) الشورى: ۲۳.

(۲) البداية و النهاية ج ۱۱ ص ۲۷۵، و الإمام الصادق و المذاهب الأربعة ج ۱ ص ۹۴، و بحوث مع أهل السنة و السلفية ص ۱۴۴/ ۱۴۵.

(۳) بحوث مع أهل السنة و السلفية ص ۱۴۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۱۲

و لعل أعظم محنة، و أشدها نكايد وقعة الكرخ ببغداد، التى أحرق النواصب فيها دور شيعة أهل البيت، و قتلوا ألوف الرجال و الأطفال «۱».

و قد ذكرنا طائفة من النصوص حول هذا الموضوع فى كتابنا: صراع الحرية فى عصر المفيد، فليراجعه من أراد.

و يذكر هنا: أنه فى سنة ۴۳۷ ه. وقع بين الشيعة و السنة فى بغداد فى يوم عاشوراء سوء، «ثم اتفق الفريقان على نهب دور اليهود، و إحراق الكنيسة العتيقة التى لهم» «۲».

و فى حوادث سنة ۴۴۲: «اصطلح الروافض و السنة ببغداد، و ذهبوا كلهم لزيارة مشهد على و مشهد الحسين، و ترضوا فى الكرخ على الصحابة، و ترحموا عليهم» «۳».

و نكتفى هنا بهذا القدر، فإننا لسنا بصدد إستقصاء ذلك و تتبعه.

---

(۱) البداية و النهاية ج ۱۱ ص ۲۷۵.

(۲) البداية و النهاية ج ۱۲ ص ۵۴.

(۳) البداية و النهاية ج ۱۲ ص ۶۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۱۳

الفصل الخامس: الجهاد فى الاسلام

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۱۵

الاسلام، و السيف!!

اشارة

لقد اهتم المبشرون الحاقدون على الإسلام بإظهار الإسلام على أنه دين السيف و القهر و التسلط، حتى لقد وضعوا فى بعض كتبهم- كاريكاتورا يمثل النبى (ص) حاملا القرآن فى يد، و السيف فى يد، و أشخاصا يقفون فوق رأسه، و كتبوا عبارة تقول: «آمنوا بالقرآن و إلا ضربت رقابكم بالسيف»-. فهم يريدون أن يقولوا: إن الإسلام الذى يقول: ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ، وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ليس صادقا فى ذلك، و إنما هو يقول: ادع إلى سبيل ربك بالسيف.

و قد يقال: إن مما ساعد على ذلك: أن المسلمين أنفسهم قد اعتادوا ترديد عبارة: «إن الإسلام قام بمال خديجة و بسيف على (ع)» «۱»، مع الاقتصار على حرفية هذه العبارة و عدم تعمقهم فى مدلولها.

بل إن بعض القصاصين الأقدمين، قد ساعد على ذلك كما يظهر من ملاحظة كتاب «فتوح الشام»، المنسوب للواقدى، حيث لا تكاد تخلو منه صفحة من بطولات خارقة، و أحداث مدمرة، من أجل جلب انتباه العوام، و إظهار عظمة الأمويين و قدرتهم، و تسجيل بطولات خيالية لبعض

---

(۱) جاء ما تقدم فى مقال للمفكر و الفيلسوف الإسلامى الكبير، المرحوم الشهيد، الشيخ مرتضى المطهرى، نشرته جريدة: «جمهورى إسلامى» الفارسية بتاريخ ۱۰ جمادى الثانية سنة ۱۴۰۰ رقم ۲۶۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۱۶

الشخصيات التى يرغب الحكام فى رفعة شأنها، تضليلا للناس عن حقيقة مواقف و بطولات على (ع)، إلى غير ذلك من أهداف ليس هنا محل بحثها.

فكان من نتيجة هذه الأكاذيب أن أظهروا الإسلام بصورة التيار المدمر، و على أنه دين القتل و الخراب، حتى لقد أشكل الأمر حتى على كثير من المسلمين أنفسهم، و ذهبوا يمينا و شمالا فى محاولات الإجابة على ذلك، حسبما رأوه مناسبا، و بالطريقة التى جادت بها قرائحهم.

و هذا الأمر، و إن كان ارتباطه بالتاريخ ضعيفا نسبيا، بحيث لا مجال للتوسع فيه بالشكل الذى يرضى وجداننا، و لكننا مع ذلك لابد أن نشير و لو بشكل خاطف و سريع إلى ما نراه و نعتقده فى هذا المجال فنقول:

۱- الحرب فى الاسلام و فى غيره:

اشارة

ستأتى فى فصل سرايا و غزوات قبل بدر لمحة سريعة جدا عن توصيات النبى (ص) لجيوشه. فلابد من الإلمام بها و قراءتها بدقة و وعى، و من أراد المزيد فعليه بمراجعة البحار و الكافى، و غير ذلك من كتب الحديث و التاريخ.

كما أنه لا ينبغى الغفلة عن المراجعة الشاملة للحديث و التاريخ للتعرف على طبيعة المعاملة المثالية للأسرى من قبل المسلمين، كما سنلمح إليه فى غزوة بدر إن شاء اللّه تعالى، و كما فصله العلامة الأحمدى فى كتابه: الأسير فى الإسلام.

و يقابل ذلك:

ألف: ما ورد فى الإنجيل: «لا تظنوا: أنى جئت لألقى سلاما على الأرض، ما جئت لألقى سلاما على الأرض بل سيفا» «۱».

---

(۱) إنجيل متى، الإصحاح ۲۰ الفقرة ۳۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۱۷

ب: و فى التوراة: «حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن أجابت إلى الصلح، و فتحت لك؛ فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير، و يستعبد، و إن لم تسالمك بل عملت معك حربا، فحاصرها؛ و إذا دفعها الرب إلهك إلى يدك، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف.

و أما النساء و الأطفال، و البهائم، و كل ما فى المدينة، كل غنيمتها، فتغنمها لنفسك، و تأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك. هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا.

و أما مدن هؤلاء الشعوب الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيبا، فلا تستبقى منها نسمة ما» «۱».

ج: و فى التوارة أيضا: «فضربا تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف، و تحرقها بكل ما فيها، مع بهائمها بحد السيف، تجمع كل أمتعتها إلى ساحتها، و تحرق بالنار المدينة، و كل أمتعتك كاملة للرب إلهك، فتكون تلا إلى الأبد» «۲».

و ثمة نصوص كثيرة أخرى فى هذا المجال لا مجال لتتبعها «۳».

إشارة:

و أما إدانة الإسلام من خلال ما كان يفعله الأمويون و العباسيون

---

(۱) سفر التثنية الإصحاح ۲۰ فقرة ۱۰- ۱۷.

(۲) سفر التثنية الإصحاح ۱۳ فقرة ۱۵.

(۳) راجع سفر التثنية، الإصحاح ۷ فقرة ۱ و ۲ و سفر صموئيل الأول، الإصحاح ۱۵، و رسالة بولس إلى العبرانيين، الإصحاح ۱۱ فقرة ۳۲ فما بعدها، و أنيس الأعلام ج ۵ ص ۳۰۲- ۳۱۶ و غير ذلك.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۱۸

و غيرهم، و ما قتلوه فى حروبهم، و ارتكبوه مع خصومهم؛ فهو تجن ظاهر على الإسلام، إذ لا- يتحمل الإسلام المسؤولية عن أفعال المنحرفين عنه، فإن تصرفات المنحرفين شىء، و الإسلام شىء آخر.

۲- حيث لابد من الحرب:

إننا إذا أردنا دراسة الحروب التى خاضها الرسول الأكرم (ص) ضد المشركين، فإننا نستطيع أن نجمل الكلام فيها على النحو التالى:

ألف: إن شخصية الإنسان و ملكاته، و سجاياه، و مختلف جهات تكوينه النفسى، و الفكرى، و العاطفى و غير ذلك- تتكون عادة فى الأكثر بعد غض النظر عن عامل الوراثة و غيره من العوامل- من المحيط الذى يعيش فيه، و من الأفكار التى يتلقاها عن طريق والديه، و معلمه، و صديقه إلخ، بما فى ذلك المفاهيم و القيم الدينية.

فقد ينشأ خوارا جبانا إذا كان الذين أشرفوا على تربيته يستعملون معه أسلوب الإرعاب و التخويف. و قد ينشأ شجاعا مقداما، إذا كان التعامل معه على خلاف ذلك.

كما أن من يلقى حنانا و عناية فائقة فى صغره، يكون فى تكوينه النفسى مختلفا تماما عن ذلك الذى يواجه بالجفاء و القسوة، حتى و لو عاشا فى بيت واحد، و كانا أخوين توأمين.

بل و أكثر من ذلك، فإن هذه الصور الذهنية التى يتلقاها الإنسان عن طريق الحواس، تمثل مصدرا هاما من مصادر المعرفة له، فلو فرضنا توأمين يعيشان معا و يتلقيان نفس المعاملة، و لنفرض أن هذا التوافق مستمر فى مجال التعليم، و التربية، و الظروف المعيشية و غير ذلك، فإننا مع ذلك لسوف نجدهما مختلفين بوضوح فى أفكارهما، و نفسيتيهما، و عواطفهما و غير ذلك، و ذلك بسبب اختلاف الصور التى تلقاها ذهنهما، و كونت

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۱۹

عناصر التفكير لديهما، و أثرت بشكل أو بآخر فى انفعالاتهما المختلفة.

فحتى و هما يجلسان فى غرفة واحدة، أو يسيران معا فى الشارع، أو يكونان فى المدرسة، فإن ذهن الواحد منهما يستقبل صورة تختلف- و لو جزئيا- عن تلك التى يستقبلها ذهن الآخر، بسبب أن كل واحد منهما ينظر إلى نقطة تختلف عن تلك التى ينظر إليها الآخر، و كذلك الحال بالنسبة للأصوات، و المشمومات، و غير ذلك.

فهذه الصورة لابد أن تشغل حيّزا و تؤثر أثرا، و تغير من اتجاه الحركات الفكرية لديه، فتعينه تارة، و تقف فى وجهه أخرى.

و لسوف يكون لاختلاف تلك الصور أثر فى النتائج التى سوف يتوصلان إليها.

و لسوف تترك آثارا مختلفة فى نفسية و سلوك و عواطف كل منهما حسبما أشرنا إليه.

و هذا يعرفنا إلى أى حد يتأثر الناس بعضهم ببعض فى السلوك، و الأفكار، و الإنفعالات، و الأخلاق، و غير ذلك، حتى إنك لتحس بالفرق فى نفسك، و فى مشاعرك، لو وقفت على بائع عبوس فظ غليظ، ثم وقفت على آخر مهذب، يواجهك بابتسامته الرقيقة، و يخاطبك بكلمات عذبة و مهذبة. و هذا و لا شك لسوف يترك أثرا على نفسك، ثم على تصرفاتك مع أطفالك و أصدقائك و

غيرهم.

و عليه، فإذا كان الفكر شديد الحساسية إلى حد أن يتقرر معه اتجاه الإنسان، و يؤثر فى شخصيته بشكل عام، فإن أى انحراف يظهر فى المجتمع، مهما كان على نطاق ضيق و محدود، سوف لا يقتصر أثره على مرتكبه، و إنما يتعداه- و لو بشكل جزئى و محدود- إلى كل الآخرين ممن يعاشره و يراه، أو يرتبط به، من قريب أو من بعيد. ثم هو يتعداهم إلى غيرهم، و هكذا.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۲۰

و من هنا، فإننا نجد الإسلام يحارب المنكر حتى إعلاميا بكل قوة، فيمنع حتى من غيبة غير المتجاهر بالمنكر كى لا يعتاد الناس على سماع خبر المنكر و الإنحراف، و تأنس أذهانهم به، و بعد ذلك يسهل عليهم إرتكابه و ممارسته. و لا يريد أن تمر حتى صورة المنكر فى أذهانهم كى لا تترك أثرا يرغب الإسلام فى الإبتعاد عنه، فضلا عن ممارسة المنكر نفسه.

و ليتأمل قليلا فى إطلاق لفظ المنكر على مثل هذه الأمور الضارة، فإن الإسلام يريد للناس أن ينكروها، و أن لا يعرفوها، كما أنه حين يمنع من غيبة غير المتجاهر، فلأنه يريد أن يمنح ذلك المرتكب للمنكر فرصة للتخلى عن سيئته تلك، و يهيىء له الجو الإجتماعى المناسب لنمو شخصيته، و الإحتفاظ بعزته و كرامته، إلى غير ذلك مما لسنا بصدد بيانه فعلا.

و بعد ما تقدم، فإنه إذا كان ضرر الإنحراف لا يقتصر على نفس من يمارسه، بل يتعداه إلى غيره، فإنه يكون من حق ذلك الغير أن يدفع ذلك الضرر عن نفسه، و هذا ما يحكم به العقل و الفطرة، حتى و لو لم يكن ثمة شرع أصلا، و لكن الشرع لم يكتف بالإعتراف بحق الدفاع عن النفس هذا، بل زاد على ذلك؛ فأوجبه عليه، حين حكم بوجوب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر على كل أحد.

و ذلك من أجل الحفاظ عليهم أولا، و حتى لا يتسرب ذلك الإنحراف منهم إلى غيرهم ثانيا «۱».

---

(۱) و إنما كان لمرتكب المنكر عقاب واحد و لم يعاقب عقابين: أحدهما على المنكر، و الآخر على تسببه بالإضرار بالغير، من جهة أنه لم يسلب الآخرين عنصر الاختيار الذى لديهم، كما أنه لم يقصد هو ذلك. فيكون فعله من ممهدات وقوع الغير فى المعصية، و ليس الجزء الأخير للعلة.

و بإدخال عنصر القصد فى المعصية و فى استحقاق العقوبة و عدمه، يعرف الفرق بين ما نحن بصدده، و بين قولهم: من سنّ سنة حسنة، فله أجرها و أجر من عمل بها إلى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۲۱

و كل ما قدمناه يوضح لنا السر فى أن المؤمنين- بنظر الإسلام- كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى.

و على هذا، فليس من حق من تنهاه عن المنكر، أو تأمره بالمعروف: أن يقول لك: و ماذا يعنيك؟. أو: أنا حر، أو ما شاكل.

إذ أن الأمر يعنيك حقا و هو ليس حرا إلا بمقدار لا يعتدى فيه على غيره، بأى نحو من أنحاء الإعتداء، و لا يضر بحريته. و الإنحراف هو أخطر اشكال الإعتداء و أبشع أنواعه.

و واضح: أنه فى مقام دفع أخطار الإنحراف، و القضاء على المنكر، لابد من مراعاة مقدار الضرورة، فلو أساء ولدك نهيته أولا، و بيّنت له خطأه، ثم لمته، ثم تهددته، ثم ضربته، ثم طردته إلخ. كل ذلك بحكم الشرع و العقل و قضاء الفطرة.

و إذا مرض أحد أعضاء الإنسان، فإنه يعالجه بالدواء، ثم بالعملية الجراحية، و لربما تصل النوبة إلى قطعه، إذا كان مرضه خبيثا و خطيرا؛ حيث إنه بالإضافة إلى أنه أصبح يشكّل عبئا ثقيلا على سائر الأعضاء، حيث يفترض فيها أن تقوم بمهماتها و مهماته. قد صار يشكل خطرا عليها نفسها. هذا عدا عن أنه يؤثر فيها ألما و ضعفا و وهنا، و يمنعها من القيام بوظائفها على النحو الأكمل و الأفضل.

و على هذا، فلو لم يقطع الطبيب هذا العضو؛ فإنه يكون قد أضرّ بهذا الإنسان و خانه.

و حين يعتبر الإسلام، و العقل، و الفطرة، المسلمين كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى، بل إن الإنسانية جمعاء أيضا كذلك، فإن المنحرف عقائديا، و سلوكيا، و أخلاقيا،

يوم القيامة، و من سن سنة سيئة، فعليه وزرها ووزر من عمل بها.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۲۲

لابد من استئصال إنحرافه أولا، بالدعوة بالحكمة، و الموعظة الحسنة، ثم بالإنذار، ثم بالشدة و العنف، حتى إذا أفلست كل تلكم الوسائل، فإن آخر الدواء الكى. و حيث يكون الداء خطيرا و خبيثا، فإنه لابد من الإستئصال أيضا، و يكون عدم قطع هذا العضو الفاسد و المفسد خيانة للأمة، و للأجيال، و للإنسانية جمعاء.

بل إن خطر الإنحراف الدينى و العقائدى يفوق خطر المرض الجسدى؛ فإن مرض الجسد ربما لا يتعداه إلا فى نطاق محدود جدا، أما المرض العقائدى و الدينى و الفكرى، و الإنحراف الأخلاقى، فقد يتسبب فى تدمير الجسد، و المال، و الجاه، و الإنسان، و القيم الأخلاقية، و الإنسانية، و المجتمع بأسره، و ؤثر على الأجيال الآتية أيضا؛ و ذلك عندما لا تبقى لدى ذلك الإنسان المنحرف أية روادع تمنعه من ارتكاب أية جريمة، و المبادرة إلى كل عظيمة. حينما يكون المقياس عنده، و المنطلق له هو مصالحه الشخصية، و لذاته الفردية، و لا شىء سواها؛ فلا يهتم لرضا اللّه، و لا لمصلحة الأمة، و لا لأحكام الشرع و الدين، و لا حتى للعقل و المنطق.

و هكذا، فإن الجهاد من أجل منع الإنحراف و منع وقوع الكارثة، يكون من الأحكام العقلية و الفطرية، فضلا عن الشرع و الدين.

و بعد كل ما تقدم؛ فإننا نستطيع أن نقول بكل جرأة: إن الإسلام لو لم يستعمل السيف، لم يكن دين الحق و العدل، و لا دين الفطرة و العقل، و لكان خائنا للمجتمع، بل و للإنسانية جمعاء على مدى التاريخ.

كما أننا نعلم: أن السياسة القائمة على أساس الفكر و القوة المدافعة عنه، هى من صميم الإسلام الذى هو لإقامة العدل، و رفع الظلم، قال تعالى: لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَ أَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ وَ الْمِيزانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۲۳

وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَ رُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ «۱».

و الا فإن دينا يتخذ الخيانة ديدنا، و تجاهل مصالح الأجيال طريقة، و يكون فيه هذا الخلل الكبير فى تشريعاته، لن يكون المجتمع و الإنسانية بحاجة إليه، و لا معنى للتضحية فى سبيله و الحفاظ عليه، و لا للعمل من أجل رفع شأنه، و إعلاء كلمته.

و من هنا، فقد كان الجهاد بابا من أبواب الجنة، فتحه اللّه لخاصة أوليائه، و هو لباس التقوى، و درع اللّه الحصينة، و جنّته الوثيقة ... إلى آخر كلام أمير المؤمنين «عليه السلام» «۲».

هذا كله من وجهة نظر فكرية.

أما حقيقة ما جرى تاريخيا فى عهد الرسول الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» فستأتى الإشارة إليه، و سيتم التعرف من خلال البحث و التمحيص عليه، إن شاء اللّه تعالى.

ب: لقد كان لابد للمسلمين من الإستفادة من حق الدفاع عن النفس فى مقابل المكيين، الذين كانوا يفتنون المسلمين عن دينهم، و يصدون عن سبيل اللّه، و من حق كل أحد: أن يقاتل من أجل أن يمتلك حرية الرأى، و الفكر، و العقيدة، و حرية الدعوة إلى اللّه، و لا سيما حين يكون الطرف الآخر مصرا على استعمال العنف، و ليس المنطق و الحجة ضده، و ضد ما يدعو إليه.

فالإسلام لا يريد أن يجبر أحدا على الدخول فيه، و إنما يريد أن يحصل على الحرية فى الرأى و فى الإعتقاد، و فى الموقف. و حتى حين ينتصر على أعدائه، فإنه يضع أمام من ينتصر عليهم عدة خيارات، ليس

---

(۱) الحديد: ۲۵.

(۲) راجع: خطبة الجهاد فى نهج البلاغة ج ۱ ص ۶۳- شرح محمد عبده.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۲۴

اعتناق الإسلام إلا واحدا منها. و كان من يعتنق الإسلام يعتنقه بملء رغبته، و حريته، و إرادته، و من دون أى ضغط حتى إعلامى من قبل المسلمين. و لقد اعتنقت كثير من البلدان الإسلام بمجرد اطلاعها عليه، من دون انتظار الفتح الإسلامى.

و لكن ذلك لا- يعنى أن يقف الإسلام و المسلمون مكتوفى الأيدى أمام كل اضطهاد، أو اعتداء، أو ظلم يمارس ضدهم، و أن يخضعوا للضغوط و لإرادات الآخرين، التى لن ترضى إلا بالقضاء عليه و عليهم نهائيا.

كما أن ذلك لا- يعنى أن لا- يعد المسلمون لأعدائهم ما استطاعوا من قوة، و من رباط الخيل يرهبون به عدو اللّه و عدوهم، لأن الإسلام الذى يدعون إليه، و يطالبون بحرية التفكير و النظر فيه، ليس مجرد طقوس فردية، و تزكية نفسية، و إنما هو نظام عام شامل يريد أن يقود عملية تغيير شاملة على مستوى العالم بأسره. الأمر الذى يحتّم أن تتوفر الحماية الكاملة لهذا الإسلام، الذى لابد أن يصطدم بأصحاب الأطماع، و الأهواء، و بالجبارين الذين يحكمون الناس بوحى من مصالحهم و رغباتهم.

نعم، لابد من الحماية الكافية و لابد من استعمال أسلوب العنف إذا لم يمكن تأمين حرية الفكر، و الرأى، و العقيدة إلا بذلك، و ليوجد من ثمّ الجو و المناخ المناسب لتطبيق الجانب التشريعى للإسلام.

و حتى لا- يتحول الإسلام إلى إسلام حكام يخضع لرغباتهم، و يتطور حسب مصالحهم، و أهوائهم- كما كان الحال بالنسبة لبعض الفرق و المذاهب التى ابتليت بهذا الداء الوبيل- و أيضا حتى لا يتحول جانب عظيم و رئيس فى هذا التشريع، ليكون مجرد فكر ميت، يوضع فى المتاحف، و يكون الجانب الحى هو خصوص الجانب الفردى، الذى لا

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۲۵

يتصل بالحياة الاجتماعية، و لا يتفاعل معها، لا من قريب و لا من بعيد.

و إذا توفرت حرية الفكر و الراى و العقيدة، فإن ذلك سوف يشجع الآخرين على الدخول فى هذا الدين، آمنين من العذاب و الأذى، و من مختلف أنواع الضغوط، و من الفتنة التى هى أكبر من القتل بنظر الإسلام.

فالمسلمون إذا قاتلوا، فإنما يقاتلون انطلاقا من حقهم الذى جعله اللّه لهم، و من أجل ذلك الحق فى سبيله، و طلبا له، على حد تعبير الرسول الأكرم «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» كما سيأتى إن شاء اللّه تعالى و كما قرره اللّه تعالى حيث يقول:

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا، وَ إِنَّ اللَّهَ عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ، إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ «۱» فالإذن بالقتال للمسلمين إنما هو فى صورة كون غيرهم قد بدأهم به، بالإضافة إلى كونهم قد أخرجوا من ديارهم.

ج: و بعد كل ما تقدم، فقد كان النبى (ص) و المسلمون ملتزمين بعرض خيارات منصفة على الطرف الآخر، حتى ليعترف بعض المشركين بأن الإصرار على الحرب بعد هذه العروض يكون ظلما و بغيا، كما سيأتى إن شاء اللّه تعالى و لكن الباقين لا يقبلون بالعرض لأنهم كانوا مصممين على الحرب، منذ قتل ابن الحضرمى فى سرية ابن جحش «۲».

مع أنه قد كان بإمكانهم تلافى قضية ابن الحضرمى، إما بالثار على نطاق أضيق، أو بقبول الدية، و كلاهما عن خلق العرب ليس ببعيد.

د: مناهضة ناقضى العهود، و إيقافهم عند حدهم، كما كان الحال بالنسبة لليهود، ثم بالنسبة لمشركى مكة، الذين نقضوا عهد الحديبية.

---

(۱) سورة الحج: ۳۹- ۴۰.

(۲) راجع: تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۱۳۱، و الكامل لابن الأثير ج ۲ ص ۱۱۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۲۶

ه: الدفاع عن النفس فى وجه الغزاة و المهاجمين، و ملاحقة من قام بالغارة منهم على المدينة.

و أخيرا، فإننا نلاحظ: أن المشركين قد استمروا يغزون المسلمين، و المسلمون يدافعون عن أنفسهم إلى ما قبل صلح الحديبية، حيث يروى البخارى و غيره أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قال بعد منصرفه من بنى قريظة: الآن نغزوهم و لا يغزوننا.

و سيأتى ذلك إن شاء اللّه.

هل الاسلام قام بالسيف؟! و بعد كل ما تقدم يتضح لنا: أنه ليس معنى قيام الإسلام بسيف على «عليه السلام»: أنه (ع) كان يجعل السيف فوق رأس الإنسان، و يقول له:

إما أن تسلم و إما أن تقتل.

و إنما معنى ذلك: أن سيف على «عليه السلام» كان أبعد أثرا فى الدفاع عن الإسلام، و صدّ اعتداءات المعتدين، و تأمين حرية الفكر و العقيدة، و الرأى، حسبما قدمناه.

و لأجل أن حروب الإسلام كانت تهدف للحفاظ على الإنسان، و الدفاع عن النفس، و تأمين الحرية الفكرية، نلاحظ: أنه يقتصر فى حروبه على أقل قدر ممكن ترتفع به الضرورة، كما أنه يلتزم بضبط النفس الكامل و الواعى، حتى فى أحلك اللحظات، و أخطرها.

و لذا لم يستطع الباحثون إيصال عدد القتلى فى حروب النبى (ص) طيلة عشر سنين، و التى تعد بعشرات الحروب و السرايا إلى الألف قتيل «۱». رغم أن هذه الحروب كانت تتجه نحو تهيئة الجو لبسط النفوذ

---

(۱) راجع مقالا حول هذا الموضوع للسيد هادى الخسروشاهى فى كتاب سيماى إسلام (فارسى).

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۲۷

الإسلامى على مختلف أرجاء الجزيرة العربية، و يتعداها إلى غيرها مما حولها.

هذا ما أحببنا الإشارة إليه فعلا، و الكلام حول هذا الموضوع طويل و متشعب، لابد فيه من التوفر على دراسة النصوص القرآنية، و كلمات النبى (ص) و الأئمة (ع) و مواقفهم و ممارساتهم الجهادية بدقة و وعى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۲۹

الفصل السادس: سرايا و غزوات قبل بدر

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۳۱

غزواته (ص) و سراياه:

اشارة

هنا يبدأ المؤرخون بذكر غزواته و سراياه «صلى اللّه عليه و آله و سلّم»، و يقصدون ب «الغزوة»: الجيش الذى يخرج فيه (ص) بنفسه، و ب «السرية»: البعث الذى لا يكون رسول اللّه (ص) فيه.

و قد اختلفت كلماتهم فى عدد غزواته و سراياه اختلافا كثيرا، و لا نرى حاجة لإطالة الكلام فى تحقيق ذلك.

و نكتفى هنا بالحديث عما هو أهم، و نفعه أعم، و قبل ذلك نشير إلى أمرين؛ هما:

الأول: الفرار من الزحف:

حيث يذكر العلماء هنا: أنه لم يكن يجوز فى أول الأمر فرار واحد من المسلمين من عشرة من المشركين «۱».

ثم جاء التخفيف من قبل اللّه عن المسلمين؛ ليختص بفرار واحد فى مقابل اثنين؛ و ذلك فى قوله تعالى:

يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا

---

(۱) الجامع لأحكام القرآن ج ۸ ص ۴۴، و جامع البيان ج ۱۰ ص ۲۷، و تفسير المنار ج ۱۰ ص ۷۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۳۲

بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ. الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَ عَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ، وَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ «۱».

و لسوف يأتى المزيد من الكلام حول هذا الموضوع فى غزوة بدر، فى آخر فصل: نتائج الحرب إن شاء اللّه.

الثانى: وصية النبى (ص) للسرايا:

و يلاحظ هنا: أنه «صلى اللّه عليه و آله» كان إذا أراد أن يبعث سرية دعاهم، فأجلسهم بين يديه، ثم يقول:

«سيروا باسم اللّه، و باللّه، و فى سبيل اللّه، و على ملة رسول اللّه. و لا تغلوا و لا تمثلوا، و لا تغدروا، و لا تقتلوا شيخا فانيا، و لا صبيا، و لا امرأة، و لا تقطعوا شجرا إلا أن تضطروا إليها؟ و أيما رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم نظر إلى رجل من المشركين، فهو جار، حتى يسمع كلام اللّه؛ فإن تبعكم، فأخوكم فى الدين، و إن أبى فأبلغوه مأمنه، و استعينوا باللّه عليه إلخ ...» «۲». و هى وصية طويلة. و له وصايا أخرى لبعوثه فلتراجع فى مصادرها. «۳»

و قد روى: أنه «صلى اللّه عليه و آله» ما بيّت عدوا قط «۴» و كان (ص)

---

(۱) الأنفال الآيتان: ۶۵ و ۶۶.

(۲) الكافى ج ۱ ص ۳۳۴ و ۳۳۵، و البحار ج ۱۹ ص ۱۷۷- ۱۷۹، و راجع: مسند أحمد ج ۱ ص ۳۰۰ و غيره، و التهذيب للطوسى ج ۶ ص ۱۳۸ و ۱۳۹، و الأموال ص ۳۵.

(۳) النظم الإسلامية لصبحى الصالح ص ۵۱۴.

(۴) التهذيب للطوسى ج ۶ ص ۱۷۴، و الكافى ج ۱ ص ۳۳۴ و ۳۳۵، و البحار ج ۱۹ ص ۱۷۷- ۱۷۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۳۳

إذا بعث سرية أو جيشا بعثهم أول النهار «۱».

ما نتعرض له فى هذا الكتاب:

اشارة

إننا لا نستطيع فى كتابنا هذا أن نستوعب الحديث حول الغزوات و السرايا بجميع تفاصيلها، و لأجل ذلك سوف نكتفى بذكر الغزوات التى كان فيها قتال مع الإشارة الخفيفة إلى غيرها من غزوات و سرايا، إلا إذا وجدنا ما يقتضى التريث و تسليط الأضواء بصورة لا يمكن تجاوزها.

أما فى هذا الفصل فنحن نكتفى بالتنويه بالسرايا التالية:

السرايا الأولى:

اشارة

يذكر المؤرخون، أنه:

۱- بعد سبعة أشهر من مقدمه «صلى اللّه عليه و آله» المدينة- و قيل غير ذلك- عقد الرسول (ص) لحمزة بن عبد المطلب على ثلاثين من المهاجرين، (قيل: و من الأنصار، لكنه غير معتمد، لأنه لم يبعث أحدا من الأنصار قبل بدر، كما ذكروا) «۲» ليلقوا أبا جهل؛ فلقوه، و هو فى ثلاثمائة من المشركين. لكن مجدى بن عمرو الجهنى الذى كان موادعا للفريقين، حجز بينهما، و انصرفوا من غير قتال.

۲- و على رأس ثمانية أشهر من مهاجره الشريف، عقد لعبيدة بن الحارث بن المطلب على ستين رجلا؛ ليلقوا أبا سفيان فى بطن رابغ، و كان فى مئتين.

---

(۱) التراتيب الإدارية ج ۲ ص ۲۲، و الجامع الصحيح ج ۳ ص ۵۱۷.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۵۶، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۵۲، و السيرة النبوية لإبن هشام ج ۲ ص ۲۴۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۳۴

و فى هذه السرية فر المقداد و عتبة بن غزوان إلى المسلمين «۱».

۳- و بعد ذلك كانت سرية سعد بن أبى وقاص على فريق من المهاجرين أيضا؛ ليعترضوا عيرا لقريش، فسبقتهم. و قيل: كان ذلك بعد بدر «۲».

۴- ثم كانت غزوة الأبواء بعد مقدمه «صلى اللّه عليه و آله» بسنة أو أكثر، أو أقل، خرج فيها النبى «صلى اللّه عليه و آله» بنفسه يريد قريشا، و بنى مرة بن بكر. فتلقاه سيد بنى مرة بالأبواء، فصالحه، ثم رجع (ص) إلى المدينة «۳».

۵- و بعدها كانت غزوة بواط، جبل لجهينة، قرب المدينة خرج (ص) فى ماءتين من المهاجرين أيضا يعترض عير بنى ضمرة؛ فبلغ بواطا و رجع، و لم يلق كيدا «۴».

مع تحفظنا على ما يقال من عدد المهاجرين فى هذه السرية.

۶- و بعدها بأيام قلائل كانت غزوة العشيرة، و وداع فيها بنى مدلج، و حلفاءهم من بنى ضمرة، ثم رجع إلى المدينة، و لم يلق كيدا، و فيها كنى على «عليه السلام» بأبى تراب، كما سنرى «۵».

---

(۱) السيرة النبوية لدحلان مطبوع بهامش السيرة الحلبية ج ۱ ص ۳۶۰ و ۳۵۹، و راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۵۹.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۵۹.

(۳) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۶۳، و السيرة النبوية لإبن هشام ج ۲ ص ۲۴۱، و السيرة النبوية لدحلان بهامش الحلبية ج ۱ ص ۳۶۱.

(۴) راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۶۳، و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۳۶۱، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۱۲۶، و السيرة النبوية لابن هشام ج ۲ ص ۲۴۹.

(۵) راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۳ و السيرة النبوية لدحلان (مطبوع بهامش الحلبية) ج ۱ ص ۳۶۱ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۱۲۶ و سيرة ابن هشام ج ۲ ص ۲۴۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۳۵

۷- سرية عبد اللّه بن جحش إلى بطن نخلة:

ثم كانت سرية ابن جحش فى رجب أو فى جمادى الثانية من السنة الثانية، فى ثمانية، أو اثنى عشر رجلا من المهاجرين.

فقد كتب له النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله» كتابا، و أمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين (و لعله لأجل أن لا يطلع على مضمونه أعداء المسلمين من اليهود و المشركين فتتسرب الأخبار إلى أعدائه) فلما سار يومين فتح الكتاب، فإذا فيه بعد البسملة:

«أما بعد، فسر على بركة اللّه بمن تبعك من أصحابك، حتى تنزل بطن نخلة، فترصد بها عير قريش- و فى رواية: قريشا- حتى تأتينا منها بخبر».

و أخبر أصحابه: أن رسول اللّه (ص) قد أمره أن لا يستكره أحدا ممن كان معه، و خيّرهم بين الكون معه، و بين الرجوع؛ فمضوا معه جميعا، فأقام هناك فمرت بهم عير لقريش، فتجرأ المسلمون عليهم، فقتلوا منهم رجلا، و أسروا إثنين، و أخذوا ما معهم، و كان ذلك فى أول يوم من رجب أو آخر يوم منه على اختلاف النقل.

فلما قدموا على النبى «صلى اللّه عليه و آله»، أوقف العير و الأسيرين، و أبى أن يأخذ منها شيئا (و لكن أبا هلال العسكرى يقول: ورد عبد اللّه بن الجحش بالخمس على رسول اللّه (ص)، و قسّم الباقى بين أصحابه، فكان أول خمس خمسه») «۱».

---

(۱) الأوائل ج ۱ ص ۱۷۶، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۵۷، و الإستيعاب ترجمة عبد اللّه بن جحش، و راجع أيضا: السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۵۲ و ۲۵۳، و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۱۳، و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۱۰ ط سنة ۱۴۰۵ ه. و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۴۱۰- ۴۱۳، و السنن الكبرى ج ۹ ص ۱۲، و دلائل النبوة للبيهقى ج ۲ ص ۳۰۷ و ۳۰۸، و تاريخ الإسلام للذهبى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۳۶

و عنفهم إخوانهم من المسلمين.

و قالت قريش: قد استحل محمد الشهر الحرام، و سفكوا فيه الدماء، و أخذوا فيه الأموال، و أسروا فيه الرجال، و عيّروا المسلمين بذلك، و كتبوا فيه. و تحرك اليهود أيضا، ليزيدوا الطين بلة؛ فلما أكثروا نزل قوله تعالى، مبينا عذر المهاجرين فيما أقدموا عليه: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرامِ، قِتالٍ فِيهِ؟ قُلْ: قِتالٌ فِيهِ كَبِيرٌ، وَ صَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَ كُفْرٌ بِهِ، وَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ، وَ إِخْراجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ، وَ الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ «۱».

و قيل: نزلت الآية حينما جاء مشركوا مكة، و سألوا النبى (ص) عن ذلك على جهة العيب و الإنتقاص، ففرج اللّه بذلك عن المسلمين، و بعثت قريش بفداء الأسيرين، فأفداهما (ص) «۲».

۸- ثم كانت غزوة بدر الأولى بعد غزوة العشيرة بأيام، حيث أغار كرز بن جابر الفهرى على سرح المدينة فخرج النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى طلبه، حتى بلغ وادى سفوان من جهة بدر، وفاته كرز، فرجع «صلى اللّه عليه و آله» إلى المدينة «۳».

(المغازى) ص ۲۹، و أسباب النزول ص ۳۶، و البحار ج ۲۰ ص ۱۸۹ و ۱۹۰ و راجع: رجال المامقانى ج ۲ ص ۱۷۳، و قصص الأنبياء للراوندى ص ۳۳۹، و السيرة النبوية لابن كثير ج ۲ ص ۳۶۶، و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۱۳، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۶۵، و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۶۹، و الدر المنثور للسيوطى ج ۱ ص ۲۵۱، و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۹۸، و السيرة النبوية لدحلان هامش الحلبية ج ۱ ص ۳۶۲، و غير ذلك.

(۱) البقرة: ۲۱۷.

(۲) راجع ذلك فى: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۶۶، و السيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج ۱ ص ۳۶۳، و السيرة النبوية لابن هشام ج ۲ ص ۲۵۴ و ۲۵۵.

(۳) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۱۲۸، و السيرة النبوية لابن هشام ج ۲ ص ۲۵۱.

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۴،ص:۳۳۷

هذا و لابد أن نبحث هنا عدة أمور هامة، نری أنها ترتبط بما تقدم.

و هی علی النحو التالی:

۱- تکنیة علی بأبی تراب:

اشارة

فی غزوة العشیرة کنّی النبی الأعظم «صلی اللّه علیه و آله» أمیر المؤمنین علیا «علیه السلام» ب: «أبی تراب» و کانت أحب کناه إلیه، و لکن الأمویین کانوا یعیرونه بها.

و ملخص القضیة: کما یرویها لنا عمار بن یاسر: أنه بعد أن نزل الرسول (ص) و من معه فی موضع هناک، ذهب عمار و علی (ع) لینظرا إلی عمل بعض بنی مدلج، کانوا یعملون فی عین لهم و نخل؛ فغشیهما النوم، فانطلقا حتی اضطجعا علی صور من النخل، و فی دقعاء من التراب. قال عمار: فو اللّه ما أهبنا إلا رسول اللّه (ص) یحرکنا برجله، و قد تربنا من تلک الدقعاء التی نمنا فیها؛ فیومئذ قال رسول اللّه علیه الصلاة و السلام لعلی بن أبی طالب: مالک یا أبا تراب، لما یری علیه من التراب، الحدیث «۱».

---

(۱) البدایة و النهایة ج ۳ ص ۲۴۷، و الآحاد و المثانی مخطوط فی کوبرلی رقم ۲۳۵، و صحیح ابن حبان مخطوط، و البحار ج ۱۹ ص ۱۸۸، و مسند أحمد ج ۴ ص ۲۶۳ و ۲۶۴، و تاریخ الطبری ج ۲ ص ۱۲۳- ۱۲۴، و الکامل لإبن الأثیر ج ۲ ص ۱۲ ط صادر، و سیرة ابن هشام ج ۲ ص ۲۴۹/ ۲۵۰، و مستدرک الحاکم ج ۳ ص ۱۴۰، و کنز العمال ج ۱۵ ص ۱۲۳ و ۱۲۴ عن المصنف، و البغوی، و الطبرانی فی الکبیر، و ابن مردویه، و أبی نعیم فی معرفة الصحابة، و ابن النجار، و غیرهم، و عن ابن عساکر. و شواهد التنزیل ج ۲ ص ۳۴۲، و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۱۳۶ و ۱۰۰ عن الطبرانی فی الأوسط و الکبیر، و البزار و أحمد، و وثق رجال عدد منهم، و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۳۶۴، و ترجمة الإمام علی (ع) من تاریخ ابن عساکر ج ۳ ص ۸۶ بتحقیق المحمودی، و أنساب الأشراف ج ۲ ص ۹۰، و السیرة الحلبیة ج ۲ ص ۱۲۶، و طبقات ابن سعد، و السیرة النبویة لإبن کثیر ج ۲ ص ۳۶۳، و دلائل

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۴،ص:۳۳۸

و قد تقدمت الإشارة إلی روایة تکنیته (ع) بأبی تراب حین الحدیث عن المؤاخاة أیضا، فراجع.

و قد أحسن عبد الباقی العمری حیث یقول مشیرا إلی هذه القضیة:

یا أبا الأوصیاء أنت لطه صهره، و ابن عمه، و أخوه

إن للّه فی معانیک سرا أکثر العالمین ما علموه

أنت ثانی الآباء فی منتهی الدور و آباؤه تعدّ بنوه

التزویر و الإفتراء:

و لکنهم یقولون هنا: إنه «علیه السلام» کان إذا عتب علی فاطمة، وضع علی رأسه التراب؛ فإذا رآه النبی (ص) عرف ذلک، و خاطبه بهذا الخطاب «۱».

و یقولون أیضا: إنه (ع) غاضب فاطمة (ع)، و خرج إلی المسجد و نام علی التراب، فعرف النبی (ص) بالأمر، فتحث عنه فوجده، فخاطبه بهذا الخطاب «۲».

النبوة للبيهقى ج ۲ ص ۳۰۳.

و نقل أيضا عن كتاب الفضائل لأحمد بن حنبل رقم ۲۹۵، و الغدير ج ۶ ص ۳۳۴، و عيون الأثر لإبن سيد الناس ج ۱ ص ۲۲۶، و الإمتاع للمقريزى ص ۵۵.

و على كل حال، فإن من يراجع غزوة العشيرة فى كتب التاريخ و الحديث، يجد هذا الحديث مثبتا فى أكثر تلك المصادر.

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۱۲۷، و أنساب الأشراف ج ۲ ص ۹۰.

(۲) البداية و النهاية ج ۳ ص ۳۴۷، و الغدير ج ۶ ص ۳۳۶ عن سيرة ابن هشام ج ۲ ص ۲۳۷، و عمدة القارى ج ۷ ص ۶۳۰، و السيرة النبوية لابن كثير ج ۲ ص ۳۶۳

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۳۹

و يزيدون على ذلك قولهم: كان فى على على فاطمة شدّة فقالت:

و اللّه لأشكونّك إلى رسول اللّه، فانطلقت، و انطلق على بأثرها، فشكت إلى رسول اللّه غلظ على و شدته عليها. فقال: يا بنية إسمعى و استمعى، و اعقلى: إنه لا إمرة لا مرأة لا تأتى هوى زوجها، و هو ساكت.

قال على: فكففت عما كنت أصنع و قلت: و اللّه، لا آتى شيئا تكرهينه أبدا «۱».

و قصة أخرى، تقول: كان بين على و فاطمة كلام، فدخل رسول اللّه، فألقى له مثالا فاضطجع عليه، فجاءت فاطمة؛ فاضطجعت من جانب، و جاء على و اضطجع من جانب، فأخذ رسول اللّه بيد على فوضعها على سرته، و أخذ بيد فاطمة فوضعها على سرته، و لم يزل حتى أصلح بينهما «۲».

و يقولون أيضا: إنه حين المؤاخاة لم يؤاخ النبى (ص) بينه و بين أحد، فاشتد عليه ذلك، و خرج إلى المسجد، و نام على التراب، فلحقه (ص)، و لقبه بهذا اللقب.

و لكن كل ذلك لا يصح، فعدا عن أننا لم نفهم سر هذا التصرف الذى انتهجه (ص) فيما يزعمون للصلح بين الزوجين، حيث اضطجع، و وضع يديهما على سرته!! كما لم نفهم السبب فى أنه (ص) قد أنحى باللائمة على بنته بدلا من أن يدافع عنها أمام من يظلمها. عدا عن ذلك، فإننا نسجل ما يلى:

عن صحيح البخارى، و المناقب للخوارزمى ص ۷، و أنساب الأشراف ج ۲ ص ۹۰، و معرفة علوم الحديث للحاكم ص ۲۱۱.

(۱) طبقات ابن سعد ط ليدن ج ۸ ص ۱۶.

(۲) المصدر السابق.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۴۰

۱- إن فاطمة أجلّ من أن تغضب عليا «عليه السلام»، و أتقى و أرفع من ذلك، و هى الصديقة الطاهرة التى أذهب اللّه عنها الرجس و طهّرها تطهيرا، بنص الكتاب العزيز. كما أن عليا أجلّ و أتقى و أرفع من أن يغضب فاطمة «عليها السلام» و سيرته، و تطهير اللّه له من الرجس، و من كل مشين، بنص كتابه العزيز أدل دليل على ذلك.

۲- لقد قال على «عليه السلام» و كأنه يتنبأ بما سوف يفتريه عليه الحاقدون: «فو اللّه ما أغضبتها، و لا أكرهتها على أمر، حتى قبضها اللّه عز و جل، و لا أغضبتنى، و لا عصت لى أمرا. و لقد كنت أنظر إليها؛ فتنكشف عنى الهموم و الأحزان» «۱».

۳- إن وضعه التراب على رأسه كلما غاضبها لا يصدر من رجل عاقل، حكيم لبيب، له علم و دراية أمير المؤمنين «عليه السلام»، لأنه أشبه بلعب الأطفال.

۴- إن أمير المؤمنين «عليه السلام» الذى هو قسيم الجنة و النار، لم يكن ليؤذى اللّه تعالى و النبى «صلى اللّه عليه و آله»؛ لأن جزاء من

يؤذى اللّه و رسوله ليس هو الجنـة قطعا. و قـد قال النبى: إن من آذى فاطمـة فقد آذاه، أو من أغضـبها فقد أغضـبه «۲». و قال: إن اللّه ليغضب لغضب فاطمة

---

(۱) مناقب الخوارزمى ص ۲۵۶، و كشف الغمة ج ۱ ص ۳۶۳، و البحار ج ۴۳ ص ۱۳۴.

(۲) البخارى ط مشـكول ج ۵ ص ۳۶، و البحار ج ۲۸ ص ۷۶، و راجع: إحقاق الحق ج ۱۰ ص ۱۹۰، و حلية الأولياء ج ۲ ص ۴۰، و ينابيع المودة ص ۳۶۰، ۱۷۱، ۱۷۳، و السـنن الكبرى ج ۱۰ ص ۲۰۱ و ۶۴، و مسـتدرك الحاكم ج ۳ ص ۱۵۹، و تلخيصه بهامشه، و أعلام النساء ج ۴ ص ۱۲۵، و كنز العمال ج ۱۳ ص ۹۳، و الإصابة ج ۴ ص ۳۷۸، و تهذيب التهذيب ج ۱۲ ص ۴۴۱، و ثمة مصادر أخرى ذكرت ذلـك تعقيبا على قصـة مكذوبـة هى قصـة خطبـة على (ع) لبنت أبى جهل فراجع: ذخائر العقبى ص ۳۷ و ۳۸، و كفاية الطالب ص ۳۶۵، و مقتل الحسين

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۴۱

و يرضى لرضاها «۱».

۵- لقـد قالت فاطمة لعلى «عليه السـلام»: «ما عهدتنى كاذبة، و لا خائنة، و لا خالفتك منذ عاشـرتنى. فصدقها «عليه السـلام» فى ذلك «۲».

۶- إن عليا لم يكن ليغضب من النبى (ص)، و يعتب عليه، و هو يعلم أنه لا يأتى بعمل من عنـد نفسه. كما أن سيرته «عليه السـلام» مع النبى، لتؤكد على أنه كان يلتزم حرفيا بكل ما يصدر عنه، حتى إنه حينما أمره النبى (ص) أن يسير لفتح خيبر و لا يلتفت، مشى (ع) ما شاء اللّه، ثم وقف، فلم يلتفت و قال: يا رسول اللّه إلخ «۳».

۷- أضف إلى ذلك: أن النبى (ص) حينما كان يستشير أصحابه فى

للخوارزمى ج ۱ ص ۵۳، و نظم درر السـمطين ص ۱۷۶، و السيرة النبوية لدحلان (بهامش السيرة الحلبية) ج ۲ ص ۱۰، و الخصائص للنسائى ص ۱۲۰، وصفة الصفوة ج ۲ ص ۱۳، و الجامع الصحيح ج ۵ ص ۶۹۸، و مسند أحمد ج ۴ ص ۳۲۸ و البداية و النهاية ج ۶ ص ۳۳۳ و الصواعق المحرقة ص ۱۸۸.

(۱) راجع: فرائد السمطين ج ۲ ص ۴۶، و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۲۰۳، و مقتل الحسين للخوارزمى ج ۱ ص ۵۲، و كفاية الطالب ص ۳۶۴، و ذخائر العقبى ص ۳۹، و أسد الغابة ج ۵ ص ۵۲۲، و تهذيب التهذيب ج ۱۲ ص ۴۴۲، و ينابيع المودة ص ۱۷۳ و ۱۷۴ و ۱۷۹ و ۱۹۸، و نظم درر السمطين ص ۱۷۷، و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۱۵۴ و ۱۵۸، و تلخيصه للـذهبى مطبوع بهامشه، و كنز العمال ج ۱۳ ص ۹۶، و ج ۶ ص ۲۱۹، و ج ۷ ص ۱۱۱، و الغدير ج ۷ ص ۲۳۱- ۲۳۶، و إحقاق الحق ج ۱۰ ص ۱۱۶، و راجع: السنن الكبرى ج ۷ ص ۶۴، و الصواعق المحرقة ص ۱۸۶، و سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۱۳۲.

(۲) روضة الواعظين ص ۱۵۱.

(۳) أنساب الأشـراف بتحقيق المحمودى ج ۲ ص ۹۳، و ترجمـة الإمـام على بن أبى طـالب لإبن عساكر بتحقيق المحمودى ج ۱ ص ۱۵۹، و صـحيح ابن حبان ترجمة على (مخطوط فى مكتبة قبوسـراى فى استانبول)، و فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ۱ ص ۲۰۰، و الغدير ج ۱۰ ص ۲۰۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۴۲

الموارد المختلفة، فى بدر و أحد و غيرهما، كان أصـحابه يتكلمون بما شاءوا، و لم يكن على «عليه السـلام» يبدى رأيا، و لا يقدم بين يـدى اللّه و رسوله بشـىء أصـلا، إلاـ ما روى فى شأن الإفك على ماريـة، حيث أشار «عليه السـلام» بطلاق عائشـة ليكون ذلك بمثابة

إنذار لها؛ لترتدع عن مواقفها و أعمالها، و تكفّ عن أذى رسول اللّه و أزواجه.

۸- و أخيرا، لماذا يغضب و يعتب؟ أليس قد آخاه بنفسه قبل الهجرة؟!. ثم هو لم يزل يؤكد على أخوته له، كلما اقتضت المناسبة ذلك.

و على كل حال، فنحن لن نكذب النبى (ص)، و القرآن، و نصدق هؤلاء، فنحن نذر هذه الترهات لهم، تدغدغ أحلامهم، و ترضى حقدهم على على و أهل البيت صلوات اللّه و سلامه عليهم أجمعين.

لماذا الوضع و الاختلاق:

و لعل سر وضع هذه الترهات هو:

۱- أنهم يريدون أن يظهروا أنه قد كان فى بيت على «عليه السلام» من التناقضات و المخالفات مثل ذلك الذى كان فى بيت النبى (ص) نفسه، مما كانت تصنعه بعض زوجاته «صلى اللّه عليه و آله» و ليمكن- من ثم- أن يقال: إن ذلك أمر طبيعى، و مألوف، و هو من مقتضيات الحياة الزوجية؛ فلا غضاضة فيه على أحد، و لا موجب للطعن و الإشكال على أى كان، فزوجة النبى تتصرف كما كانت تتصرف بنت النبى (ص).

و كما كانت عائشة تغضب النبى (ص)، فإن فاطمة كانت تغضب عليا، و كانت خشنة معه.

۲- و من الجهة الثانية فكما أن قوله (ص) من أغضبها (أى فاطمة) فقد أغضبنى، ينطبق على فلان و فلان، فإنه ينطبق على على نفسه، إذن

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۴۳

فكما أغضب أبو بكر فاطمة فقد أغضبها على أيضا، و تكون واحدة بواحدة، فلا يكون ذلك موجبا للإشكال على أولئك دونه «عليه السلام».

۳- بل إنهم يريدون بذلك أن يظهروا عليا «عليه السلام» بصورة الرجل الذى لم يكن مرضيا من فاطمة، و قد تزوجته بدون رضى منها.

و لعل قبول النبى (ص) بتزويجه قد كان لأجل دفع غائلته و شره، و بذلك يسلبون عنه فضيلة الصهر للنبى (ص).

قيمة هذه الكنية:

لقد علل ابن عباس تسمية على «عليه السلام» بأبى تراب، بأنه «عليه السلام» صاحب الأرض، و حجة اللّه على أهلها بعده، و به بقاؤها، و إليه سكونها. و لقد سمعت رسول اللّه (ص) يقول: إنه إذا كان يوم القيامة، و رأى الكافر ما أعد اللّه لشيعة على من الثواب و الزلفى و الكرامة، قال: يا ليتنى كنت ترابا، أى يا ليتنى كنت من شيعة على «۱».

يضاف إلى ذلك: أن الإمام عليا «عليه السلام» الذى كان يعتز بهذه الكنية، كان لا يعتبر الدنيا هدفا له، يعيش من أجله و فى سبيله، و إنما يعتبرها وسيلة إلى هدفه الأسمى، و غايته الفضلى. و إذا رأى نفسه يتصرف منسجما مع هدفه، و مع نظرته؛ فإنه سوف يرتاح، و ينشرح لذلك، فكانت هذه الكنية من النبى (ص) له بمثابة إعلام له: بأنه سوف يبقى فى مواقفه و تصرفاته محتفظا بالخط المنسجم مع أهدافه، و أنه لسوف يبقى مستمرا فى وضعه للدنيا فى موضعها الذى يليق بها، و لن تغرّه بزبارجها و بهارجها، و لن يبتلى بالتناقض بين مواقفه و تصرفاته، و بين ما يدّعى أنه هدف له. فمن أجل ذلك كانت هذه الكنية أحب كناه إليه «عليه السلام».

و أما الأمويون، الذين كانوا يعيرونه (ع) بها، فقد كان موقفهم أيضا

(۱) سفينة البحار ج ۱ ص ۱۲۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۴۴

منسجما مع نظرتهم و مع ما يعتبرونه من القيم لهم. فإن غايتهم و هدفهم هو الدنيا، و على أساس وجدانها و فقدانها يقيّمون الأشخاص و المواقف، فيحترمون أو يحتقرون.

و إذا كان على أبا تراب، و لا يهتم بالدنيا، و لا يسعى لأن ينال منها إلا ما يحفظ له خيط حياته، إنطلاقا من الواجب الشرعى، و يبلغه إلى أهدافه التى رسمها اللّه سبحانه له، فإن بنى أمية سوف يرونه فاقدا للعنصر الأهم الذى يكون به المجد الباذخ، و الكرامة و السؤدد بنظرهم، و يصبح من الطبيعى أن يعيروه بكنية من هذا القبيل، فإن ذلك هو الذى ينسجم كل الإنسجام مع غاياتهم و نظرتهم تلك التى تخالف الدين، و القرآن، و لا تنسجم مع الفطرة السليمة و المستقيمة.

۲- لماذا السرايا:

اشارة

لقد عرفنا فيما سبق أن بعض تلك السرايا كان هدفه الإستطلاع، و مراقبة تحركات قريش فى المنطقة.

و بعض آخر كان هدفه تعقب المغيرين على سرح المدينة، كتعقبهم لكرز بن جابر.

و عرفنا أيضا: أن تلك السرايا، التى لم يلق المسلمون فيها كيدا، قد جرأت المسلمين، و أعادت لهم الثقة بأنفسهم، و أعدّتهم ليواجهوا- على قلة العدد و العدّة- ألف فارس من قريش، و هى فى أوج خيلائها و عزتها، و لم يعد ذلك مفاجأة للمسلمين، و لا مرهبا لهم.

و لكننا مع ذلك نرى أن علينا أن لا نقنع بما ذكر؛ و أن علينا أن نعيد النظر بدءا و عودا لنعرف الجديد مما كانت تهدف إليه تلك السرايا التى كان الهدف المعلن لها هو اعتراض عير قريش. و الذى يلفت نظرنا هنا هو الأمران التاليان:

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۴۵

الأول: الموادعات و التحالفات:

فقد نتج عن تلك السرايا مهادنات و موادعات، و تحالفات على النصر ضد العدو، بين المسلمين، و بين كثير من القبائل المتواجدة فى المنطقة، حينما شعرت تلك القبائل بقوة المسلمين، و قدرتهم على التحرك، و بتصميمهم على مواجهة حتى قريش بالحرب.

و من الطبيعى أن ينتج عن هذه المعاهدات و التحالفات تخوف و رعب فى قلوب سائر القبائل القريبة من المدينة، بحيث لابدّ لتلك القبائل من التفكير مليا قبل أن تقدم على أى عمل ضد المدينة مباشرة، أو بواسطة التحالف مع أعداء المسلمين.

و ذلك لأنها ترى بالفعل: أن ثمة قوة ضاربة، لابد من صياغة التعامل معها بحيث لا يضر بمستقبل مصالحها فى المنطقة.

و بهذا يتحقق للمدينة نوع من الشعور بالأمن و الإستقرار. و يمكّن المسلمين- من ثم- من أن يتحركوا بحرية أكثر، فى مواجهاتهم لقريش، و مناهضاتهم لها. و هو ما ظهر فى حرب بدر، و بعدها.

كما أن هذه الموادعات و التحالفات كانت بمثابة صدمات نفسية، بل هى صفعات مؤلمة لقريش، التى ترى الآن كيف أن المسلمين قد أصبحوا قوة يرهب جانبها، و يسعى الكثيرون إلى عقد التحالفات الدفاعية معها. و على الأخصل من القبائل التى تقع على طريق تجارة مكة، و كانت تعتبرها قريش سندا و عونا لها، كلما أهمها أمر، أو تعرضت لخطر.

أضف إلى ذلك كله، أنه لم يعد باستطاعة قريش أن تعقد تحالفات مع تلكم القبائل القريبة من المدينة، و تتخذ منها قوة ضاغطة على المدينة، و وسيلة لمضايقتها.

الثانى: مضايقة قريش:

إن هذه السرايا كانت تهدف إلى الضغط على قريش اقتصاديا،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۴۶

و كذلك نفسيا أيضا، و تعريفها: أن المسلمين سوف لن يتركوها حرة فى المنطقة، ما دامت قد شردتهم، و آذتهم و سلبتهم أموالهم، و قتلت منهم.

و قد شرط النبى (ص) على المشركين فى وثيقة العهد المتقدمة، أن يقطعوا صلاتهم بالمشركين الآخرين.

و يلاحظ: أنه لم يكن ثمة إصرار على قتال قريش، و مناجزتها الحرب، و لذلك قبل حمزة بوساطة الجهنى. و تقدم أن عبيدة بن الحارث لم يتعقب القافلة التى تجاوزته. كما أن ثمة ثلاث خرجات أخرى تمر عير قريش فيها بسلام، و لم يصل إليها المسلمون فى الوقت المناسب. بل و حتى فى وقعة بدر نفسها لم يفز المسلمون بعير قريش، و إنما كانت قريش هى التى تصدت لقتال المسلمين كما سنرى إن شاء اللّه تعالى.

و هذا يعزّز الإستنتاج القائل: إن المقصود من تلك السرايا هو تعريف قريش: أنها لم تعد تملك حرية الحركة فى المنطقة، و لا هى سيدة الموقف. و لا تستطيع بعد الآن أن تأمن على قوافلها التجارية إلى الشام، إلا بالعودة إلى منطق التعقل، و الروية، و الحكمة، و التخلى عن منطق الظلم و الغطرسة و التجبر، و أن عليها مراجعة حساباتها، لتقتنع بأنه إذا كان حسم الموقف عسكريا صعبا جدا بالنسبة إليها، فما عليها إلا أن ترضخ للأمر الواقع، و تعترف بما لابد لها من الإعتراف به، إن عاجلا، و إن آجلا.

و إلا، فلتأذن بحرب من اللّه و رسوله لا تنتهى إلا بتدمير عنفوانها، و تحطيم كبريائها، و هكذا كان.

و إنما اكتفى المسلمون بالتعرض إلى قوافل قريش، دون أن يصروا على أخذها، و مصادرتها، و إن كان من حقهم ذلك، لأنه قصاص عادل لقريش، التى بدأت بالعدوان، و تمادت فى الظلم و الطغيان. و لا مانع من

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۴۷

ممارسة هذا الحق إذا لم يكلف ذلك المسلمين غاليا- إنما اكتفى المسلمون بذلك- من أجل أن يبقوا الباب مفتوحا أمام قريش، و يعطوها الفرصة للتأمل و التدبر فى الأمر.

و أما ما ذكره البعض من أن المقصود من تلك السرايا لم يكن هو الحرب، بدليل قلة عدد المقاتلين المسلمين المرسلين.

فلا نراه مقنعا و لا كافيا فى فهم حقيقة الدوافع لإرسال تلك السرايا؛ لأن الإغارة على قافلة تجارية لم يكن يحتاج إلى عدد كبير من المقاتلين.

و يكفى أن نذكر هنا: أن أكبر قافلة تجارية ترسلها قريش بعد تحرشات المسلمين بتجاراتها (و ذلك يدفعها طبعا لزيادة عدد المحافظين عليها)، هى القافلة التى سببت حرب بدر، و كانت بقيادة أبى سفيان، و هى لم يكن معها إلا بضعة و عشرون رجلا فقط، مع أن فيها أكثر من ألفى بعير، و فيها أموال قريش.

۳- وصاياه (ص) لبعوثه:

و أما ما تقدم مما كان يوصى به البعوث و السرايا، فإنه يؤكد على أن هذا النبى لم يبعث إلا ليعمر الأرض، و ليقطع دابر الفساد فيها؛ و ليس جهاده للمنحرفين و الظالمين إلا من هذا المنطلق، و فى هذا السبيل، على اعتبار: أن آخر الدواء الكى.

و عليه فكل تصرف لا يأخذ بنظر الإعتبار ذلك الهدف؛ فهو مرفوض عنده حتى و إن كان من أصحابه، و من أقرب الناس إليه.

و إن وصاياه «صلى اللّه عليه و آله» تلك تحتاج إلى دراسة معمقة، للتعرف على الكثير من الحقائق التى يهم الإنسان المنصف ذا

الضمير الحى، و الوجدان المتيقظ، أن يتعرف عليها، و يستفيد منها منهاجا، و نبراسا له فى سلوكه، و أعماله، و مواقفه.

و قد سار على «عليه السلام» فى وصاياه لجيوشه على هذا النهج

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۴۸

أيضا فليراجع «۱».

۴- لماذا المهاجرون فقط:

اشارة

و يلاحظ: أنه «صلى اللّه عليه و آله» كان قبل بدر لا يخرج فى غزواته، و لا يرسل فى سراياه إلا المهاجرين. و هنا يرد سؤال:

لماذا يتعمد النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله» ذلك؟ و ما هى الحكمة فيه؟!.

لربما يقال فى مقام الإجابة على ذلك: إنه (ص) يريد أن يفهم الأنصار: أنه مصمم على الوصول إلى أهدافه، و لو لم يعاونوه؛ فلا يجب أن يظنوا: أنه يريد أن يجعلهم وسيلة لمآربه و غاياته، مع احتفاظه بأصحابه المهاجرين؛ الأمر الذى يولّد عند الأنصار الشعور بالمظلومية و الغبن.

و لكننا نرى أنه لابد من نظرة أعمق إلى هذا الأمر، و ذلك يحتم علينا أن لا نقنع بهذه الإجابة، و لذا فنحن نجمل ملاحظاتنا هنا على النحو التالى:

ألف: على الأنصار نصره (ص) فى دارهم:

إنه يبدو أن الأنصار كانوا يرون: أن عليهم نصر النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلّم» فى دارهم، إن دهمه أمر؛ فيمنعونه مما يمنعون منه أنفسهم. أما إذا كان هو نفسه المهاجم لغيره، أو كانت الحرب فى غير بلدهم، فلا نصرة له عليهم. و ذلك هو ظاهر ما تم الإتفاق عليه فى بيعة العقبة، كما تقدم.

---

(۱) راجع: تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۱۸۲ و ۱۸۳ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱ ص ۲۳ و الفتوح لابن اكتم ج ۳ ص ۴۵ و ۱۳۵ و أنساب الأشراف بتحقيق المحمودى ج ۲ ص ۲۶۲ و ۲۴۰ و ۳۰۲ و ۳۳۱ و ۴۷۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۴۹

و يدل على ذلك: أن المؤرخين يصرحون فى غزوة بدر: أنه (ص):

«كان يخشى ألا- تكون الأنصار ترى عليهم نصرته إلا- ممن دهمه فى المدينة، و ليس عليهم أن يسير بهم». و سيأتى ذلك حين الحديث عن غزوة بدر فى الفصل الأول إن شاء اللّه تعالى.

ب: مسألة الحرب و السلم:

إن مسألة الحرب ليست سهلة بالنسبة إلى المدنيين، و قد كانوا يدركون أنهم هم الذين سوف يتحملون مسؤولياتها، و يضحون فيها بأموالهم و أنفسهم. و هم الذين سوف يواجهون نتائجها و عواقبها على صعيد علاقاتهم، و روابطهم الإجتماعية و الإقتصادية، و حالتهم السياسية و غيرها، و هى أخطر و أهم مسألة لدى الإنسان العربى، لأنها مسألة الدم و الثار، و الموت و الحياة، و السعادة و الشقاء.

إذن فلابد فيها من توفر القناعات الكاملة بها من قبلهم أنفسهم، و لابد أن يقرروا هم الدخول فيها و عدمه.

و أما إذا فرضت عليهم فرضا، فلربما يؤدى دخولهم فيها إلى نتائج عكسية، و ربما خطيرة جدا، تجر على المسلمين، و على مستقبل

الإسلام الكثير من الرزايا و البلايا، التى قد تعسر معالجتها، و الخروج منها على النحو المرضى و المشرّف، و المنسجم مع الهدف الأسمى، و الغاية الفضلى.

و هذا هو السر فى استشارته (ص) أصحابه فى الحرب و شؤونها فى بدر و فى أحد، كما سنشير إليه ثمة إن شاء اللّه تعالى.

ج: ظروف الأنصار الخاصة:

و إذا كان الأنصار فى بلدهم، و يعيشون حياة الأمن و الدعة- على

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۵۰

صعيد علاقاتهم بمن يحيط بهم طبعا- و يشرفون على زراعتهم، و أمور معاشهم، و يستفيدون من أرضهم؛ فإن ذلك يجعلهم أكثر تعلقا بالحياة، وحبا لها، و لابد من توفر دافع نفسى أقوى يسهّل عليهم الخروج إلى جو آخر، فيه الكثير من المشاكل و الأخطار الجسام، إن حاضرا، و إن مستقبلا.

و أيضا، إذا كان الأنصار سوف يحاربون قريشا، أعظم قبائل العرب خطرا و نفوذا، و حتى قدسية، فإن عليهم أن يعدوا إلى العشرة قبل أن يقدموا على أى إجراء من شأنه أن يعرّض علاقتهم بمكة إلى الخطر، و لا- سيما إذا كان من الممكن أن يجر ذلك عليهم خطر عداء العرب قاطبة، فضلا عن غيرهم، و على الأخص إذا كان المدنيون فى موقع المعتدى فى نظر الناس.

و هذا هو ما حدث بالفعل، فإن التاريخ يحدثنا: «عن أبى بن كعب قال: لما قدم النبى (ص) و أصحابه إلى المدينة و آوتهم الأنصار رمتهم العرب عن قوس واحدة، فكانوا لا يبيتون إلا فى السلاح و لا يصبحون إلا فيه» «۱».

فأذن اللّه تعالى لهم بالقتال دفاعا عن أنفسهم، و لرد كيد أعدائهم، كما قال تعالى: أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا، وَ إِنَّ اللَّهَ عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ «۲».

أما ظروف المهاجرين، فكانت مختلفة تماما عن ظروف الأنصار من

---

(۱) راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۱۲۳، و راجع: البحار ج ۱۹ ص ۸، و إعلام الورى ص ۵۵، و منتخب كنز العمال ج ۱ ص ۴۶۵ بهامش مسند أحمد عن البيهقى فى الدلائل، و ابن مردويه، و ابن المنذر، و عن كنز العمال ج ۱ ص ۲۹۵ عن هؤلاء و عن الطبرانى، و الحاكم، و سعيد بن منصور، و عن روح المعانى ج ۶ ص ۹۸.

(۲) الحج: ۳۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۵۱

هذه الجهة؛ لأن اتخاذهم قرار الحرب ضد قريش كان أسهل و أيسر، لأن وقوفهم ضدها له مبرراته النفسية و الإجتماعية كاملة، فإن الكل يعلم: أنها كانت تلك القوة الغاشمة التى أهانتهم، و عذبتهم و أخرجتهم من ديارهم، و سلبتهم أموالهم. و لأن المهاجرين الذين كانوا مشردين، مقهورين، كانوا يشعرون بظلم قريش و خروجها على كل النواميس الأخلاقية و الأعراف الإجتماعية، و الأحكام العقلية و الدينية و الفطرية. فاندفاعهم إلى محاربتها، و الوقوف فى وجهها يكون أعظم و أشد. كما أن تحريكهم إلى مضايقة قوافلها، التى تمثل إغراء لهؤلاء الذين فقدوا أموالهم، و كل ما لديهم على أيدى أصحاب هذه القوافل نفسها، يكون أسهل و أيسر.

و خلاصة الأمر: لا- يمكن أن ينظر إلى وقوفهم فى وجه قريش على أنه تجن و اعتداء عليها، بل هى حرب محقة و عادلة لمن هذه معاملتهم، و تلك هى حالتهم و سلوكهم. مع من؟!. مع أحب الناس و أقربهم نسبا إليهم، فكيف تكون الحال لو كان الأمر مع غيرهم ممن لا تربطهم بهم رابطة قربى، و لا وشائج رحم؟!.

د: الحالة النفسية للمهاجرين:

و بعد ما تقدم، فقد كان اتخاذ المهاجرين قرار الحرب أيسر من اتخاذ الأنصار قرارا كهذا، حيث لا يعتبر ذلك اعتداء، بقدر ما هو رد للإعتداء، فهو إذن قرار له مبرراته السياسية و الإجتماعية و النفسية، و كان لابد من حصول هذا الأمر، حيث يوجد المناخ العام الملائم حينئذ لدخول الأنصار للحرب ليكونوا الدرع الواقى، و السيف القاطع.

فبدأ المهاجرون فى تحركاتهم، و قد أعطتهم هذه التحركات التدريجية، و هم الغرباء عن المنطقة فرصة للتعرف عليها جغرافيا، و لو بشكل محدود؛ فقد كان المهاجرون المصدومون نفسيا، يشعرون بالغربة عن المنطقة؛ فهم بحاجة إلى حركة تعيد لهم الثقة بأنفسهم، و ترفع

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۵۲

معنوياتهم، و تركّز فيهم الشعور بالقوة، و بالإستقلالية و الحرية، فاعطتهم هذه التحركات شعورا بأن باستطاعتهم- الآن- مضايقة قريش، و الضغط عليها، و أنهم يملكون أنفسهم بكل ما لهذه الكلمة من معنى.

و قد عزز ذلك فيهم موادعات رسول اللّه لكثير من القبائل التى كانت تعيش فى المنطقة، أما الأنصار فقد كانوا فى غنى عن كل ذلك بملاحظة ظروفهم و أحوالهم.

يضاف إلى ذلك: أنه إذا كان بين هؤلاء المهاجرين من أثرّت فيه المحنة و زعزعت يقينه الصدمة، فإن تكليفه بالقيام بأعمال و تقديم تضحيات فى سبيل هذا الدين، لسوف يحصنه من الوقوع- بسبب ضعف نفسه- بين براثن الشيطان. فإنه إذا رأى نفسه يعمل فى سبيل هذا الدين، و هذه العقيدة، و يضحى من أجلها و فى سبيلها، و أن عمله هذا يؤثر و ينتج و يتقدم من حسن إلى أحسن، فسوف يعود إليه ثباته، و تطمئن نفسه، و يصير تأثير المحنة عليه أقل، و التفاعل معها أندر.

و سوف يصبح تعلقه بما ضحى من أجله، و تعب و شقى فى سبيله، أشد و أوثق، و تنفذ بصيرته فى الدين و فى الإسلام بشكل أعظم و أعمق.

ه: العربى و قضية الدم:

و لقد كان العربى لا يغفر قضية الدم، و لا يتجاوزها، و على أساس الثأر للدم يتقرر مصير العلاقات بين القبائل و الفئات سياسيا، و اقتصاديا، و اجتماعيا، و غير ذلك. و لربما يستمر العداء الثارى بين القبائل أجيالا عديدة.

و إذا كان لابد من قيام مجتمع إسلامى متكافل، متماسك كالجسد الواحد، فلابد من حصر قضايا الدم و الثأر فى أضيق دائرة ممكنة، تفاديا للأحقاد التى تتأصل فى النفوس، و يظهر أثرها و لو بعد أجيال، و عشرات، بل مئات السنين.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۵۳

و لذا نلاحظ: أن حرب بدر رغم أن الكثرة فيها كانت للأنصار بنسبة واحد إلى أربعة أو خمسة من المهاجرين، إلا أن أكثر قتلى المشركين كانت نهايتهم على يد على (ع) و حمزة، و هما من المهاجرين القرشيين، كما سنرى إن شاء اللّه تعالى.

و لأجل هذا بعينه؛ ثم من أجل تقليل القتلى ما أمكن، نجد أمير المؤمنين «عليه السلام» يقول للأزد فى صفين، اكفونى الأزد و لخثعم: أكفونى خثعما. و أمر كل قبيلة من أهل العراق أن تكفيه أختها من أهل الشام إلا قبيلة ليس منهم بالشام أحد مثل بجيلة، لم يكن بالشام منهم إلا عدد يسير؛ فصرفهم إلى لخم «۱».

و كذلك جرى أيضا فى حرب الجمل «۲».

و قد خرج صائح فى حرب الجمل من قبل على (ع) يحذر جيش عائشة من الأشتر، و جندب بن زهير «۳».

ثم هو يرسل مصحفا إليهم يدعوهم إلى ما فيه، فيقتلون الرجل الحامل له.

هـذا بالإضافـة إلى المحاولات المتكررة التى بـذلها لإقناع طلحـة و الزبير و عائشـة بالتخلى عن قرار الحرب، ثم هو يعلن انتهاء الحرب بمجرد عقر جمل عائشة، و يظهر أسفه على من قتل.

---

(۱) وقعة صـفين لنصر بن مزاحم ص ۲۲۹، و راجع: أنساب الأشراف ج ۲ ص ۳۰۵، و الفتوح لإبن أعثم ج ۳ ص ۱۴۱، و راجع: ج ۲ ص ۲۹۹، و تاريخ الأمم و الملوك ج ۴ ص ۹ و فيه: أن عليا (ع) سأل أولا عن قبائل الشام، فلما أخبروه اتخذ قراره ذاك.

(۲) الفتوح لابن أعثم ج ۲ ص ۲۹۹.

(۳) لباب الآداب ص ۱۸۷، و الإصابة ج ۱ ص ۲۴۸، و الجمل للمفيد ص ۱۹۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۵۴

و أمـا فى صـفين، فكم حـاول إقنـاع معاويـة و من معه بـالكف عن غيهم، و القبول بحكم اللّه سـبحانه، و قـد اسـتمرت محاولاته تلك وطالت أسابيع كثيرة. و ما ذلك إلا لأن عليا لا يريـد أن يقتل الناس، و إنما يريـد قمع الفتنـة، و إقامـة الـدين الذى تحيا به الأمم، بأقل قدر ممكن من الخسائر.

شاهدنا على ذلك أنه عندما أمر المختار إبراهيم بن الأشتر أن يسـير إما إلى مضر، أو إلى أهل اليمن، عاد فرجح له أن يسير إلى مضر. قال الطبرى: «فنظر المختار- و كان ذا رأى- فكره أن يسير إلى قومه، فلا يبالغ فى قتالهم، فقال: سر إلى مضر بالكناسة إلخ» «۱».

و خلاصـة الأمر: إنه إذا كانت الحرب بين أفراد أو فئات القبيلـة الواحـدة؛ فلربما تكون أقل ضـراوة من جهـة، و لأن العاطفـة النسبية، و القربى القبلية تسـهل على الناس تناسـى الأحقاد و تجاوزها، حيث يتهيأ الجو للعودة إلى الحياة الهادئة، و المحبة و التصافى بسـرعة من جهة أخرى.

و الشاهـد على صـحة ما نقول: أن قريشا ليس فقط كانت تحقـد على بنى هاشم بسـبب نكايـة على (ع) فيها، حتى إن النبى (ص) كان يبكى على ما سيحل بأهل بيته بعده، نتيجة لتلك الأحقاد «۲». الصـحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۴ ۳۵۴ ه: العربى و قضية الدم: ..... ص : ۳۵۲

كما أن قريشا لن تنسى- رغم طول العهد- جراحاتها من الأنصار

---

(۱) تاريخ الطبرى ط مطبعة الإستقامة ج ۴ ص ۵۲۱.

(۲) راجع: الأمالى للصدوق ص ۱۰۲ و فرائد السمطين ج ۲ ص ۳۶ و راجع: البحار ج ۲۸ ص ۳۷ و ۳۸ و ۴۱ و ۵۱ و ۸۱ و ج ۴۳ ص ۱۷۲ و ۱۵۶ و العوالم ص ۲۱۶ و ۲۱۷ و ۲۱۸ و كشف الغمة للأربلى ج ۲ ص ۳۶ و أنساب الأشراف للبلاذرى و مسند أبى يعلى ج ۱ ص ۴۲۷ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۱۱۸ و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۱۳۹ و المطالب العالية ج ۴ ص ۶۱ ط دار المعرفة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۵۵

أيضا، و لم تأل وسعا و لم تدخر جهدا فى الثأر لنفسها كما سنرى فى الفقرات التالية.

هذا كله عدا عما فى هذا من الإمتحان لهم، فإن القبول بقتل الأقارب يحتاج إلى إيمان عميق، و إخلاص تام، و قد امتحن اللّه سبحانه بنى إسرائيل بذلك أيضا. بل لقد امتحن اللّه تعالى نبيه إبراهيم بما يشبه هذا فى ولده إسماعيل، حسبما قدمنا.

و: قريش، و الأنصار:

و أول ما يطالعنا فى مجال استكشاف مشاعر قريش، و نواياها تجاه الأنصار، ما قاله أبو سفيان بعد حرب بدر:

آليت، لا أقرب النساء، و لا يمس رأسى و جلدى الغسل

حتى تبيروا قبائل الأوس و الخزرج،إن الفؤاد يشتعل و قد كان الأنصار أنفسهم يشعرون بهذا الأمر، فإنهم عندما مات النبى (ص) كانوا يبكون؛ لأنهم لا يدرون ما يلقون من الناس بعده «صلى اللّه عليه و آله» «۱».

و لم تكن مبادرتهم إلى محاولة مبايعة سعد بن عبادة إلا إنطلاقا من هذا الشعور، الذى عبر عنه الحباب بن المنذر بقوله يوم السقيفة: «و لكنا نخاف أن يليها بعدكم من قتلنا أبناءهم و آباءهم، و إخوانهم» «۲».

و قد بين أمير المؤمنين «عليه السلام» دوافع سعد بن عبادة إلى طلب البيعة له، فكتب «عليه السلام» إلى أصحابه يقول:

«و لقد كان سعد لما رأى الناس يبايعون أبا بكر نادى: أيها الناس،

---

(۱) مسند أحمد ج ۶ ص ۳۳۹، و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۳۴ عنه.

(۲) حياة الصحابة ج ۱ ص ۴۲۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۵۶

إنى و اللّه ما أردتها حتى رأيتكم تصرفونها عن على، و لا أبايعكم حتى يبايع على. و لعلى لا أفعل و إن بايع إلخ».

و فى مورد أخر من نفس الرسالة: يقول: إن الأنصار «قالوا: أما إذا لم تسلموها لعلى فصاحبنا أحق بها من غيره إلخ» «۱».

فذلك يوضح: أن الأنصار بادروا إلى ذلك بعد أن عرفوا أن العرب و قريشا لن تمكن عليا من الوصول إلى الحكم، و قد تأكد لديهم ذلك حينما شهدوا المنع عن كتابة النبى (ص)، للكتاب بذلك الأسلوب الجاف و المهين و القاسى، ثم تأخير بعث جيش أسامة، و غير ذلك من قرائن و أحوال لا تخفى.

و بعد وفاة النبى حاق بالأنصار البلاء، و حلت بهم الرزايا، و استأثر المهاجرون بكل الإمتيازات، و كان فى ذلك تصديق لما أخبرهم به النبى (ص) من أنهم سيلقون بعده أثرة، ثم أمرهم بالصبر حتى يلقوه على الحوض «۲».

و مما يدل على ما ذكرناه:

۱- أن محمد بن مسلمة حين رأى القرشيين و هم يرفلون بالحلل، أعلن بالتكبير فى المسجد، فطالبه بذلك عمر، فأخبره بما رأى من الأثرة، ثم قال: أستغفر اللّه، و لا أعود «۳».

و يلاحظ هنا: أن محمد بن مسلمة كان من المقربين للهيئة الحاكمة، و من أعوانها الأوفياء الذين كانت تطمئن إليهم، و تعتمد عليهم.

---

(۱) معادن الحكمة ص ۱۵۴ و ۱۵۳ و راجع تعليقات العلامة الأحمدى على معادن الحكمة ص ۴۷۰- ۴۷۳ لتقف على مصادر كثيرة.

(۲) راجع: حياة الصحابة ج ۱ ص ۴۱۱- ۴۱۴ و ۴۰۹.

(۳) حياة الصحابة ج ۱ ص ۴۱۳، عن كنز العمال ج ۱ ص ۳۲۹ عن ابن عساكر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۵۷

۲- لقد همّ عمر فى أواخر خلافته: أن يأخذ فضول أموال الأغنياء و يقسمها بين فقراء المهاجرين «۱».

۳- و كان عمر يركب كل جمعة ركبتين: أحدهما: ينظر فى أموال يتامى أبناء المهاجرين. و الثانية: ينظر أرقّاء الناس ما يبلغ منهم «۲».

۴- و نجد عمر بن الخطاب يمتنع عن قضاء حاجة للأنصار كانوا قد جاؤوه من أجلها، حتى توسّط ابن عباس لهم عنده «۳».

۵- لم يكن يبر الأنصار أحد إلا بنو هاشم كما قال البعض.

و قد اشتد البلاء بعد ذلك العهد على الأنصار، حتى لقد:

۶- طلب يزيد لعنه اللّه من كعب بن جعيل أن يهجو الأنصار، فقال له كعب: أرادّى أنت إلى الشرك؟!. أهجو قوما نصروا رسول اللّه (ص) و آووه؟ ثم دلّه على الأخطل النصرانى، الذى قال فيهم:

ذهبت قريش بالسماحة و الندىو اللؤم تحت عمائم الأنصار «۴» ۷- ثم توّج يزيد لعنه اللّه جناياته و مخازيه بوقعة الحرة، التى أذل فيها عزيز الأنصار، و هتك فيها حرماتهم، و أباح أعراضهم، و قتل رجالهم.

و لم تزل و لا تزال و صمة عار على جبين الحكم الأموى، تؤذن بالخزى و العار لذلك الحكم البغيض، و لكل من يسير على نهجه، و ينسج على منواله.

---

(۱) راجع أواخر مقالنا: أبوذر إشتراكى أم شيوعى أم مسلم فى كتابنا: دراسات و بحوث فى التاريخ و الإسلام.

(۲) المصنف ج ۲ ص ۳۴۹ و فى هامشه عن مالك ج ۱ ص ۶۹ مختصرا.

(۳) راجع: حياة الصحابة ج ۱ ص ۴۱۴ و ۴۱۵ و ۴۱۶.

(۴) الشعر و الشعراء لإبن قتيبة ص ۳۰۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۵۸

ز: تزوير التاريخ:

«قال المدائنى فى خبره: و أخبرنى ابن شهاب، قال: قال لى خالد بن عبد اللّه القسرى: اكتب لى النسب؛ فبدأت بنسب مضر، و ما أتممته فقال: اقطعه، اقطعه، قطعه اللّه مع أصولهم، و اكتب لى السيرة. فقلت له: فإنه يمر بى الشىء من سير على بن أبى طالب صلوات اللّه عليه، فأذكره؟ فقال: لا، إلا أن تراه فى قعر الجحيم، لعن اللّه خالدا و من ولاه، و قبحهم، و صلوات اللّه على أمير المؤمنين» «۱».

و حينما وصل كتاب على «عليه السلام»، الذى يذكر فيه ما له من مناقب و فضائل إلى معاوية، قال معاوية: «اخفوا هذا الكتاب لا يقرأه أهل الشام، فيميلوا إلى ابن أبى طالب» «۲».

و قد كتب هشام بن عبد الملك إلى الأعمش يطلب منه أن يكتب له فضائل عثمان، و مساوىء على (ع) فرفض «۳».

و يقول الشعبى: «لو أردت أن يعطونى رقابهم عبيدا، أو يملأوا لى بيتا ذهبا، على أن أكذب لهم على على رضوان اللّه عليه لفعلوا» «۴».

و قال أبو أحمد العسكرى: «يقال: إن الأوزاعى لم يرو فى الفضائل حديثا (أى غير حديث الكساء) و اللّه أعلم، و كذلك الزهرى لم يرو فيها إلا حديثا واحدا، كانا يخافان بنى أمية» «۵».

و حسبك دليلا على تزوير التاريخ: أن المؤرخين يذكرون: أنه قد

---

(۱) الأغانى ج ۱۹ ص ۵۹.

(۲) معجم الأدباء ج ۵ ص ۲۶۶.

(۳) راجع: شذرات الذهب ج ۱ ص ۲۲۱.

(۴) تاريخ واسط ص ۱۷۳.

(۵) أسد الغابة ج ۲ ص ۲۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۵۹

كان مع على «عليه السلام» سبعمائة من المهاجرين و الأنصار، و سبعون بدريا أو ثمانون، و مئتان من أهل بيعة الشجرة «۱».

و لكن أعداء على و مزورى التاريخ قد بلغت بهم الوقاحة حدا- كما عن الشعبى-: أن قالوا: من زعم أنه شهد الجمل من أهل بدر إلا أربعة، فكذبه، كان على و عمار فى ناحية، و طلحة و الزبير فى ناحية «۲».

و قد ذكر الإسكافى: «أن معاوية وضع قوما من الصحابة، و قوما من التابعين على رواية أخبار قبيحة فى على (ع) تقتضى الطعن فيه و

البراءة منه، و جعل لهم على ذلك جعلا يرغب فى مثله، فاختلقوا ما أرضاه، منهم: أبو هريرة، و عمرو بن العاص، و المغيرة بن شعبة، و من التابعين عروة بن الزبير» «۳».

و قد استطاع معاوية أن يزين لأهل الشام أن عليا و أصحابه لا يصلون «۴».

و هكذا جرى أيضا للأنصار؛ قال الزبير بن بكار ما ملخصه: إن سليمان بن عبد الملك قدم حاجا، و هو ولى عهد؛ فمر بالمدينة، فأمر أبان بن عثمان أن يكتب له سيرة النبى (ص) و مغازيه، فقال له أبان: هى عندى، قد أخذتها مصححة ممن أثق به، فأمر بنسخها فنسخت له، فلما

---

(۱) المعيار و الموازنة ص ۲۲. مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۱۰۴ و الغدير ج ۱۰ ص ۱۶۳ عن صفين و ۲۶۸ و ۲۶۶ و عن شرح النهج ج ۱ ص ۴۸۳ و جمهرة خطب العرب ج ۱ ص ۱۷۹ و ۱۸۳.

(۲) راجع العقد الفريد لإبن عبد ربه ج ۴ ص ۳۲۸.

(۳) راجع شرح النهج للمعتزلى ج ۴ ص ۶۴.

(۴) الغدير ج ۹ ص ۱۲۲ عن صفين للمنقرى ص ۴۰۲ و عن تاريخ الطبرى ج ۶ ص ۲۳ و عن شرح النهج للمعتزلى ج ۲ ص ۲۷۸ و عن الكامل فى التاريخ ج ۳ ص ۱۳۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۶۰

صارت إليه نظر؛ فإذا فيها ذكر الأنصار فى العقبتين، و ذكر الأنصار فى بدر، فقال: ما كنت أرى لهؤلاء هذا الفضل، فإما أن يكون أهل بيتى غمصوا عليهم، و إما أن يكونوا ليس هكذا.

فقال أبان بن عثمان: أيها الأمير، لا يمنعنا ما صنعوا بالشهيد المظلوم من خذلانه، لأن نقول بالحق: هم على ما وصفنا لك فى كتابنا هذا.

قال: ما حاجتى إلى أن أنسخ ذاك حتى أذكره لأمير المؤمنين، لعله يخالفه. فأمر بذلك الكتاب فحرق.

فلما رجع، و أخبر أباه، قال عبد الملك: و ما حاجتك أن تقدم بكتاب ليس لنا فيه فضل؟ تعرّف أهل الشام أمورا لا نريد أن يعرفوها؟! فأخبره بتخريق ما كان نسخ، فصوب رأيه، و كان عبد الملك يثقل عليه ذلك.

و بعد أن ذكرت الرواية: أن سليمان أخبر قبيصة بن ذؤيب بما جرى، و جواب قبيصة له، قالت:

فقال سليمان: يا أبا إسحاق، ألا تخبرنى هذا البغض من أمير المؤمنين و أهل بيته لهذا الحى من الأنصار، و حرمانهم إياهم، لم كان؟!.

فقال: يا ابن أخى، أول من أحدث ذلك معاوية بن أبى سفيان، ثم أحدثه أبو عبد الملك، ثم أحدثه أبوك. فقال: علام ذلك؟! قال: فو اللّه ما أريد إلا لأعلمه و أعرفه.

فقال: لأنهم قتلوا قوما من قومهم، و ما كان من خذلانهم عثمان (رض)، فحقدوه عليهم، و حنقوه، و توارثوه، و كنت أحسب لأمير المؤمنين أن يكون على غير ذلك لهم، و أن أخرج من مالى فكلّمه.

فقال سليمان: أفعل و اللّه، فكلّمه، و قبيصة حاضر، فأخبره قبيصة بما كان من محاورتهم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۶۱

فقال عبد الملك: و اللّه ما أقدر على غير ذلك، فدعونا من ذكرهم.

فأسكت القوم «۱».

و لكن ما ذكره قبيصة من أن أول من حرمهم هو معاوية فى غير محله، فقد بدأ حرمانهم من زمن عمر بن الخطاب كما يظهر مما تقدم، بل و من زمن أبى بكر، و ليس تحقيق ذلك محط نظرنا الآن.

و على كل حال، فقد قال رجل من الأنصار:

ويل أمها أمة لو أن قائدهايتلو الكتاب، و يخشى العار و النارا

اما قريش فلم نسمع بمثلهمغدرا و أقبح فى الإسلام آثارا

ضلوا سوى عصبة حاطوا نبيهمبالعرف عرفا و بالإنكار إنكارا «۲» و قال بعض الأنصار أيضا:

دعاها إلى حرماننا و جفائناتذكّر قتلى فى القليب تكبكبوا

فإن يغضب الأبناء من قتل من مضىفو اللّه ما جئنا قبيحا فتعتبوا «۳» و يقول آخر:

و خبرتمونا: أنما الأمر بيننا خلاف رسول اللّه يوم التشاجر

فهلا وزيرا واحدا تحسبونهإذا ما عددنا منكم ألف آمر «۴»

ح: تأكيد النبى (ص) على بر الأنصار:

و لم يكن بغض الأمويين و قريش للأنصار فقط لأجل الدماء

---

(۱) أخبار الموفقيات ص ۳۳۲- ۳۳۴.

(۲) الحور العين ص ۲۱۵.

(۳) الحور العين ص ۲۱۵ للأمير نشوان الحميرى.

(۴) المصدر السابق.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۶۲

و الترات، و إنما لأنهم نصروا اللّه و رسوله، و محق اللّه الشرك، و ذل المشركون بمساعدة منهم. بل إن بغضهم لهم إنما كان انطلاقا من بغضهم للإسلام.

و لربما يكون هذا هو السر فى تأكيدات النبى (ص) المتكررة على لزوم حب الأنصار، و احترامهم و تقديرهم.

فنراه (ص) يعتبر حب الأنصار إيمانا و بغضهم نفاقا «۱».

و قال: من أحب الأنصار فبحبى أحبهم، و من أبغض الأنصار فببغضى أبغضهم «۲».

و بذلك يكون قد حفظ لهم هذا الجهاد الخالص فى سبيل اللّه، و دفاعهم عن هذا الدين، و لأنهم آووا و نصروا و بذلوا كل غال و نفيس؛ فجزاهم اللّه عن الإسلام و عن المسلمين خير جزاء و أوفاه.

كما أننا يجب أن لا ننسى إلتزام الأنصار فى الأكثر بخط أهل البيت (ع)، و تعظيمهم لحق أمير المؤمنين (ع) و نصرتهم له فى الجمل و صفين و النهروان، على خلاف كثير من المهاجرين.

و مما يدل على مكانة على (ع) لدى الأنصار ما رواه الزبير بن بكار

---

(۱) مسند أحمد ج ۵ ص ۲۸۵ و ج ۶ ص ۷ و ج ۴ ص ۲۸۳ و ۲۹۲ و ج ۳ ص ۱۳۰ و ۲۴۹ و راجع حول فضل الأنصار مسند أحمد ج ۴ ص ۷۰ و ج ۶ ص ۳۸۲ و مسند أبى يعلى ج ۷ ص ۱۹۱ و ۲۸۵ و ۲۸۶ و منحة المعبود ج ۲ ص ۱۳۷ و ۱۳۸ و صحيح مسلم ج ۱ ص ۶۰ و سنن ابن ماجة ج ۱ ص ۱۴۰ و ۵۷ و ۵۸ و صحيح البخارى ج ۲ ص ۱۹۸ و ۱۹۹ و مجمع الزوائد ج ۱۰ ص ۳۹/ ۴۰.

(۲) راجع مجمع الزوائد ج ۹ ص ۳۷۶ عن الطبرانى فى الصغير و الكبير، و البداية و النهاية ج ۳ ص ۲۰۳، و فتح البارى ج ۱ ص ۵۹، ۶۰ و ليراجع باب حب الأنصار فى مجمع الزوائد ج ۱۰ ص ۲۸- ۴۲ و سائر كتب الحديث فإن كثيرا منها قد عقدت فصلا لفضائل

الأنصار.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۶۳

عن عمرو بن العاص حينما تكلم فى المسجد كلاما قاسيا ضد الأنصار، لأجل محاولتهم البيعة لسعد بن عبادة، قال الزبير: «ثم التفت فرأى الفضل بن العباس بن عبد المطلب، و ندم على قوله للخؤولة التى بين ولد عبد المطلب و بين الأنصار، و لأن الأنصار كانت تعظّم عليا و تهتف بإسمه حينئذ». ثم تذكر الرواية كيف أن عليا (ع) جاء إلى المسجد و دافع عن الأنصار، و القصة طويلة «۱».

و التزام الهاشميين ببرهم، تنفيذا لوصية النبى (ص) ثم قولهم يوم السقيفة- بعد أن فشلت محاولة البيعة لسعد بن عبادة-: «لا نبايع إلا عليا» «۲».

و على (ع) هو قاتل صناديد قريش، و جابرتها كما هو معلوم.

ربما يكون كل ذلك، و معه عمق إيمانهم، و التزامهم القوى بالدين، و التفقه فيه حتى من نسائهم، هو السبب فى ذلك.

بقى أن نذكر: أن علم أصحاب رسول اللّه (ص) قد كان عند الأنصار، كما قالوا «۳».

و عن نساء الأنصار قالت عائشة: «إن لنساء قريش لفضلا، و إنى و اللّه ما رأيت أفضل من نساء الأنصار، و لا أشد تصديقا لكتاب اللّه، و لا إيمانا بالتنزيل، لقد أنزلت سورة النور، و ليضربن بخمرهن إلخ» «۴».

---

(۱) الموفقيات ص ۵۹۵ و ۵۹۶ و شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج ۶ ص ۳۳.

(۲) تاريخ ابن الأثير ج ۲ ص ۳۲۵.

(۳) التراتيب الإدارية ج ۲ ص ۳۲۵.

(۴) الدر المنثور ج ۵ ص ۴۲ عن ابن أبى حاتم، و أبى داود، و ابن مردويه، و تفسير ابن كثير ج ۳ ص ۲۸۴ و راجع: مسند أبى عوانة ج ۱ ص ۳۱۷ و حياة الصحابة ج ۳ ص ۸۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۶۴

و عنها أيضا قالت: نعم النساء نساء الأنصار، لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين «۱».

ط: لا غنى فى الحرب عن الأنصار:

و لكن كل ما قدمناه لا يعنى: أن لا يشترك الأنصار فى حرب أبدا؛ فإن قضية الإسلام، التى هى قضية الأمم و الإنسانية جمعاء على مدى التاريخ، تفوق فى أهميتها و خطرها، أهمية و خطر ما سيواجهه الأنصار من قريش فيما بعد، و على الأخص إذا كان الإسلام قد وضع الضمانات اللازمة لتفادى أىّ ردّ فعل من هذا النوع. و إنما حدث ما حدث بسبب عدم رعاية الأمة لقوانين الإسلام، و عدم أخذها تلك الضمانات بنظر الإعتبار.

نعم لم يكن ثمة محيص عن اشتراك الأنصار فى الحرب، كما أنه لم يكن مفر من العمل على تخفيف حدة حقد قريش، و الموتورين من قبل الإسلام؛ لتكون المشاكل المستقبلية، التى سوف يواجهها الأنصار أقل، و وقعها أخف نسبيا، و هكذا كان.

و سيأتى إن شاء اللّه بعض الكلام أيضا عن قريش و الأنصار فى غزوة بدر العظمى، فلابد من ملاحظة ذلك.

---

(۱) راجع صحيح البخارى ج ۱ ص ۲۴ و المصنف لعبد الرزاق ج ۱ ص ۳۱۴ و فى الهامش عن البخارى و مسلم، و ابن أبى شيبة، و عن كنز العمال ج ۵ رقم ۳۱۴۵.

و عن اهتمام نساء الأنصار بالفقه راجع: التراتيب الإدارية ج ۲ ص ۳۲۱.

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۴،ص:۳۶۵

الفهارس

اشارة

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۴،ص:۳۶۷

۱- الدلیل الإجمالی للکتاب

الفصل الخامس: هجرة الرسول الأعظم ۵- ۸۲

الفصل السادس: إلی قباء ۸۳- ۱۰۳

الفصل السابع: حتی المدینة ۱۰۵- ۱۳۳

القسم الثالث: حتی غزوة الخندق ۱۳۵

الباب الأول: من الهجرة إلی بدر ۱۳۵- ۳۶۲

الفصل الأول: النبی (ص) فی المدینة ۱۳۹- ۱۵۲

الفصل الثانی: قضایا و أحداث غیر عسکریة ۱۵۳- ۱۷۰

الفصل الثالث: أعمال تأسیسیة فی مطلع الهجرة ۱۷۱- ۲۶۳

الفصل الرابع: تشریعات و أحکام ۳۶۵- ۳۱۲

الفصل الخامس: الجهاد فی الإسلام ۳۱۳- ۳۲۷

الفصل السادس: سرایا و غزوات قبل بدر ۳۲۹- ۳۶۴

الفهارس ۳۶۵

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۴،ص:۳۶۹

۲- الدلیل التفصیلی للکتاب

الفصل الخامس: هجرة الرسول الأعظم (ص) ۵- ۸۲

المؤامرة ۷

مبیت علی (ع) و هجرة النبی (ص) ۸

قریش فی طلب النبی (ص) ۱۱

الراحلتان بالثمن ۱۲

أداء الأمانات ۱۲

نفقات الهجرة ۱۳

شعر علی (ع) بمناسبة المبیت ۱۴

المثل الأعلی للتضحیة ۱۴

المبیت و الخلافة ۱۵

قريش، و على (ع) ۱۶

بقى هنا سؤال ۱۷

قريش و المبيت ۱۷

مقايسة ۱۸

إرادة اللّه ۱۹

بين النظرة المصلحية و الواقع ۱۹

الأرض و المبدأ ۲۱

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۷۰

و من معطيات الهجرة أيضا ۲۱

أبو طالب فى حديث الغار ۲۲

مع آية الغار ۲۳

كلام الجاحظ و ما فيه ۲۷

ماذا يقول المفيد هنا و بماذا يجيبون ۲۹

سؤال يحتاج إلى جواب ۳۱

تحيّر أبى بكر فى حراسته للنبى (ص) ۳۱

التأكيد على موقف أبى بكر ۳۲

من يشرى نفسه ابتغاء مرضات اللّه ۳۳

كذبة مفضوحة ۳۵

و ابن تيمية ماذا يقول ۳۶

و عن قضية صهيب نقول ۴۰

تسمية أبى بكر الصديق ۴۴

متى كان وضع هذه الألقاب ۵۰

الراحلتان ۵۰

ما هى الحقيقة ۵۲

الخروج من خوخة أبى بكر للهجرة ۵۳

قريش فى طلب أبى بكر ۵۴

الانتظار إلى الصباح ۵۵

شراء أبى بكر للموالى، و نفقاته ۵۶

۱- عامر بن فهيرة ۵۸

۲- أبو قحافة الأعمى ۵۸

۳- مع أدوار لأسماء أيضا و غيرها ۵۹

۴- حديث سد الأبواب و خلة أبى بكر ۶۱

۵- ثروة أبى بكر ۶۲

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۴،ص:۳۷۱

إشارة عامة ۶۶

اللصوص المهرة ۷۱

کلمة أخیرة حول ما یقال عن ثروة و أبی بکر ۷۲

التزویر و التحویر ۷۳

تجلی اللّه لأبی بکر ۷۳

کلام هام حول الفضائل ۷۴

ما أنت إلا إصبع دمیت ۷۶

عمدة فضائل أبی بکر ۷۷

عثمان حین قضیة الغار ۷۹

یوم الغار، و یوم الغدیر ۸۰

الکلمة الأخیرة فی حدیث الغار ۸۱

الفصل السادس: إلی قباء ۸۳- ۱۰۳

فی الطریق إلی المدینة ۸۵

الکرامات الباهرة بعد الظروف الظاهرة ۸۷

هجرة أمیر المؤمنین (ع) ۸۸

السیاسة الحکیمة ۹۱

کتاب تبع الأول ۹۱

أبو بکر شیخ یعرف ۹۲

رأی العلامة الأمینی ۹۶

النفاق فی مکة ۹۷

ملاحظة هامة علی ما تقدم ۱۰۳

الفصل السابع: حتی المدینة ۱۰۵- ۱۳۳

بدایة ۱۰۷

غناء أهل المدینة و النبی (ص) یرقص بأکمامه ۱۰۷

المناقشة ۱۰۹

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۴،ص:۳۷۲

۱- ثنیة الوداع من جهة الشام ۱۰۹

۲- استدلال عجیب ۱۱۰

۳- ترقیص الأکمام ۱۱۱

أدلة حلیة الغناء ۱۱۲

نقض أدلة حلیة الغناء ۱۱۶

أقوال العلماء فی الغناء ۱۲۵

الغناء عند أهل الكتاب ۱۲۶

سر الوضع و الاختلاق ۱۲۶

نزول رسول اللّه (ص) فى قباء ۱۲۹

تأسيس مسجد قباء ۱۳۰

أحجار الخلافة ۱۳۱

أول مسجد فى الإسلام ۱۳۱

صلاة الجمعة فى قباء ۱۳۲

القسم الثالث: حتى غزوة الخندق ۱۳۵

الباب الأول: من الهجرة إلى بدر ۱۳۷- ۳۶۲

الفصل الأول: النبى (ص) فى المدينة ۱۳۹- ۱۵۲

ورود النبى (ص) المدينة ۱۳۹

منزل النبى (ص) فى المدينة ۱۴۳

ابن سلام و الإسلام ۱۴۴

الفصل الثانى: قضايا و أحداث غير عسكرية ۱۵۳- ۱۷۰

عودة بعض المهاجرين من الحبشة ۱۵۵

عائشة فى بيت النبى (ص) ۱۵۶

مراسم الزفاف ۱۵۷

استدلال طريق ۱۵۷

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۷۳

فاتحة عهد جديد ۱۵۸

آية الصلح بين المؤمنين ۱۵۹

إسلام سلمان المحمدى ۱۶۱

بئر رومة فى صدقات عثمان ۱۶۳

بئر أريس ۱۶۷

حقيقة القضية ۱۶۷

تأبير النخل ۱۶۸

الفصل الثالث: أعمال تأسيسية فى مطلع الهجرة ۱۷۱- ۲۶۳

بداية ۱۷۳

۱- التاريخ الهجرى أولا ۱۷۴

الحكاية كما يرويها المؤرخون ۱۷۶

الرأى الأمثل ۱۷۸

من المشير بمحرم ۱۷۹

الموافقون على هذا الرأى ۱۸۲

كلام السهيلى ۱۸۴

ما نستند إليه ۱۸۶

عود على بدء ۲۰۵

و التاريخ المسيحى إذن لماذا؟! ۲۰۶

دعوة مخلصة ۲۰۸

۲- بناء مسجد المدينة ۲۰۹

أ: أبو بكر و العشرة دنانير ۲۱۱

ب: أحجار الخلافة ۲۱۲

تحريف فى مستدرك الحاكم ۲۱۴

ج: عثمان و عمار ۲۱۴

ألم يكن عثمان فى الحبشة ۲۱۶

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۷۴

سر انتصار النبى (ص) لعمار ۲۱۸

لماذا المسجد أولا ۲۱۹

مشاركة النساء فى بناء المسجد ۲۲۳

مشاركة النبى (ص) فى بناء المسجد ۲۲۴

جماعة خاصة بالنساء ۲۲۴

۳- المؤاخاة بين المهاجرين و الأنصار ۲۲۵

المؤاخاة على التوارث موضوع شك ۲۲۶

عدد الذين كانت المؤاخاة بينهم ۲۲۷

المؤاخاة بين كلّ و نظيره ۲۲۹

مؤاخاة النبى (ص) لعلى ۲۳۰

تواتر حديث المؤاخاة ۲۳۱

تكنية على (ع) بأبى تراب ۲۳۳

مع المنكرين لمؤاخاة النبى (ص) لعلى ۲۳۳

مع قضية المؤاخاة ۲۳۶

خلة أبى بكر ۲۴۰

مؤاخاة سلمان مع من؟! ۲۴۱

إنكار حديث المؤاخاة و الإجابة عن ذلك ۲۴۲

۴- أسس العلاقات فى المجتمع الجديد ۲۴۷

نص الوثيقة ۲۴۸

وثيقة أم وثائق ۲۵۳

ملاحظات سريعة على الوثيقة ۲۵۶

موادعة اليهود ۲۶۳

الفصل الرابع: تشريعات و أحكام ۲۶۵- ۳۱۲

تشريع الأذان ۲۶۷

مناقشة روايات الأذان ۲۶۸

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۷۵

الكلمة الأخيرة ۲۷۶

حى على خير العمل فى الأذان ۲۷۸

إشكالات غير واردة ۲۹۰

حى على خير العمل موقف و شعار ۲۹۱

سبب حذف هذه العبارة ۲۹۳

كلمة حول هذا الرأى ۲۹۴

الزيادة فى الصلاة ۲۹۵

قول آخر فى فرض الصلاة ۲۹۶

فرض الزكاة ۲۹۷

رواية تعارض ما سبق ۳۰۰

فرض زكاة الفطر ۳۰۰

فرض الصيام ۳۰۰

مناقشة وردها ۳۰۲

صيام يوم عاشوراء ۳۰۳

كذب تلك الروايات ۳۰۴

من فضائل يوم عاشوراء أولا ۳۰۷

أيوم عزاء؟ أم يوم عيد؟!! ۳۰۷

وضع الأحاديث ۳۰۹

أساليب مقاومة عاشوراء ۳۱۰

الفصل الخامس: الجهاد فى الإسلام ۳۱۳- ۳۲۷

الإسلام و السيف ۳۱۵

۱- الحرب فى الإسلام و فى غيره ۳۱۶

إشارة ۳۱۷

۲- حيث لابد من الحرب ۳۱۸

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۳۷۶

الفصل السادس: سرايا و غزوات قبل بدر ۳۲۹- ۳۶۴

غزواته (ص) و سراياه ۳۳۱

ما نتعرض له فى هذا الكتاب ۳۳۳

السرايا الأولى ۳۳۳

۱- تكنية على (ع) بأبى تراب ۳۳۷

التزوير و الافتراء ۳۳۸

لماذا الوضع و الاختلاق ۳۴۲

قيمة هذه الكنية ۳۴۳

۲- لماذا السرايا؟ ۳۴۲

الأول الموادعات و التحالفات ۳۴۵

الثانى: مضايقة قريش ۳۴۵

۳- وصاياه (ص) لبعوثة ۳۴۷

۴- لماذا المهاجرون فقط ۳۴۸

أ: على الأنصار نصره (ص) فى دارهم ۳۴۸

ب: مسألة الحرب و السلم ۳۴۹

ج: ظروف الأنصار الخاصة ۳۴۹

د: الحالة النفسية للمهاجرين ۳۵۱

ه: العربى و قضية الدم ۳۵۳

و: قريش و الأنصار ۳۵۵

ز: تزوير التاريخ ۳۵۸

ح: تأكيد النبى (ص) على بر الأنصار ۳۶۱

ط: لا غنى فى الحرب عن الأنصار ۳۶۴

الفهارس ۳۶۵

۱- الدليل الإجمالى للكتاب ۳۶۷

۲- الدليل التفصيلى للكتاب ۳۶۹

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۵،ص:۶

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰

الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة "للتحرّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عنايةِ سماحةِ آيةِ الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبيّة، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹